

كلمات في العقيدة

الكتاب الثاني

د. أمير علي الحدّاد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كلمات في العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمات في العقيدة

الكتاب الثاني

د. أمير علي الحدّاد

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الكويت

المقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد . .

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة «كلمات في العقيدة» التي أسأل الله تعالى أن يعينني على الاستمرار في كتابتها وأن ينفع بها في الدنيا والاخرة . . أما ما احتواه الكتاب من قضايا عقيدية فقد صنفتها تحت عناوين خمسة رئيسية : التوحيد ـ القرآن الكريم ـ الايمان ـ تزكية النفس ـ قضايا عامة، وليس القصد من هذا التقسيم تصنيف علوم العقيدة لتناولها بالبحث العلمي وإنما القصد التيسير على القارىء وتنويع الأبواب التي يمكن أن يقرأ فيها. . . وكما كان الهدف في الكتاب الاول فإن الهدف هنا هو الوصول إلى عامة الناس الذين استثقلوا الرجوع إلى كتب العقيدة ظنا منهم أنها صعبة الفهم بعيدة عن قضايا الحياة اليومية والمشكلات العصرية .

كتبت هذه الكلمات بأسلوب المخاطبة اليومي وحول قضايا يعيشها كل مسلم حتى يسهل على الناس فهم عقيدتهم التي أوجبها الله عليهم وسيسألهم عنها يوم القيامة . .

وختاما أرجو أن يكون هذا الكتاب سائقا للمعتني به إلى الخيرات حاجزا له من ضلالات الأفكار والمعتقدات وأنا سائل مسلما انتفع بشيء منه ان يدعو الله المغفرة والثبات على الحق لكاتبه . .

وحسبي الله ونعيم الوكيل ولا حول ولا قوة الا باللّه العلي الحكيم . .

امير الحداد

الكويت جمادي الاخرة ١٤٠٩
يناير ١٩٨٩

أولا - التوحيد



ألف باء التوحيد

قالت معبرة عن ضيقها وضجرها من امر ما: يا ليتني أموت وأتخلص من أعباء الدنيا . .

اجابها: وبعد الموت؟

ـ لا يهم . . هناك المرء عاجز عن الدفاع عن نفسه فكل ما يحصل لا مفر منه ولكني اريد ان ارتاح من هذه المتاعب . . هل تصدق انني اشعر ان رأسي يكاد ينفجر وأنه أكبر من هذه الغرفة حجما . . طبطب على كتفها برفق . .

ـ هوني عليك يا اختاه . . لا أظن ان المسألة تستحق كل هذا الضجر . . ولا ينبغي عليك ان تستسلمي لمشكلات تكاد تقع يوميا ولجميع الناس دون استثناء .

ـ إنها ليست مشكلة . . إنه الشعور بالعجز . . الشعور بعدم القدرة على عمل شيء . . . فاذا اصيب عزيز عليك بمكروه . . أو إذا خطفت الاقدار احد احبائك . . ما الذي تستطيع ان تفعله؟!

ـ هناك أمور كثيرة يستطيع الانسان ان يفعلها لنفسه ولمن يحب في مثل هذه المواضع فمثلا . . إذا ـ لا قدر الله ـ اختطف الموت عزيزا عليك . . فانك تستطيعين ان تدعي الله له بالمغفرة والثبات وتسهيل الحياة في البرزخ وتهوين الموقف والحساب . . وكذلك تستطيعين ان تأخذي العبرة من أن هذا العزيز كان في الأمس القريب عندك تتكلمين معه وتتحدثين اليه . . كنتما تتمشيان معا قبل يومين . . فأين هو الآن . . فمن هذا يكسب المرء عبرة وعظة يغتر ويأمن لهذه الدنيا . . فقد يكون أحدنا في اوج صحته وعنفوان شبابه . . وما هي إلا لحظة فاذا هو جثة مسجية على مشرحة «المغيسل» ثم محمولة على الاكتاف مدفوعة في حفرة ظلماء . . واحباؤه يهيلون عليه التراب!! . .

انها عبرة ما بعدها عبرة . . . ونستشعر معها قوله تعالى . . . ﴿وما تدري نفس بأي ارض تموت﴾ . . قد يكون احدنا في سياحة أو فرجة أو دراسة أو عمرة أو مجرد نزهة قصيرة . . فإذا حان موعد الرحيل ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ عبرت عن عدم رضاها بما قال . . . وعقبت: إنك دائما تحب ان «تفلسف» الأمور

. . . وما أذكر من أمر إلا أدخلت فيه قضية الموت والآخرة والقبر وما إلى ذلك . . .
نحن الان هنا . . نعيش واقعا . . وأحدنا يقف عاجزاً أمام بعض الأحداث وبعض الوقائع وهذا بحد ذاته كاف أن يجعل حياتنا تعيسة ولو لفترة محدودة .

أجابها بابتسامة حازمة . . . بل هذه المواقف مدعاة لنا إن نعرف قدرنا وقوتنا . . فإننا أحيانا كثيرة نشعر بأننا نستطيع ان نفعل كل شيء ونحصل على كل شيء ونعيش كما نشاء . . . ولكن هذا تضخيم لقدراتنا ومبالغة لامكاناتنا واستعداداتنا . . . ترى هل تعلمين ما ينجي من الخلود في نار جهنم؟!

اجابت بعدم اكتراث! الالتزام . . . والصلاة . . . والحجاب . . . الخ . هذه السلسلة من الاعمال التي لا آتي منها الا الصلاة . . . وليس دائما ولكن بين الحين والحين . .

ـ كلا يا اختاه . . . ليست هذه هي الاحابة الصحيحة .

ـ اذن ما هي ايها «الشيخ»؟!

ـ إن الذي ينجي من الخلود في النار . . . أولا التوحيد . . . أتدرين ما هو التوحيد؟

هزت رأسها ليكمل حديثه : إن التوحيد هو الاعتقاد بأمور ثلاثة وهي . . انه لا يستحق العبادة إلا الله . . ولا يملك تصريف شؤون الكون الا الله . . . ولا يشبه أحدٌ الله في أسمائه أو صفاته .

ـ هذه الأمور نعرفها جميعا . . . فنحن لا نصلي إلاَ لله ونعلم أنه لا أحد له صفة من صفات الله . .

ـ هناك شرح وتفصيل إن سمحت . . . أولا بالنسبة للعبادة هي الأعمال القلبية والبدنية التي يُرجى بها التقرب إلى الله . . فالدعاء عبادة والذبح عبادة والرجاء عبادة والاستغاثة عبادة والتوكل عبادة . . وكلها ينبغي إلا تصرف إلا لله ثم لا معطي إلا الله ولا مانع إلا الله ولا مميت إلا الله ولا محيي إلا الله ولا رازق ولا واهب ولا ناصر إلا الله تبارك وتعالى .

وأما صفات الله فلا يكفي أن نؤمن بأنه لا مخلوق يشبه الله في أسمائه وصفاته بل يجب أن نكون على يقين بما ينبغي ان يوصف الله به دون شك أو تردد . . فنوقن بأن الله يوصف بالقدرة والقوة والسمع والبصر والعلم وأنه مستو على عرشه وأنه الحي وأنه القيوم وأنه له يدان «وكلتاهما يمين» وأنه يحب المؤمنين ويرضى عن الصالحين ويغضب إذا انتهك أمره وأنه يكره الكفر ولا يرضى لعباده الكفر وأن عرشه فوق سبع سماوات، وأنه مع الناس بعلمه واطلاعه ومع المؤمنين والأولياء بالنصر

والتأييد . . . إلى غير هذه الصفات والأسماء التي وردت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

قالت ـ بعض هذه الامور أعرفها وبضعها اسمعه لأول مرة . . ولكن هل يجب ان نبحث في كل هذا العلم ونؤمن به . .

ـ القاعدة العامة التي ينبغي أن يؤمن بها كل مسلم هي أن الله يوصف بكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه ﷺ في السنة الصحيحة دون تلاعب في معاني الصفات أو تشبيه لهذه الصفات أو تجسيد هذه المسميات فالله تبارك وتعالى يقول ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وهذا ما ينبغي على المسلم ان يعلمه من أولويات التوحيد الذي هو نقيض الشرك . . فمن لقي الله موحدا لم يخلد في نار جهنم ومن لقي الله يشرك به شيئا خلد في النار . .

ـ وكيف إذا اعتقد الانسان هذه الأمور ولكنه لم يتحجب؟!

ـ الحجاب ليس رأس الأمر ولا عموده . . ولكنه أمر من الله وأهم من الحجاب الصلاة وأهم من الصلاة العقيدة . . . فما دمت تعتقدين العقيدة الصحيحة لماذا لا تحافظين على الصلاة؟!

هزت رأسها مبتسمة وقالت: لا تنتهي عن ترديد اسطوانتك . . هاأنا سأذهب لأصلي . . فاليوم «المزاج» متجه إلى الصلاة . .

قاعدة في صفات الله عز وجل

التقينا بعد صلاة عصر يوم الجمعة نسترجع ما حفظنا خلال الأسبوع . . كنا في الطريق للخروج فسألني : ـ هل الحديث الذي جاء فيه ان رسول اللهﷺ قال: يقول الله عز وجل: «وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» . . صحيح؟ وكنت قد اطلعت على شرح هذا الحديث قريبا في فتح الباري فقلت: هو حديث صحيح جاء في البخاري . .

ـ وما معنى التردد هنا في حق الله عز وجل . . لاننا نعلم ان التردد يأتي عادة من عدم العلم بعواقب الامور . . والله تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء مما كان ومما يكون؛ ومما سيكون، ومما لم يكن لو كان كيف يكون؟!

ـ إن حصرك للتردد في عدم علم العاقبة هو أحد المعاني ولكن قد يحصل التردد أيضا لوجود مصالح ومفاسد في العمل ذاته . . فالانسان يريد أن يعمل عملاً ما يعلم ان فيه مصلحة وفيه مفسدة . . فيتردد . .

ولنرجع إلى الحديث . . فان هذا الحديث اشرف حيث روي في صفة الاولياء . . حيث ان الاولياء وحدهم هم الذين يستحقون الوصف الذي جاء في الحديث . . . وإذا ربطنا هذا الحديث بالحديث الاخر . ، . . (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) . . فاللهﷺ تبارك وتعالى يحب هذا الإنسان وفي الوقت نفسه قضى الله على كل نفس ان تموت وهذا العبد يكره الموت، فالله يكره اساءته ولكن قضى عليه ان يموت . . وهذا هو معنى التردد . . كره الله للإساءة تصيب أولياءه وحتمية وقوع قضائه عليهم بالموت . . . ويترجح الثاني لأن إرادة الله الكونية نافذة لا محالة . .

استوقفني عند السيارة وقال: وهل يقع في هذا الكون شيء يبغضه الله ولا يريده؟!

ـ في هذا سؤال هذا قضيتان . . . الاولى . . . نعم يقع في هذا الكون ما يبغضه الله ولا يرضى عنه كما قال تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ . . فالله لا يرضى الكفر ان يقع ولا عن المعاصي ترتكب . . . ولكن لا يقع في هذا الكون شيء قهرا عن الله عز وجل . . . فكل شيء يقع بعد ارادة الله له ان يقع . . وهذه الارادة الكونية . . فاقتضت حكمة الله وعدله ان يسمح للذنوب والمعاصي ان تقع مع انه يكرهها ويبغضها . . ولو شاء لما وقع ذنب ولا عصى احد ولا اشرك فرد ولكن هذا

مناف لكمال الحكمة والعدل فالله خلق الكون وجعل فيه الخير والشر واحب الخير وكره الشر وأعطى إبن آدم الخيار في فعل هذا أو ذاك ويجازي على عمله يوم القيامة . .

ـ وهل يجوز ان نصف الله بأنه «يحب ويبغض»؟

ـ نعم . . بل يجب أن نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيهﷺ دون تعد ودون نقصان . . فقد جاء في القرآن والسنة مواضع كثيرة تصف الله . . بأنه (لا يحب الكافرين) . . . وأنه (يحب المتقين) و(يحب المحسنين) . . وأن بعض الأعمال أحب إلى الله من بعض . .

ـ ولكن أليس (الحب) و(البغض) في حق الله بمعنى إرادة الخير وإرادة العذاب ؟

ـ هذا تأويل لصفات الله لم يقله السلف الصالح بل منهاج السلف الايمان بصفة (الحب) و(البغض) كما جاءت يقولون الحب معلوم والبغض معلوم ويؤمنون بهاتين الصفتين وغيرهما من صفات الله دون اخراجها عن معناها ودون تشبيهها بصفات المخلوقات . . فلا نقول ان (الحب) يصاحبه الرغبة في الرؤية وخفقان القلب وارتعاش الجوارح . . حاشى لله تعالى عما يقول المشبه علوا كبيرا . . حيث ان هذه صفة (الحب) عند البشر والله تبارك وتعالى لا يشبه بأحد من خلقه في اي صفة من صفاته ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. فنؤمن بصفة (الحب) و(البغض) دون تأويلات أو استنتاجات أو تشبيه بل نؤمن بالصفة كما جاءت . . وهذا هو منهاج السلف . . . لا ينكرون صفة ثبتت في كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة ولا يؤولونها ولا يشبهون . .

ـ وهل هناك صفات أخرى اختطلت على الناس؟

ـ أولا . . . لم يأت ذكر صفات الله في الكتاب والسنة حتى تختلط على الناس . . وهي لم تختلط إلا على الذين تجاوزوا الحدود والمنهاج الذي كان عليه الصحابة والتابعون بأن استخدموا الفلسفة والمنطق وعلوم الكلام الاخرى لكشف «حقيقة» صفات الله . . . فالله تبارك وتعالى ذكر صفاته في كتابه وعلى لسان رسولهﷺ حتى نزداد ايمانا به ومعرفة به وحبا له عز وجل . . فكل صفة جاءت في الكتاب والسنة تزيد الانسان المؤمن تقربا إلى الله وايمانا به اذا هو آمن بالصفة كما جاءت ولم يترك الحبل على الغارب لعقله بأن يخوض فيما ليس له به علم . . كصفة (النزول كل ليلة إلى السماء الدنيا) . . وصفة (الغضب) وصفة (المجيء يوم القيامة) وصفة (الضحك) . . وصفة (الاستواء على العرش) . . وصفة (اليدين) وصفة (الوجه)

.. وصفة (الاصابع) ... وغيرها من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة دون ان يخطر بباله شكل معين وتشبيه محدد لهذه الصفات بل يؤمن بها لانها ثبتت ولا يعلم كيفيات هذه الصفات .. وايمان المسلم بهذه الصفات التي ذكرت كأيمانه بصفة العلم والرحمة والحياة والقيومية والسمع والبصر والقوة وغيرها من الصفات التي لا يختلف عليها اثنان ..

فالقاعدة هي : الإيمان بجميع صفات الله التي تثبت في الكتاب أو السنة دون تشبيه ولا تأويل ولا انكار بل نؤمن بها كما جاءت ونمرر الأحاديث والآيات كما جاءت دون أن نسمح لعقولنا أن تخوض أبعد من ذلك .

الصفات الالهية

ـ سألني . . هل تابعت «المناظرة الكبرى» قبل أيام ؟ .
ـ أجبته . . كلا . . لم أتابعها ولكني سمعت الكثير عنها .
ـ أريد أن أسألك عن شيء . . فقد ذكر القس سوجارت أن عيسى بن مريم عليه السلام كان متفرداً في ميلاده، متفرداً في معجزاته، متفرداً في مماته . . وهذا أحد الاسباب التي تؤهله أن يكون إحدى صور الاله .

وسؤالي ذو شقين . . ما معنى كلامه أولا؟! ثم هل حقا أن الرسول عيسى عليه السلام هو كما زعم هذا القس؟

اخذت هنيهة من الوقت قبل أن اجيب .

اسمع يا صاحبي . . معنى أن عيسى عليه السلام كان متفرداً في ميلاده . . هو أنه ولد لأم دون أب وهذا ليس الوضع الطبيعي للبشر، ومعنى أنه كان متفرداً في معجزاته . . أنه كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص . . وأما في مماته فأن عيسى في عقيدة المسلم لم يمت، وإنما رفعه الله إليه وسوف يرجع إلى الارض مرة اخرى قبل يوم القيامة .

وأما عن الشق الثاني من سؤالك . . فالإجابة عليه هي أن التفرد لا يكفي لنيل (مرتبة الالوهية) . . فالإله له صفات التفرد في كل شيء، وفي الوقت نفسه له صفات الكمال وعدم الحاجة إلى شيء مطلقا أو عدم الإعتماد على شيء مطلقا، فالاله لا يحتاج إلى طعام وشراب ومأوى ليبقى ولا يحتاج إلى عون أحد لينتصر على أعدائه ولا يحتاج إلى أحد في اي شأن من شؤونه.

سألني . . ولكن حتى آدم ولد من غير أب أو أم . . !

ـ نعم . . لقد ذكر الله ذلك في كتابه . . ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ وكلنا يعلم أن رسول الله عيسى عليه السلام كان بشرا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ويجوع احيانا اخرى ويحتاج في حياته الى ما يحتاج اليه البشر من لوازم البقاء . . وهذه صفات تنفي الالوهية مطلقا . . أن الصفات الالهية اجملها الله تبارك وتعالى . . في قوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فهو فرد في جميع صفاته إنه (صمد) اي لا يحتاج الى شيء البته . . والاله لا يولد . . لان من يولد يموت ومن يولد يحتاج الى من يلده . . وعيسى عليه السلام ولد

لامه مريم بنت عمران . . التي حملت . . وارضعته وربته . . ورفع الى السماء ثم يعود قبل يوم القيامة ويموت كما يموت جميع البشر . . فإذا أردنا أن نجمل صفات الالهية فهي في سورة الاخلاص ﴿قل هو الله احد الله الصمد لم يلم ولم يولد ولم يكن له كفوا احد﴾ . . فليس هناك ند او كفء لله تبارك وتعالى . .

سألني مستفسرا . . هل يعتقد النصارى ان عيسى اله؟

ـ معتقد النصارى هو أن المسيح ابن الله كما أخبر عن ذلك ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ وهم يقولون أن الاله له صورة في السماء هو (الله) والاله له صورة اخرى في الارض هو (المسيح) وله صورة ثالثة هي (جبريل روح القدس) . . فهذه الثلاثة صور لاله واحد وبالطبع نحن المسلمون نرى ان هذه عقيدة باطلة وان الله واحد في السماء لا صور اخرى له ولا ابناء ولا يحتاج إلى أحد وأن جبريل (روح القدس ليس إلا ملكا خلقه الله وكلفه بمسألة نفخ الروح في آدم وبنيه ومنهم عيسى عليه السلام . . وعيسى عليه السلام رسول الله وكلمته . . أي أمره وقضى به على مريم الصديقة بنت عمران . . وكان عيسى وأمه يأكلان الطعام ولم يكونا الهين أبدا .

الـــرب

ما إن دخل حتى توجه إلى المطبخ . . فتح (الثلاجة) . . نظر في ارفف الباب ثم تحول الى الموجودات في الجهة المقابلة . . عثر على بغيته . . زجاجة باردة من المشروبات الغازية . . لم يصبر حتى يبحث عما يفتح به (الزجاجة) . . بل توجه الى باب المطبخ وبحركة خفيفة فتح الزجاجة وأخذ يعب ما فيها وهو صاعد إلى الدور الثاني حيث مجلس الأسرة اليومي . . سلم على زوجته واطفاله . . . سألها:

ـ هل انتهبت من التراويح؟

ـ صليت اربع ركعات فقط ثم قرأت شيئا من القرآن . . لحظة عندي لك سؤال في سورة يوسف. .

ـ هات ما عندك . .

ذهبت واحضرت المصحف من على الرف . . وقالت:

ـ لقد قرآت ايات . . . ها هي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ وكذلك . . . ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾ . . . فالظاهر أن كلمة (رب) لها معاني مختلفة في هذه الايات أليس كذلك؟. .

ـ قال: أما ﴿يسقي ربه خمرا﴾ و﴿اذكرني عند ربك﴾ أي الملك فالذي نجا من السجن كان سيعصر خمرا للملك فطلب منه يوسف ان يذكر شأنه عند الملك (ربه) أي سيده، وكذلك عندما أراد الملك من يفسر حلمه طلب يوسف عليه السلام من مبعوث الملك ﴿قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ . . فالرب هنا يرجع الى شخص الملك أيضا .

(الرب) لغة هو المالك المتصرف السيد والمصرف للامور، وكل ذلك صحيح في حق الله تبارك وتعالى ولا يستعمل (الرب) لغير الله إلا بالإضافة . . فتقول (رب الدار) و(رب العائلة) (وربك) اي سيدك اما (الرب) فلا تطلق الا لله عز وجل .

سألته :

ـ هل يجوز للمرأة أن تقول لزوجها أنت ربي؟

ـ بمعنى أنت سيدي وأنت ملكي؟ـ لا بأس . . ولكن أين المرأة التي تقول

لزوجها أنه سيدها وملكها؟! . . قالت ـ لا اريد أن ارد عليك حتى لا نخرج من الموضوع .

ـ لكن ما الفرق بين (الرب) و(الإله) ؟

ـ (الرب) قلنا هو الملك ـ السيد ـ المتصرف بالامور فهو الذي يعطي ويمنع ويرزق ويحيي ويميت . . الخ . . اما (الاله) فهو (المعبود) أي انه لا يستحق العبادة غيره ولا ندعو غيره، ولا نخاف غيره، ولا نصلي لغيره وهكذا . . لا نصرف أي عبادة ـ قلبية أو بدنية لغيره ـ وينبغي على المسلم ان يحقق ما يقتضيه اللفظان (الرب) و(الاله) لله تبارك وتعالى . . فيؤمن بانه لا معطي ولا مانع ولا رازق ولا مصرف للشؤون الا الله وكذلك لا يستحق العبادة الحقة الا الله تبارك وتعالى، فلا يدعو الا الله ولا يستغيث الا لله ولا يذبح الا لله ولا ينذر الا لله . . وهكذا . .

ـ هل ينكر أحد هذه الصفات لله تبارك وتعالى؟

ـ أما المشركون فلم ينكروا (الربوبية) . . أي أنهم أقروا أن الذي خلقهم هو الله، والذي يرزقهم هو الله، ولكنهم أنكروا أن تكون هناك حياة اخرى بعد الموت وانكروا أن يكون هناك إله واحد فقالوا ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ . . فكان شركهم أنهم كانوا يعبدون غير الله . . أي يدعون غير الله ويرجون غير الله ويتقربون إلى غير الله فيذبحون للأصنام وينذرون لها .

ـ ولكن هذا يفعله كثير من الناس اليوم؟!

ـ أعلم ذلك . . وتذكرين عندما ذهبنا الى مصر ما كان يفعله الناس عند قبر (السيدة زينب) وكذلك عند (الحسين) وكذلك عندما ذهبنا إلى ايران عند (الرضا) وفي قم عند ضريح (معصومة) . . وهذا كله شرك بالله مناف للتوحيد وللعقيدة الاسلامية الصحيحة بل ومناقض للإسلام . . ولعل شرك الجاهليين أخف من شرك هؤلاء لان اولئك كانوا إذا اشتد بهم أمر رجعوا إلى الله كما قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ وكذلك ﴿فإذا مس الإنسان ضرٌ دعانا﴾ أما هؤلاء فإنهم اذا أصابتهم المصائب ونزل بهم مرض أو حريق أو عاهة دعوا غير الله فقالوا (يا سيدي يا بدوي) يا فلان يا علان بل أنا كنا ذات مرة في البحر متجهين إلى ايران قبل حوالي عشرين سنة . . فأصابنا من موج البحر ما أصابنا . . فلما اشتد الأمر كانوا يلقوننا أن نقول (يا الله يا محمد يا علي يا فاطمة يا حسن يا حسين) . . وهكذا يقولون (حتى يفرج عنهم ما ينزل بهم من مصائب) . . فالله المستعان . .

فيما ينسب الى الله

- كثيرا ما نقرأ في كتاب الله ايات عن اشياء تنسب إلى الله مثل (ناقة الله) و(أيام الله) و(عذاب الله) و(نعمة الله) و(رحمة الله) . . الخ فهل لك ان تفصل لنا هذه القضية .

كان هذا سؤال اختي في اخر جلسة لنا عند والدتي . . أجبتها :

- قبل ان نخوض في هذه المسألة الدقيقة المهمة ينبغي أن أذكر أن طوائف كثيرة من المسلمين خاضوا في مثل هذه المسائل و«فلسفوها» وخرجوا بأراء ومعتقدات مختلفة بل ومتناقضة . . ولذلك ما سأذكره هو معتقد السلف الصالح لان عقيدتهم - باجماع المسلمين - هي أحكم وأصلح وأقرب العقائد إلى الحق الذي جاء به الرسول ﷺ .

سألتني :

- هل تعني أن الفرق والطوائف الاسلامية تختلف في امور من العقيدة ؟

- نعم هذا ما عنيت وهذا من حديث الرسول ﷺ .

«افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة» . وهذه الفرقة الناجية؟ قال عنها ﷺ «ما أنا عليه وصحابتي» . .

قالت معترضة :

- ولكن هذا الحديث يعني أن من طوائف المسلمين من يخلد في النار؟

اجبت بهدوء :

- كلا . . ليس بشرط . . بل معنى هذا الحديث أنهم يدخلون النار بسبب مخالفتهم عقيدة السلف . . ثم يخرجون منها إن لم يكونوا وقعوا في شرك أكبر . .

فالقاعدة الشرعية الاولى في مسألة الجنة والنار هي : (لا يخلد في النار إلا من نقض توحيد الله ، أي أشرك) .

قالت : بالطبع هذا يشمل كل أنواع الشرك من عبادة غير الله ودعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله والاعتقاد بعدم جدوى شرع الله . . الخ اليس كذلك؟

- نعم . . هو ذاك يا اختاه . . ولنرجع الى موضوعنا .

- كدت انسى . . موضوع الاشياء التي تنسب الى الله .

ـ نستطيع أن نصف هذه الاشياء كالتالي:

● اشياء عينية قائمة بذاتها . . كالبيت والناقة والعبد والرسول فنقرأ (بيت الله) و(ناقة الله) و(عبدالله) وهذه نسبة تشريف وتعظيم وتكريم لهذه الاعيان ولذلك يجب تعظيمها واحترامها .

● اشياء غير عينية تنسب إلى الله وتقع على الخلق . . مثل (أمر الله) و(عذاب الله) فهذه من باب الترغيب والترهيب لتحقيق كمال إقامة الحجة على الناس . . فمثلا (عذاب الله) عذاب غير عذاب المخلوقين بل إن الرب تبارك وتعالى وصف المنافقين بقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ . . فعذاب الله لا عذاب مثله . . وأيضا (انتقام الله) . . يدخل في هذا الصنف . .

● اشياء تنسب الى ذات الرب تبارك وتعالى . . نسبة الصفة الى الموصوف . . مثل (رضا الله) و(حب الله) و(غضب الله) و(كلام الله) و(سمع الله) و(علم الله) و(يد الله) و(وجه الله) . . الخ . فكل هذه تدخل في باب صفات الرب تبارك وتعالى التي يجب على كل مسلم ان يؤمن بها كما جاءت في القرآن والسنة . . اي يجب أن يعتقد انها صفات حقيقية منسوبة الى الرب تبارك وتعالى نسبة الصفة الى الموصوف فيؤمن بها كما وردت دون ان يدخل في كيفياتها وماهياتها ودون ان يتصور اشكالا محددة لها ودون ان ينفيها أو يحورها عن معانيها .

فمثلا عندما نقرأ في القرآن (يد الله) يجب ان نعتقد ان للرب تبارك وتعالى يدا تليق بجلاله ومقامه ولا نقول ان (يد الله) ليس الا قدرته . .

وكذلك بالنسبة لـ (حب الله) نقول ونعتقد ان الله تبارك وتعالى (يحب) بعض الناس والاعمال حبا يليق بجلاله وقدره ولا نقول ان (الحب) هو ارادة الثواب وكذلك بالنسبة لـ(وجه الله) نؤمن بأن لله تبارك وتعالى (وجها) يليق بجلاله وقدره دون ان نتصور كيفيته أو شكلا معينا محددا له ولا نقول أن (وجه الله) معناه (قبول الله) . . أو (رضا الله) . . إلى غير ذلك فكل ما ينسب إلى الله تبارك وتعالى من هذا الصنف عقيدة السلف الصالح فيه هو أن نثبت الصفة لله تبارك وتعالى دون تمثيل أو تكييف أو تحريف أو تشبيه بل نؤمن بالصفات كما وردت في الكتاب والسنة حتى نسلم من التأويل الباطل والتشبيه المنكر . .

حاجتنا الى الله

على الرغم من معرفتي الطويلة به وقربي الشديد منه قررت أن أقطع علاقتنا فهو إنسان لا يذكرني إلا وقت الحاجة ولا يسأل عني إلا لقضاء عمل . .

لم تكن المرة الأولى التي أتخذ فيها هذا القرار . . إلا أنني كنت شديد العزيمة هذه المرة . . وعاهدت نفسي ألا أتراجع عن قراري كما افعل كل مرة.

وفعلا مضى على انقطاعنا عن بعض عشرة ايام . . ولكن . . بعد صلاة العشاء يوم الجمعة الماضي فاجأني بزيارته لي في منزلي . . رحبت به . . ولكنه اصر أن نخرج سويا . . حاولت الامتناع . . ولكني ضعفت أمام إصراره .

في الطريق بدأ هو الحديث دون أن يلتفت إلي لأنه كان خلف مقود السيارة . .

ـ كل مرة انتهى فيها من مشروع . . أشعر برضا كبير يملأ نفسي . . أشعر بوجودي وكياني . . ودوري في هذه الحياة . . اشعر انني فعلت شيئا وحققت امرا . .

ـ في مثل هذه اللحظات ينبغي على أحدنا أن يحمد الله ويرجع إليه الفضل ويعلم انه لولا توفيق الله لما استطاع ان يفعل شيئا .

أجاب بعد لحظة سكوت .

ـ بصراحة . . كثيرا ما انسى هذه النقطة . . عجيب امر الانسان في لحظات الضيق لا ينسى ربه بل لا يتوقف لحظة واحدة عن ذكره وطلبه وفي لحظات «النصر» يشعر انه هو الذي حقق كل شيء وبعرق جبينه كما يقولون .

كنت مسترخيا في مقعدي . . فاعتدلت قليلا . . وأجبت :

ـ هذه احدى القضايا التي يجهلها كثير من المسلمين وهي ان الانسان دائما بحاجة الى الله في كل شأن من شؤون حياته . . . فهو بحاجة الى الله في كسب عيشه والبقاء على صحته والحصول على لوازم حياته واسباب سعادته كالزوجة الصالحة والذرية الطيبة . . بل هو بحاجة الى الله للحصول على ملح طعامه وسكر شرابه . . . وهو بحاجة الى الله للمحافظة على الصلاة والهداية ان كان من اهل الصلاة . . وهو بحاجة الى الله في تحقيق التوحيد وعدم الوقوع في الشرك . .

التفت متعجبا من آخر كلامي . .

ـ ولكن إذا كان المسلم محققا للتوحيد أي موحدا لله ولا شرك عنده كيف هو بحاجة إلى الله في تحقيق التوحيد ؟ . .

ـ ألم تسمع حديث الرسول ﷺ عن الشرك حيث قال . . . «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا» أي أنه أخفى من صوت أرجل النمل على الصخرة الصماء . . وهذا تشبيه لبيان خفاء الشرك وعدم شعور الانسان به . . وعندما سمع ابو بكر هذا الحديث سأل: وكيف النجاة منه يا رسول الله؟ فأجابه ﷺ أفلا أدلك على شيء إن قلته نجوت من قليلة وكثيره قل «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وانا اعلم واستغرفك لما لا اعلم» او كما قال ﷺ . . وجميعنا يقول في صلاته كل يوم في كل ركعة (اهدنا الصراط المستقيم) فنحن بحاجة إلى معونة الله لنعبده ولمعونة الله للحفاظ على الهداية ولمعونة الله لتحقيق التوحيد وعدم الوقوع في الشرك . . وكذلك نحن بحاجة إلى معونة الله في طلب الرزق والتوفيق في العمل والحصول على الراحة النفسية وغيرها . . فنحن باختصار بحاجة الى الله في كل شأن من شؤون حياتنا . .

توقفنا عند احد الكافتريات واخذنا وجبة سريعة ثم توجهنا الى شاطىء البحر باحثين عن الهدوء والراحة . .

تابع صاحبي أسئلته فقال: ـ فهذا يعني أنه ينبغي أن ينسب الإنسان جميع ما فيه من خير ونعمة إلى الله ولا ينسبها إلى نفسه . .

ـ هذا هو الحق ان شاء الله . . وفي القرآن آيات كثيرة بهذا المعنى منها قوله تعالى على لسان داوود ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ . . . وكذلك عندما ذم الله تعالى قارون بيّن أنه نسب المال الذي جمعه إلى نفسه فقال تعالى على لسان قارون: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ وكانت العاقبة في النهاية: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ . (القصص١٨) .

ليست من أسماء الله!

كان بانتظار مولوده الثالث خاصة وأن موعد الوضع الذي اقترحه الدكتور مضى منذ عشرة ايام . . وبدأ الضيق يداخله والقلق يساوره أكثر من زوجته لم يكن قد استقر على اسم للمولود الجديد كما كان مع ابنيه الأولين فقال لزوجته مداعبا: المولود الأول اسميناه لأبيك والمولود الثاني لابي . . . والمولود الثالث لأب الزوجة الثانية فما رأيك ؟

لم تنزعج واجابت ساخرة: اتراك ستتزوج عاقرا . . يا ابا احمد . . لم يتوقع منها هذا الجواب الذكي فقلب الموضوع الى نقاش هادف قال:

ـ ما رأيك ان نسميه عبد . . . أحد اسماء الله الحسني؟ . .

ـ سمعت ان هناك حديثا يقول: (أحب الاسماء ما حُمد وعُبد) . .

ـ هذا حديث لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولكن الحديث الصحيح يقول: (أحب الاسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن) . .

لم تبد اهتماما كبيرا بهذين الاسمين . . .

ـ اريد اسما جديدا غير مألوف . . . عبدالمعز . . . عبدالمحيي . . . عبدالصمد . . . ابدى عدم قبوله واراد ان يسند رفضه بمنطق شرعي . . . فقال:

ـ هل المعز والمحيي من اسماء الله؟!

ـ بالطبع . . فليس معز إلا الله ولا محيي إلا الله . . أم لك رأي اخر ؟ .

ـ إسمعي يا خديجة . . . إن اسماء الله تعالى توقيفية ويجب على المسلم إلا يسمي الله إلا بما سمى به نفسه . . . سواء بالقرآن أو بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ . . . ولا يجوز اشتقاق اسماء الله من الافعال التي ثبت ان الله نسبها لذاته . . . فمثلا لم يثبت ان الله سمى نفسه بـ(المعز) ولم يرد بهذا الاسم في السنة . . . فلا يجوز ان تقول ان (المعز) من اسماء الله بدليل ان الله قال في سورة آل عمران ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ . . . الله يعز ويذل . . صحيح ولكن ليس من أسمائه (المعز) و(المذل) لأنه لا يجوز اشتقاق أسماء الله من الأفعال . .

استغربت خديجة هذه المعلومة والتقطت المصحف من على الطاولة قائلة . . . ولكن هذه الأسماء وردت في آخر المصحف على أنها من أسماء الله أنظر . . نظر إلى حيث أشارت . . .

ـ اعلم ذلك . . ولكن هذا خطأ شائع في العقيدة . . وكذلك اسم (الباسط) و(الجليل) و(النافع) و(الضار) و(القابض) فكل هذه الاسماء وغيرها مشتقة من افعال لله تعالى وهذا لا يجوز في العقيدة الاسلامية . .
قالت مستفسرة . .

ـ إذن ما هي التسعة والتسعون إسما التي ذكرها الرسولﷺ؟
ـ أن الحديث يقول: «إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها أو من حفظها دخل الجنة» . . . ولم يذكر الحديث هذه الاسماء . . . والعلماء متفقون أن لله أكثر من تسعة وتسعين إسما . . . وبعض أسمائه تبارك وتعالى لا يعلمها مخلوق كما قال رسول اللهﷺ في حديث الهم والحزن . . . (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك . .) وذلك الحديث رتب امر دخول الجنة على (حفظ) تسعة وتسعين إسماً . . و(الحفظ) ليس هو (القدرة على الترديد عن ظُهر غيب) . . . ولكن (المحافظة على معنى الاسم) بمعنى من علم أن الله سميع «فحفظ» هذا الاسم هو ألا يتكلم الانسان بكلام قبيح لا يرضي الله وهو يعلم ان الله يسمعه . . ومن علم ان الله (بصير) «فحفظ» هذا الاسم هو الا يقع الانسان في ما لا يرضي الله وهو يعلم أن الله يبصره . . وهكذا . .

ـ والله ما كنت أعلم هذا المعنى من قبل . . . ولكن هل هناك شيء يدل على (اسم الله الاعظم)؟
ـ الأحاديث التي وردت في هذا الباب لم تذكر (اسم الله الاعظم) صراحة ومن هذه الاحاديث أن الرسولﷺ سمع رجلا يدعو يقول: (اللهم إني أسألك بأنك الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. . .) فقالﷺ: «لقد دعا باسم الله الأعظم الذي اذا دعى به استجاب واذا سئل به اعطى» . . . ولكن العلماء في محاولة لجمع هذه أحاديث قالوا أن أسم الله الاعظم هو لفظ الجلالة (الله) . . حيث انه ورد في جميع الاحاديث (اسم الله الاعظم) . . وهو الاسم الوحيد الذي تأتي بعده كل الصفات دائما . . . وهو الاسم الذي لم يطلق على مخلوق قط . . . لا في جاهلية ولا اسلام . . . فمع ان المخلوق قد يوصف بأنه سميع بصير قوي رحيم . . إلا أن المخلوق لا يوصف بأنه (الله) أو أنه (رحمن) . . . ولكن الكفار وصفوا مسيلمة الكذاب بأنه (رحمن اليمامة) عندما نزلت: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ . . . قالوا ما نعرف الا رحمن اليمامة . . . ولكن لفظ الجلالة (الله) لم يطلق على مخلوق قط

. . . ارادت ان تنهض فقالت مازحة :

ـ واذا كانت بنتا . . . نسميها (عبدة الله)؟!

ـ بل (أمة الله) . . . يا أمة الله .

نواقض «لا اله الا الله»

كنت قد انتهيت لتوي من ايقاف سيارتي تحت المظلة فاذا بصاحبها ـ وهو زميل لي ـ خلفي يوقف سيارته تحت مظلة اخرى ـ اتقاء للمطر ـ حيث ان الوقت كان خارج الدوام الرسمي . .

اسرعنا الخطا الى المصعد . . دعاني الى مكتبه لاحتساء «شاي الدارسين» وقال : ـ اراك تتشدد كثيرا في قضايا العقيدة، ولا ترضى التساهل او التوسط فيها؟

ـ اظن ان هذا ما يريده الله منا . . فمن مقاصد الشريعة الاسلامية تمييز الخبيث من الطيب . . ففي العقائد هناك : التوحيد والشرك، ولا يصح الخلط بينهما . . . وفي العبادة هناك . السنة والبدعة . . ولا يصح الخلط بينهما . . وفي المعاملات هناك : الحلال والحرام ولا يصح الخلط بينهما . . فيجب على المسلم الا يترك القضايا مائعة هلامية غير محددة او كما يقال في «المنطقة الرمادية» . . وخاصة في قضية العقيدة . . لانها الاساس وقد بينها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وليس هي مجال لاجتهاد احد . .

ـ ولكن كيف تقول عن عامة الناس وقد نطقوا بالشهادة وقالوا لا اله الا الله؟!

ـ ان كلمة (لا اله الا الله) هي اعظم كلمة . . وهي (الكلمة الطيبة) . . . و(القول الثابت) . . الذي ذكره الله في سورة ابراهيم بقوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة﴾ . . . وفي الحديث ان هذه الكلمة هي مفتاح الجنة وضمان لعدم الخلود في النار حيث يقول الرسول ﷺ : (من قال لا اله الا الله صادقا بها قلبه دخل الجنة) . .

دب في حديثي الحماس والاندماج . . فتابعت قائلا :

ـ وهذه الكلمة (لا اله الا الله) تنقل المرء من الكفر الى الاسلام حتى في ساحات القتال . . وهي ـ ان كان صاحبها مخلصا صادقا ـ تزن وترجح سيئات كثيرة كما جاء في (حديث البطاقة) . .

سأل : ما (حديث البطاقة)؟!

ـ جاء في الحديث انه يؤتي يوم القيامة بالنجاة برجل فتوضع له سجلات كمد البصر كلها ذنوب واثام ومعاص فيفقد الامل بالنجاة . . فتوضع في كفة ميزان . . ويؤتى ببطاقة له هي سجل حسناته . . فيقول : وماذا تفعل هذه البطاقة بجانب هذه

السجلات . . فيرد عليه . . لا ظلم اليوم ولن تبخس عملك . . . فتوضع البطاقة هذه في الكفة الأخرى فإذا بها ترجح السجلات الكثيرة وتكون أثقل منها . . وليس في البطاقة إلا (لا اله ألا الله) . . فيدخل بها الجنة .

ـ هذا حديث عظيم وبشارة كبيرة . .

ـ ولكن تمهل . . ليست الكلمة مجردة من الصدق والإخلاص واليقين بل إن كثيرا ممن يقول (لا اله إلا الله) . . ينقضها مرات كثيرة في اليوم الواحد . . فكما أن هناك أمورا تنقض الوضوء فتبطله وكأنه لم يكن . . هناك أمور تنقض (لا اله الا الله) وكأنها لم تكن، ولا تفيد صاحبها مهما تلفظ بها . .

ـ وهل هذه الأمور مجمع عليها من العلماء أم هي مجال اختلاف؟

ـ كلا بل أهل السنة والجماعة مجمعون عليها . . . ومن هذه الامور . . سب الدين . . والاستهزاء به أو بشرائعه . . وكذلك تحقير كتاب الله والإستهزاء به سواء بأن يرميه المرء أو يجلس عليه استهزاء أو غير ذلك . .

ومن نواقض (لا اله الا الله) . . الإستهزاء بالرسولﷺ . . ومنها الإعتقاد بحلة شيء حرام . . . مثل الإعتقاد بأن الخمر حلال أو الزنا حلال وكذلك جحود شيء من الدين . . مثل إنكار أن الصلاة واجبة أو الزكاة مشروعة وواجبة . . . فهذه الأمور إذا أتى بها الإنسان فإنه ينقض شهادته بأن (لا اله إلا الله) . . . وكأنه لم يقلها .

ـ كثير من الناس يقع في اشياء من هذه !!.

ـ هذا من الجهل بالدين ويجب أن ينبهوا إلى خطورة هذه القضية . وقد ذكرتني بنقطة يقع فيها الكثير الكثير . . . وهي إرجاع الفضل لغير الله . . مثل أن يقول أحدهم : لولا الطبيب الفلاني لما شفي ابني . . ولولا فلان لما حلت مشكلتي . . هذا القول مخالف للعقيدة الصحيحة . . بل ينبغي أن يقول لولا الله ثم فلان ولولا الله ثم الطبيب . . فالله هيأ الأسباب للطبيب لكي يكون الشفاء على يديه .

ـ وما أهمية هذا التغيير الطفيف بالعبارة . . هو يقصد هذا ؟

ـ لقد أمرنا الرسولﷺ ألا نتساهل في مجال العقيدة ولا حتى بالالفاظ فذات مرة قال أحدهم للنبيﷺ ما شاء الله وشئت . . فنهاه وقالﷺ . . بل قل ما شاء الله وحده . . . والامثلة كثيرة ولكن أكتفي لأنه ينبغي علي ان أغادر إلى مكتبي .

ثانيا ـ القرآن كلام الله

الفاتحة

لم أتمكن من مغادرة مركز عملي إلا بعد أذان المغرب بدقائق فكان علي ان أتوقف عند اول مسجد طريقي إلى البيت لأداء الصلاة. . وفعلا كنت في أحد مساجد منطقة اليرموك خلال دقيقتين دخلت الصلاة في الركعة الثانية. . فإذا بالامام لا يتقن قراءة الفاتحة من حيث مخارج الحروف وتشكيلها . . . بعد الصلاة. . ألتقيت أحد زملائي ممن يسكن في تلك المنطقة سألته : لماذا لا تنبه الإمام إلى ضرورة إتقان قراءة الفاتحة؟

- هذا ليس الامام إنه المؤذن.

- ولماذا لم تتقدم للإمامة. . أظنك تقرأة الفاتحة بطريقة أفضل.

ابتسم مجيبا : مؤذننا. . لا يرضى ان يتقدم احد. . علاوة على اني لا احب ان اتولى مسؤولية إمامة الناس في الصلاة فهي مسؤولية كبيرة.

- بل الواجب عليك ان تتقدم ان كنت أحفظ للقرآن من هذا المؤذن الا اذا كان سيثير مشكلة في المسجد ولا اظنه يفعل ذلك.

- بل سيفعل. . وبالمناسبة ما هو فضل قراءة الفاتحة؟

- اراك تريد ان تترك الموضوع. . على العموم هناك احاديث كثير في فضل سورة الفاتحة. . فهي «أم القرآن» وهي أعظم سورة في القرآن. . ففيها ذكر لجميع أنواع التوحيد. . توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وفيها ذكر الآخرة والدعاء والاستعانة بالله. . وجاء في الحديث «إنك لا تقرأ بحرف منها إلا أوتيته». . أي عند قراءتك (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). . فإن الله يعطيك هذا.

- أليس هناك حديث بان هذه السورة مقسومة نصفين بين الرب وعباده؟. .

- نعم هناك حديث قدسي (يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي). . فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدني عبدي، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله : أثنى علي عبدي فإذا قال : (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي. فإذا قال (إياك نعبد واياك نستعين) قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب

عليهم ولا الضالين) قال الله، هذا لعبدي، فالنصف الاول من السورة (لله) والنصف الثاني منها (للعبد).. وينبغي على أحدنا ان يتذكر هذه التقسيمة وهذا الحديث كلما قرأ الفاتحة في صلاته.

كنا قد وصلنا إلى مواقف السيارات توقفنا قليلا نكمل الحديث..

ـ صراحة.. كثيرا ما أقرأها.. ولا أدرك إلا وقد انتهيت منها.. وربما لا اتلفظ بها.

ـ هذا لا يجوز.. إذا قرأت الفاتحة في الصلاة، حتى في الصلاة السرية (الظهر والعصر).. يجب أن تسمع نفسك على الأقل أي تحرك شفتيك بقراءتها حتى تسمع نفسك أما أن تقرأها في سرك ودون أن تتحرك شفتاك فهذا غير صحيح.

ـ وهل صحيح أنها تستخدم للعلاج من بعض الامراض؟

ـ نعم.. جاء في الحديث أن أحد الصحابة استخدمها في شفاء (رقية) أحد المصابين بلدغ.. وعموما يمكن قراءتها رجاء شفاء بعض الأمراض باذن الله تعالى.

ـ وهل هذا الحديث صحيح؟

ـ نعم هو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وابو داود..

ـ وماذا عن قراءة الفاتحة للأموات؟. يعني يقول أحدهم اقرأوا الفاتحة على فلان.. أويزور القبر يقرأ الفاتحة؟.

ـ وبعضهم يقرأها للأفراح.. وعلى العموم بالنسبة للأموات لا أعلم حديثا بقراءتها بل جاء في الحديث الدعاء للميت وطلب التثبيت له والرحمة وفي الأفراح لا أعلم حديثا في هذه المسألة.

فتحت باب السيارة هاما بالصعود فقال: ألا تجلس عندنا إلى صلاة العشاء ثم نتعشى سويا..

ـ جزاك الله خيرا فمنذ الصباح وانا خارج االبيت واظنني احتاج للراحة اكثر من الطعام.. (يالله) السلام عليكم.

آيات الترغيب والترهيب

قالت ـ أظن أن الايمان بأن هناك جنة ونارا هو الدافع الأساسي لكثير من الناس أن يلتزموا شرائع الإسلام من صلاة وصيام وزكاة. . ولكن معظم هؤلاء لا يعلمون من قضية الإيمان بالجنة والنار إلا مسائل إجمالية أما التفاصيل فلا. .

قال ـ إن المسلم غير ملزم أن يؤمن بتفاصيل أكثر مما جاء في القرآن والسنة. . بل يجب على المؤمن ألا يؤمن بشيء من قضايا الآخرة والغيب عموما إلا كما جاء في القرآن أو السنة. .

كانا في الطريق الموازي للبحر يطلبان بعض الهدوء والخلوة على شاطىء البحر. .

قالت ـ ما أستغربه هو شدة انفعال بعض صديقاتي بآيات العذاب وخاصة اذا قرأها الشيخ فلان. . فإنهن يتأثرن لدرجة البكاء وبعض الأحيان بصوت مرتفع. .

ـ لا تعجبي. . ففي الآثار أكثر من ذلك. . . والواقع إن آيات العذاب آيات مخيفة تجعل الفرائص ترتعد والجلد يقشعر والعين تدمع فمثلا عندما يتخيل أحدنا نفسه وقد تطايرت الصحف وهو لا يدري أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله. . ثم يرى النار كما وصفها الله. . ﴿كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾. . . أو بقوله تعالى : ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغني عني ماليه هلك عني سلطانيه. . . خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾. أو بقوله تعالى : ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيهاسمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألتهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى. . . ﴾.

قاطعته. . . :

ـ ولكن هذه الآيات إما في الكافرين أو المنافقين أما المؤمن فإنه يأتي ربه آمنا يوم القيامة. . . كما قال تعالى في سورة النمل ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وكذلك ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾.

فماذا تقول في هذه الآيات. . .

قال. . لا تعارض أبداً بين آيات الكتاب الحكيم. . بالطبع هذه الآيات تدل على أن المؤمنين هذا حالهم يوم القيامة ولكن من منا يضمن أنه سيكون فيمن سيأتون آمنين يوم القيامة. . إن المؤمن الحق لا يضمن عذاب الله ولا يزعم أنه أتى من الاعمال ما يبلغه الأمان ودخول الجنة يوم القيامة وهكذا وصفهم الله بقوله في سورة المعارج. . ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. . ﴾ وقد نبهنا الرسول ـ ﷺ ـ إلى ذلك حين قال. (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته). . فالأعمال ليست مقابلا لدخول الجنة وليست ثمنا لها ولكن الأعمال سبب يؤدي بفضل الله ورحمته إلى دخول الجنة. . . فالخلاصة أن المؤمن حاله أنه يخاف عذاب الله ولا يأمن إلى أنه لن يناله شيء من الأهوال يوم القيامة. . .

قالت ـ ولكن مقابل آيات العذاب هناك آيات النعيم. . .

أجابها ـ بالطبع. . فكل آيات العذاب وراءها آيات الرحمة وكل آيات النار معها آيات الجنة. . وذلك حتى لا ييأس المؤمن ولا يقنط وان كان مقصرا. . ففي بعض الاحيان يذكر الله أهل النار وعذابه ثم يستثني المصلين ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾. . . وفي مواضع أخرى يستثني (الخاشعين). . وهكذا. . . ولكن إذا كان أكثر الناس يعيش وعينه على الدنيا وقلبه مشغول بها وأمله كبير كبير أنه مهما فعل (فإن الله غفور رحيم). . هذا يحتاج إلى أن يقرأ آيات العذاب والنار حتى لا يظن أن المسألة مجرد (لسعة) أو (شرارة تنطفىء). . كلا. . . (بل إن أهون أهل النار عذابا رجل يوضع في أسفل قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه). .

القران ـ الانجيل ـ التوراة

ما الفرق بين القرآن والانجيل والزبور والتوارة؟ . .

ـ هذإ كلها كتب سماوية . . نؤمن بانها من عند الله ولا ننكر أيا منها . . ولكن القرآن يتميز عنها بانه محفوظ بأمر الله والقرآن تكلم الله تبارك وتعالى بالفاظه كما تقرأها . . فعندما نقرأ في القرآن (ألم) . . . الف لام ميم . . . فان الله تبارك وتعالى تكلم، وقال الف لام ميم . . .

هل من المفروض ان نتعلم هذه التفاصيل في باب العقيدة؟ .

ـ كلا . . في العقيدة يكفي الايمان الاجمالي . . مثلا نؤمن إجمالا بان لله تبارك وتعالى صفات وأسماء، ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها الرسول ﷺ في سنته . . أما حصر هذه الأسماء ومعرفتها كلها تفصيلا فليس فرضا على كل مسلم مع أنه من أفضل أنواع العلم . . .

أما في العبادات والفرائض فلا تكفي المعرفة الإجمالية بل لا بد من المعرفة التفصيلية . . فمثلا لا يكفي أن نعلم أن الله فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، بل يجب أن نعلم أوقاتها، كيفياتها، تفاصيلها حتى نؤديها صحيحة وإلا لا تقبل منا . . .

هل نؤمن بان الاناجيل الحديثة من عند الله؟

ـ ان عقيدتنا مصدرها القرآن والسنة . . . وفي القرآن جاء ان الانجيل قد حرف وكذلك التوارة كما قال لله : ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وكذلك : ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ وجاء في الاحاديث الصحيحة عن هذا التحريف في التوارة والانجيل . . . ولكن نؤمن بأن أصل الإنجيل من عند الله اوحى به إلى عيسى عليه السلام .

وماذا عن النصارى الذين يؤمنون بهذا الانجيل هل يعتبرون مؤمنين بالله؟ حيث انه في الاسلام ﴿لا اكراه في الدين﴾؟ .

ـ في الاسلام احكام للنصارى واليهود والمجوس شرحها اصحاب كتب الفقه . . وليس هؤلاء بمشركين مع ما في عقيدتهم من تشويه ووصف لعيسى بانه (ابن الله) ففي الاسلام لهم احكامهم المختلفة عن احكام المشركين حيث يمكن للمسلم ان يتزوج من مسيحية ويمكن للمسلم ان يأكل ذبح النصارى واليهود ولا يجوز له ان يفعل ذلك من المشركين والكفار اللادينيين مثلا .

ـ ويتزوج نصرانية ويترك نساء المسلمين والله لا يفعل ذلك الا (. . .) !
ـ اباح الله له ذلك. . ولكن. . .

لنرجع الى كلام الله (القرآن). . . هل فيه نوع من بركة او تأثير خفي يشفي الامراض، ويذهب بالعلل والمصائب؟!

ـ ان القرآن (كلام الله). . وهنا نذكر (صفة الكلام) لله عز وجل انه تبارك وتعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء وبما شاء ونحن لا نعلم كيفية هذا الكلام. ثم الذي يقرأ فهو يردد (كلام الله) الذي تكلم به حقيقة. . ولذلك كان لقراءة القرآن اداب وجزاء عظيم لا تخطر على بال حيث اخبر الرسول ﷺ انه بكل حرف عشر حسنات. . . الالف عشر واللام عشر والميم عشر، واخبر الله ان في القرآن شفاء لقلوب المؤمنين وليس الظالمين ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا﴾. . . فالاستشفاء بالقرآن وارد بقراءته وتلاوته. . . ولكن القرآن جاء أصلا لاقامة دين الله وتحكيم شرع ولإعلاء كلمة الله. . . فأن يترك المسلمون الغايات الكبرى من كتاب الله ويتعلقون بتنقيعه في الماء وتعليقه على الصدور وفي السيارات فهذا ليس بصحيح . . . والله اعلم.

سورتا التوحيد

كان لا يزال في مرحلة التعرف على الجيران والأماكن التي يحتاج اليها لقضاء الحاجات ولحسن حظه أقام في مجمع سكني يحوي عددا من زملائه في العمل . .
فى احدى جولاته سأله صديقه . .
ترى كيف تشعر بعد ثلاثة اشهر من الاقامة في الكويت؟
اجاب بلهجة فيها شيء من المبالغة . . .
ـ في الواقع وجدت الكويت اجمل بكثير مما كنت اتصور . . الناس . . الشوارع . . البناء . . نظام الاسواق . . اظن ان زوجتي سترتاح كثيرا عندما تأتي . .
وهل سيحضر الاولاد ايضا من السويد ويستقرون هنا؟
ـ بالطبع . . إن حضور الابناء واستقرارهم هنا كان أهم أسباب تقدمي للعمل في جامعة الكويت . . مهما يبتعد المرء عن ثقافته ودياره فإنه يبقى مرتبطا بالدين الاسلامي . الحنيف واللغة العربية . . وبصراحة . . لقد عقدت العزم بيني وبين نفسي أن أهيىء لأبنائي الجو المناسب ليتعلموا لغتهم الاصيلة ودينهم الحنيف . . فقد بلغ أكبرهم الثالثة عشرة واخته عمرها احد عشر عاما . . واظن انني ان لم استدرك الامر الان فإنه سيكون من الصعب عليهم تعلم اي شيء فيها بعد . .
وماذا عن الزوجة؟

ـ زوجتي ما زالت على دينها . . ولكني أحاول أن أعلمها شيئا عن الاسلام ومعنى الشهادتين . . ولكني أشعر بالتقصير تجاه نفسي . . فأنا لم أكن اصلي سوى العيدين وذلك طيلة فترة إقامتي هناك . . وقبل اسبوع فقط صليت الجمعة . . والان بدأت بصورة متقطعة أصلي بعض الفروض . . وأجد صعوبة في حفظ القرآن . . . وبصراحة فاني لا احفظ من القرآن الا الفاتحة وسورة (قل هو الله أحد) وسورة (قل يا ايها الكافرون) . .

قالها بشيء من الخجل . . فحاول صاحبه أن يهون عليه قال : هذه من أعظم سور القرآن وهي كافية لكي تصلي بها جميع صلواتك الى ان تحفظ شيئا اخر ولكن إن لم تستطع فهي كافية لإقامة جميع الصلوات . .

وبالمناسبة سورة الاخلاص (قل هو الله أحد). . جاء في الحديث (أنها تعدل ثلث القرآن) وذلك لأنها تتكلم عن أصل الدين الإسلامي الذي هو توحيد الله. . فالسورة تصف الله تبارك وتعالى بالوحدانية (أحد) فلا ثاني له ولا شبيه وتصفه تبارك وتعالى بقيامه بذاته دونما حاجة إلى شيء من مخلوقاته بل وحاجة مخلوقاته وقصدهم إليه (الصمد) أي القائم بذاته المقصود في قضاء الحاجات وتنفي عنه الوالد والولد والمثيل. . فكل هذه السورة وصف الله تبارك وتعالى ولذلك صارت تعدل ثلث القرآن. . اظهر صلاح اهتمامه بما يقوله صاحبه وترجم اهتمامه بان سأل. .

وماذا عن سورة (قل يا أيها الكافرون). . .؟

- هذه السورة أيضا تتناول أصلا من أصول الدين الإسلامي وهو أصل (توحيد العبودية لله). . . أي عدم صرف أي جزء من أجزاء العبادة لغير الله تبارك وتعالى. . فلا يمكن للمسلم أن يعبد الله ويعبد شيئا آخر مع الله سواء كان هذا الشيء الآخر حجراً أو شجراً أو قبراً أو ولياً. . أو أي شيء فالعبادة لا تكون إلا للّه وحده لا شريك معه. . . واللّه تبارك وتعالى لا يقبل من العبد عبادة إلا إذا كانت خالصة له وليس منها شيء لاحد آخر أو شيء آخر معه. . .

وجاء في الحديث أن هذه السورة (قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن وتسمى أيضا سورة البراءة من الشرك بمعنى أنه يجب على المسلم ان يتبرأ من الشرك بقدر ما يجب عليه أن يحقق الاسلام. . .

قال مبتسما. . فأنا الآن إذن أحفظ ما يعدل ثلث والربع من القرآن أي اكثر من نصف القرآن. .

- في الواقع لا ينبغي أن ننظر إلى سور القرآن هذه النظرة. . فعندما أخبرنا الرسول - ﷺ - بقدر هاتين السورتين نبهنا إلى قضية مهمة وهي أن قضايا التوحيد وما يتعلق بها هي أصل الدين الاسلامي الذي يجب على كل مسلم أن يحرص أشد الحرص ان يحققه. . فقضية التوحيد وعدم الوقوع في الشرك هي القضية الوحيدة التي يمكن أن تنجي المسلم من الخلود في النار فمن اعتقد الاعتقاد الصحيح باللّه ولم يقع في الشرك فانه لا يخلد في نار جهنم. . . ولكن قضايا الشرك كثيرة متنوعة ويقع فيها كثير من المسلمين جهلا ولأنهم لا يعلمون خطورة هذه القضية. . .

لغة القران

أصبح مرجعا لمحاضر الاجتماعات والتقارير والبيانات لشدة تمكنه من اللغة العربية. . لقيه ذات يوم في أحد المساجد وقت صلاة العصر فسأله. . .

ـ ما رأيك تكون ضيفي على فنجان من الشاي أو إن شئت قهوة عربية أو تركية؟ .

ـ انك محظوظ اليوم فلست على ارتباط بأحد فسألبي دعوتك ولكن ليس على شاي أو قهوة بل شيء بارد يخفف من حرارة الجو. . .

وفعلا ذهبا الى أحد الاماكن الهادئة يتناولان «البادر» . . .

سأله. . .

ـ قرأت أن اللغة العربية لغة مبالغة. . فكثير من التعابير اللغوية غير مراد ظاهريا. . . وخاصة في التعابير الرقمية أي التعابير التي تستخدم فيها الأرقام. . مما يشعر المرء بأن لغتنا غير دقيقة. .

وضع كوب (الآيسكريم) على الطاولة وأجاب. .

ـ هناك مدخلان لشرح هذه المسألة مدخل يتعلق بعلم اللغة ومدخل يتعلق بالعقيدة. . . لنبدأ بالعقيدة. . . أولا تعلم أن القرآن كلام الله. . أي أن الله تكلم به حقيقة. . . والقرآن أكمل كلام عرف ومعجزة لغوية لم يستطع أحد أن يأت بمثلها ولن يستطيع أحد ـ أنس أو جن ـ أن يأتي بشيء مشابه له. .

من هذا المدخل نستطيع أن نقول أن لغة القرآن هي أكمل لغة والأساليب المستخدمة فيها هي أصح الأساليب وأدقها في الكلمات والمعاني :

استأذنه ليقاطعه. . .

ـ ولكن لغة العرب ـ العربية ـ كانت قبل نزول القرآن وكانت لغة جميلة. . .

ـ هذا صحيح. . . بل كان العرب يقيمون المسابقات والأسواق لتداول آخر ما تفتقت عنه عبقريتهم اللغوية ـ ولذلك أتى القرآن ليتحداهم فيما أتقنوه وعرفوه وظنوا أنهم بلغوا القمة فيه. . . وأعجزهم أن يأتوا بسورة مشابهة لسور القرآن. . . ولغة القرآن استخدمت بعض الاساليب التي كانت عند العرب مثل الدليل على دوام الشيء واستمراريته أبدا بقوله ـ ما دامت السماوات والارض ـ فمع العلم أن

السماوات والارض لا تدوم أبدا ولكن هذا التعبير على الديمومة. . .

ولكننا بالنسبة للغة القرآن نؤمن بأنها لغة عربية (لسان عربي مبين) وأن الله تكلم بها حقيقة. . . (كلام الله) ـ أكمل لغة وأحسن اسلوب هو ما جاء في القرآن ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثله. . .

فسأله باهتمام. .

ـ ذكرت أن القرآن فيه ـ لغة رقمية ـ هلا أعطيتني مثالا . .

ـ يقول تعالى في سورة التوبة مخبرا رسول الله ـ ﷺ ـ عن المنافقين ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وجاء في الحديث أن الرسول ـ ﷺ ـ قال (والله لوعلمت أنه سيغفر لهم لو استغفرت أكثر من سبعين لفعلت). . . أي أن المعنى من الآية ليس المراد الرقم (٧٠) بل بيان الكثرة وعدم إمكانية حصول المغفرة. . .

وكذلك يقول تعالى في سورة لقمان عن علمه تبارك وتعالى :

﴿ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ ففي هذ الآية دلالة على عدم تناهي علم الله تبارك وتعالى ولا يُقال أنه لو كانت ثمانية أبحر لنفدت كلمات الله تعالى الله عن ذلك. . .

وهكذا ترى أن أكمل اسلوب وأحسن لغة فيها استخدامات رقمية ليس مراد ظاهرها وليست مرادة لذاتها وانما يراد منها التكثير. . وهذا ورثناه نحن بقولنا (اتصلت بك ألف مرة). . . أو (سألت عنك عشرين مرة ولم أجدك). . . وهكذا. .

ولكن كلمات القرآن هي كلام الله حقيقة وهو أكمل كلام وفرق بين كلام الله وكلام البشر كفرق بين الخالق والمخلوقين والله أعلم.

قصص القرآن

كان قد مضى من العصر اغلبه . . دخلت المنزل . . كان هادئا على غير العادة

ـ لم يطل عجبي لهذا الهدوء حيث وجدت الاطفال جالسين امام «التلفاز» يتابعون احدى التمثيليات . . ما ان رأوني حتى بادروني التحية . . وجرت الوسطى منهم تقول وهي تشير الى الشاشة الصغيرة . . هذا الرجل مات مائة يوم . . لا . . . مئة سنة، ثم أحياه الله . . فرأى اولاده كبروا ورأى كل شيء قد تغير . . الا ان طعامه بقي كما هو . اتعرف هذه القصة يا ابي؟

ـ نعم اعرفها ودعيني أولا اصل الى غرفتي وأبدل ملابسي ثم أحكي لي ما شئت . .

عدت . . تربعت امامي لتحكي لي قصة الرجل الذي مر على قرية خاوية لا حياة فيها وقال: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال: كم لبثت قال: لبثت يوما أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك . . ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

بعد أن انتهت نزلت إلى مكتبتي باحثا عن الهدوء . . لحقت بي أمهم أخذت مكانها في المكتب وسألت: ترى . . هل من العقيدة الايمان الجازم بهذه القصص؟ . . أعني هل يجب ان نؤمن بها؟ . .

ـ نعم . . ان القصص في القرآن لا ترد للتسلية والمتعة وزيادة المعلومات فقط . . بل هي أولا للأيمان بأنها وقعت حقا كما ذكرها الله . . بل ان العبارات التي ترد فيها نؤمن أنها قيلت كما أخبر الله تعالى . .

. . فمثلاً يحكي الله تبارك وتعالى عن موسى قوله: ﴿رب أرني انظر اليك﴾ فأننا نؤمن بأن موسى قال هذه العبارة وكذلك عندما قال ابراهيم لابنه ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ وأجابه اسماعيل: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾.

وكذلك قول فرعون لهامان: ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى اله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ . . . وكذلك جميع الأقوال والعبارات التي وردت في القرآن نؤمن أنها قيلت ووقعت حقا كما ذكرها الله .

وهذا من ايماننا بأن القرآن حق وأنه من عند الله وأنه كلام الله حقيقة . . ثم هناك عبرة أخرى من قصص القرآن وهي أن ما وقع سابقا يقع دائما إذا تشابهت الظروف ـ لأنها سنة الله في خلقه . . فنعتبر من القصص والأحداث الماضية حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا . .

قالت ـ ولكن ألم يخبر الله أن هذه الامة هي خير الامم؟ . . . استغربت سؤالها واجبت .

ـ نعم خير الامم ولكن بماذا ومتى؟ . . ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . . فكانت خير الأمم لأنها آمنت بالله وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . . ولكن إن تكفر بالله وتأمر بالمنكر وتنه عن المعروف فلن تكون خير الأمم وإن تسمينا (بالأمة الاسلامية) . . فالإسلام بريء من أمة باعت دينها وأرضها وكرامتها لأجل الكراسي ولأجل الدنيا . .

ـ أظنك تبالغ في موقفك من الأمة اليوم . . ولاثبت لك ذلك اشرح لي ما هو الايمان؟!

بدا علي الضيق والغضب . .

ـ لن نتكلم عن قضية الايمان اليوم . . وسأشرحها مرة اخرى إن شاء الله . . وتعالي نرجع إلى قصص القرآن . .

ـ كما تشاء . .

ـ فينبغي على المسلم أن يعتقد أن جميع الأخبار التي وردت في القرآن عن الأمم السابقة اخبار وقعت حقيقة . . وكذلك الأخبار اللاحقة. مثلا عندما يخبرنا الله عن الأمور التي ستقع يوم القيامة . . من كسوف الشمس وخسوف القمر واندثارهما وزوال الكواكب والنجوم وتدمير الجبال وتفجير البحار . . إلى غير ذلك يجب ان نؤمن إيمانا راسخا بأنها ستقع حقا وصدقا وكذلك عندما يخبر الله تبارك وتعالى عن الجنة: أنهارها ـ ثمارها ـ شجرها ـ ثياب أهلها زينتهم ـ غلمانها . . الخ . . يجب أن نؤمن بأن هذا كله حاصل لا محالة . . . وكذلك عندما يذكر النار: لهيبها، حميمها، أهلها، وتجادلهم وتلاعنهم، شرابهم وتألمهم، وصراخهم يجب ان نؤمن بأن ذلك حاصل لا محاله . .

ـ لماذا تركز على هذه القضايا الغيبية؟

ـ لأنني قرأت في أحد كتب الفلسفة أن أسلوب الترهيب والتخويف ورد في القرآن وأن لا وجود حقيقيا لهذه الأمور: الجنة والنار والنعيم الخ . . يقولون هذه أمور ذهنية أو عقلية أو طيف . . ولا وجود حقيقيا لها . . وهذا يناقض العقيدة

الصحيحة للمسلمين والتي هي الايمان بأن هذه الاشياء موجودة مخلوقة وسيراها الناس ويعايشونها حقيقة.

قالت: وهل نحن مطالبون بالايمان بتفاصيل هذه الأمور؟

- بالطبع .. كل تفصيل مهما صغر في كتاب الله يجب الإيمان به إيمانا جازما ..

- وهل هناك معيار لمعرفة درجة الإيمان الجازم هذه؟

- إن خير ما قرأت في ذلك هو أن يبلغ الايمان درجة لا يزيد بالاطلاع على دليل جديد في القضية ولأبين لك .. اذا كان اسمك (منى) مثلا: فهل اذا وجدت دليلا جديدا مثل ورقة قديمة لجدتك توصي امك ان تسميك بهذا الاسم هل هذا (الدليل الجديد) يزيدك يقينا على أن اسمك (منى)؟ كلا .. وكذلك في قضايا الإيمان الجازم الأدلة الجديدة فيها لا تزيد الانسان يقينا وإنما تزيده علما بما يؤمن به ايمانا جازما .. وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في قضايا العقيدة: إيمان جازم لا يعتريه شك فإن دخل قلبه شيء في أي قضية من قضايا الايمان والعقيدة بحثها حتى أذهب هذا الشك وأحال مكانه اليقين والإيمان الجازم.

الاختلاف في القراءات

سألني - هل تعرف أين يمكنني الحصول على أشرطة قرآن للشيخ الفلاني؟
- اعرف مكتبة متخصصة ببيع اشرطة القرآن ولكن لا أدري اذا كانت تبيع اشرطة هذا الشيخ . .
- هل يمكننا ان نمر بها في طريقنا . .
- لك هذا . .
كنت وصاحبي في طريق العودة من زيارة احد الاصدقاء في المستشفى . . بلغنا المكتبة، ولم نجد بغيتنا .
قال صاحبي بعد ان غادرنا المكان . . لا اعلم لم قال صاحب المكتبة انهم لا يبيعون اشرطة هذا الشيخ لانه لا يقرأ القرآن كما ينبغي !!
- في الواقع انا لم اسمع لهذا الشيخ فلا استطيع المشاركة بالرأي . .
- ولكن اليس القرآن هو القرآن لا اختلاف فيه، رسمه واحد وأنزل على الرسول ﷺ كما هو الان .
- عبارتك هذه تحوي قضايا متعددة . . أولا . . القرآن لا تحريف فيه ولا تغيير ولا تبديل . . وسيبقى كذلك الى يوم القيامة وقد تكفل الله بحفظه حيث قال جل وعلا ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ . .
والقضية الثانية . . ان هذا الرسم الذي بين ايدينا يعرف بالرسم العثماني للقرآن نسبة الى الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حيث جمع المسلمين على رسم واحد للمصحف . . فقد كانت هناك رسوم اخرى قبل ذلك .
والقضية الثالثة هي ان الرسول ﷺ قال في الحديث الصحيح «ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة» .
قاطعني صاحبي: قبل ان تسترسل في ذكر هذه القضايا . . ما معنى هذا الحديث الذي قلت انه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ .
- حديث (الاحرف السبعة) ثابت عن رسول الله بروايات مختلفة ولكنها تدل جميعا على ان القرآن يقرأ على سبعة احرف وجاءت عدة معاني (للاحرف السبعة) ولكن أرجحها ان شاء الله انها صور مختلفة لقراءة القرآن متفرقة في الكتاب لا تؤدي

الى اختلاف المعنى وكل هذه القراءات السبع نزل بها الروح الامين من عند الله تبارك وتعالى تسهيلا لالسنة العرب المختلفة . . فمثلا يقرأ الهذلى (عتى حين) يريد (حتى حين) ويقرأ الاسدي (تعلمون) بكسر التاء . . وقد علل ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) هذه الرخصة بقوله . . «ولو ان كل فريق امر ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد عليه ذلك وعظمت المحنة» . .

تعجب صاحبي مما سمع . . سألني: لماذا اذن جمع عثمان (رضي الله عنه) الناس على رسم واحد وقراءة واحدة؟

ـ هذا سؤال في مكانه ويدخل في باب العقائد وقبل ان اجيب ينبغي ان يكون واضحا ان الرخصة التي اعطاها الله هذه الامة في قراءة القرآن كانت رخصة محدودة، وكان على كل مسلم ان يقرأ كما تعلم من الرسولﷺ او من احد الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) فلا يلتزم بقراءة لم يتعلمها ولا يلزم احدا بقراءته وذلك امتثالا لامر الرسولﷺ «انزل القرآن على سبعة احرف فالمراء في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه» . .

اما لماذا جمع عثمان الناس على مصحف واحد . . فقد تعلم ان ابا بكر كان اول من جمع القرآن ثم تفرق الصحابة في الامصار يعلمون الناس دين الله وكانت هناك اختلافات في بعض قراءات الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فأخذ عامة الناس يكفر بعضهم بعضا بسبب اختلافهم في هذه القراءات فقد كان اهل الكوفة يقرأون عن ابن مسعود واهل البصرة عن ابي موسى، واهل حمص عن المقداد وهكذا حتى (ان ناسا كانوا بالعراق يسأل احدهم عن الاية فاذا قرأها قال: فاني اكفر بهذه، وفشا ذلك في الناس واختلفوا في القرآن) وفي رواية (كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه كفرت بما تقول) . . . فقام عثمان (رضي الله عنه) خطيبا بعد ان بلغته اخبار الامصار فقال (انتم عندي تختلفون في القرآن فمن نأى عني في الامصار اشد فيه اختلافا اجتمعوا يا اصحاب محمد واكتبوا للناس اماما» .

وهكذا ارسل عثمان الى حفصة: ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف) .

فاجمعت الامة على هذا المصحف الامام الذي ارتضاه جميع صحابة رسول الله فاخذت المصاحف التي تخالفه في بعض الرسم فاحرقت واصبح هو المصحف المرجع، باجماع امة المسلمين في ذلك الوقت الى اليوم .

قال صاحبي : اذن مصحف عثمان هو نسخة عن المصحف الذي كان عند ابي بكر . .

ـ نعم هو ذلك . .

ـ ولكن ماذا عن بعض المصاحف التي تنسب الى بعض الصحابة مثل مصحف ابن مسعود ومصحف ابي بن كعب ومصحف علي بن ابي طالب ومصحف عبدالله بن عباس وغيرهم؟

ـ هذه المصاحف كلها تحوي ما يحويه المصحف الامام والاختلاف الموجود فيها لا يخرج عن (رخصة الاحرف السبعة) . . مثلا نقرأ في مصحف ابن مسعود (المتزمل) بدل (المزمل) او (واذا السماء قشطت) بدل (واذا السماء كشطت) . . وهكذا، وكذلك الامر بالنسبة للمصاحف الاخرى المنسوبة الى من ذكرت من الصحابة . . اما ان يزعم احد ان هناك مصحفا لاحد مختلف تماما عن المصحف الامام المعروف لدى المسلمين، فهذا خروج عن دين الله مخالف للعقيدة التي جاء بها محمد بن عبدالله ﷺ .

ـ سؤال اخير في هذا الموضوع . . هل تجوز القراءة بالرسم الذي يخالف الرسم العثماني؟

ـ كلا . . لا تجوز القراءة . . والرخصة التي انزلت للرسول ﷺ كانت رخصة محدودة لذلك الظرف وتلك الالسنة التي كانت في جزيرة العرب، أما وقد اجتمعت الامة على مصحف واحد وقراءة واحدة فقد انتهت الحاجة الى (الرخصة) فلا يجوز الخروج على اجماع الامة.

ثالثا ـ الايمـــان

الاسلام والايمان

كان مدعواً للغداء عند بعض أقاربه . . بعد أداء صلاة الجمعة توجه مع أهله إلى مكان الدعوة . . ولم يكن الطعام قد جهز بعد . . ففكر بطريقة ليقطع عليهم لهوهم . . سألهم! . . من منكم صلى عند الشيخ فلان؟ . .

كانوا لا يزالون منهمكين باللعب فلم يجبه أحد . . فألقى السؤال مرة ثانية بشيء من المزاح: ام تراكم لم تصلوا الجمعة؟

فأجاب احدهم: اما انا فصليت في البيت ظهرا اربع ركعات . .

ـ لماذا لم تصل الجمعة في المسجد يا ماهر ؟

ـ الصراحة . . صليت مرة . . وإذا بالذي بجانبي يزعجني بتسبيحه وتكبيره حتى أني أعدت قراءة الفاتحة في الصلاة اربع مرات . . ومن يومها اصلي في البيت بشكل منتظم .

ـ ولكن هذا لا ينبغي من مسلم . . وخاصة في جانب الصلاة . . قاطعه وكأن لديه حجة قوية . .

ـ أليس المطلوب من المسلم ان يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسيول الله . . اشهد الف مرة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله . . وماذا تريد اكثر من ذلك حتى اكون مسلما . .

ـ هذا لا يكفي . . فالشهادة باللسان فقط لا تكفي للنجاة من النار . . بل إن الله تعالى لم يعد (المسلمين) بالجنة ولكن وعد (المؤمنين) بالجنة ووعد (المتقين) بالجنة ووعد (الأبرار) بالجنة . . أي أن لهم الجنة دون ان يعذبوا بالنار . . وهؤلاء هم الذين وصفهم بقوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ فالمؤمن هو الذي لا يقع في الكبائر وإن هو وقع فيها تاب توبة قوية نصوحا . . إن المسلم الذي يقع في الكبائر ويقصر في الواجبات التي أهمها الصلاة فهذا مطالب ومحاسب وقد يدخل النار ويعذب عذابا أليما يوما القيامة . .

ـ ولكن أليس الإيمان هو الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر . . ؟

ـ التصديق بهذه الأمور من الإيمان والصلاة من الإيمان وأعمال أخرى كثيرة من الإيمان . . فالإيمان قول وعمل . . وكل مؤمن مسلم ولكن ليس كل مسلم مؤمن . .

والإسلام والايمان بعض الأحيان لهما المعنى نفسه ولكن عموما الايمان أخص من الاسلام والايمان هو الذي يؤدي إلى النجاة من عذاب الله والمطلوب من المسلم أن يجتهد ويتعب حتى يدخل في دائرة الإيمان ويبقى فيها ولذلك تجد أن أغلب نداءات القرآن لاتباع الرسولﷺ جاءت بصيغة (يا ايها الذين آمنوا) . . ولم تأت بصيغة (يا ايها الذين اسلموا) . .

- يعني . . هل المسلم الذي يقصر في شيء من الأمور لايعتبر مسلما؟

- أنا لم أقل هذا ولكن قلت أن المسلم يجب عليه ان يحرص على طاعة الله وخاصة بالنسبة للصلاة، واجتناب الكبائر حتى يصل إلى مرتبة (الإيمان) وبالتالي ينجو من عذاب الله. أما الإطمئنان و(ضمان الجنة) بمجرد أن قال أحدنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهذا خطأ . . بل أن المنافقين - الذين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة - يقولون (الشهادة) . . ويعاملون في الدنيا معاملة المسلمين . . ولا يفترقون عن المسلمين إلا في المحشر عندما يؤمرون بالسجود فلا يستطيعون ولا يتمكن من السجود الا المسلم الصادق أما الذي يظن أنه ينجو بمجرد التلفظ بالشهادتين مع تركه للصلاة وارتكابه الكبائر من تعامل بالربا وشرب الخمر والزنى وغير ذلك فهذا بلا شك مخطأ . .

شعر ان الباقين وقعوا في شيء من الحرج، وبقي صاحب النقاش يرد ويجادل دون ان يقتنع او ربما اقتنع ولم يشأ ان يظهر شعوره بالخطأ . . فانتهى النقاش بان ناداهم صاحب الدار للتوجه الى الغداء.

الايمان بالله

في جلسة هادئة . . وبينما كانا يتناولان شاي وقت العصر . . قال لها . . اتصلت بي احداهن اليوم . .

قالت وقد قطبت جبينها . . إحداهن؟!

ـ نعم إحدى القارئات . . تبدي إعجابها بالمقال السابق . . وتسأل عن بعض قضايا العقيدة . .

ـ أم تراها تريد محادثتك فقط ؟

ـ العلم عند الله . .

قالها بثقة بالنفس . . وتابع . . ولكن كانت لديها أسئلة عن الايمان بالله .

سكت قليلا ليرى رد فعلها . .

قالت بشيء من الغيظ الذي لم تستطع اخفاءه . .

ـ ألا تعرف كيف تؤمن بالله؟

ـ اظن ان اسئلتها كانت وجيهة . . سألت مثلا عن حديث الرسول ﷺ قال الله تعالى: انا اغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . .

وسألت عن صفة الحياة والقيومية في قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وسألت عن معنى ان الله هو الاول وهو الاخر وهو الظاهر وهو الباطن .

قاطعته . . لتستوقفه .

ـ هلا شرحت لي هذه المعاني؟

ـ الله هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فليس فوقه شيء وهو الباطن فليس دونه (أي اقرب منه) شيء، والله متصف بالحياة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا نغص . .

فهو لا ينام ولا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ولا نعاس كما جاء في حديث ابي موسى عن الرسول ﷺ «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام».

أما صفة أنه (قيوم) فهو القائم على شؤون خلقه جميعا ولا يحتاج الى شيء ليقوم هو . . فنحن المخلوقون نحتاج إلى الطعام والراحة وغير ذلك لنقوم في هذه الدنيا ونبقى على قيد الحياة . . أما الله تبارك وتعالى وله المثل الاعلى فلا يحتاج الى شيء ليقوم بل هو القائم بذاته المقيم لخلقه .

ـ وعن ماذا سألت ايضا؟

قال ـ سألت عن صفات الوجه لله تعالى واليد لله تعالى والرحمة لله تعالى . . وأجبتها: يجب الإيمان بأن رحمة الله وسعت كل شيء وأنه يرحم المؤمنين خاصة والناس عامة إلا من يشرك به فإنه لا يرحمه وقد جاء في الحديث (أن الرسولﷺ قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده تحت العرش إن رحمتي غلبت غضبي).

ونقطة جانبية هنا وهي (العرش) الذي ورد في هذا الحديث وغيره فيجب الايمان بأن لله عرشا عظيما تحمله ملائكة كما اخبر تعالى في القرآن: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾ وهو عرش ليس كعروش ملوك الأرض وإنما عرش عظيم يليق بجلال الله وعظمته . . أما صفة اليد لله تبارك وتعالى . . فقد جاء في حديث البخاري ومسلم ان رسول اللهﷺ قال: (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار (أي منفق) أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والارض فإنه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الاخرى يرفع ويخفض) . . وجاء في الحديث ايضا أن كلتا يديه تبارك وتعالى يمين ـ فنؤمن بهذا ولا نعلم وصف اليدين ولا نستطيع ان نتخيلهما . . وكذلك يجب أن نؤمن بكمال علم الله تبارك وتعالى . . وانه مطلع على كل شيء «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» أي يعلم ما ينظر الانسان إليه خفية دون أن يراه أحد وكذلك ما ينوي عمله وما يخفيه في صدره . . وليس ذلك فحسب بل يعلم كل ما يتعلق بجميع الكائنات من حجر وشجر وذرات الرمال . . والحيوانات . . فقد رأى رسول اللهﷺ شاتين تتناطحان فقال: اتدري فيم تتناطحان يا ابا ذر؟ قلت: لا، فقالﷺ «لكن الله يدري وسيحكم بينهما».

قال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

قالت . . وماذا عن رحمة الله وعذابه؟

أجابها ـ تكلمنا عن رحمة الله أما عذاب الله فيجب الإيمان بشدة بطشه ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ . . وأن عذابه أليم وعقابه شديد (شديد العقاب) . .

وقال الرسولﷺ «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

ويجب أن نؤمن أن الله هو الغفور التواب على من تاب.

وجاء في الحديث ان الرسولﷺ قال: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي ان لا اغفر لفلان؟ اني قد غفرت له واحبطت عملك».

ففي الحديث تعدى الرجل حدوده عندما حكم ان الله لا يغفر لاحد المذنبين فأدى ذلك التعدي لحدوده والتقول الكاذب على الله ان ضيع الله اجر عمله وغفر للثاني .

الايمان بالملائكة

بعد ان فرغ الاطفال من مشاهدة الرسوم المتحركة . . دخلت علي ابنتي المكتب . . جلست على أحد الكراسي ولم تتكلم . . بقيت هكذا حتى انهيت ما كنت أكتب . . سألتني :

ـ هل تعرف كاسبر؟

ـ الذي في افلام الكرتون؟ نعم أعرفه . . وعندما كنت صغيرا كانوا يعرضونه في التلفاز . . ونردد اغنيته دون ان نفهم ما نقول . .

قالت . . هل هو من صنف الملائكة؟

ـ كلا . . إنه من الجن . . وكثير من الناس يسمون ما يظهر لهم من الجن «اشباح» . . أما الملائكة فمخلوقات تختلف عن الجن او الاشباح .

ـ لماذا خلق الله الملائكة؟

ـ خلق الله الملائكة لتعمل أشياء كثيرة في السماء والأرض . . فهم يطيعون الله طاعة تامة ولا يعصونه ابدا . . والملائكة مخلوقات عظيمة وكبيرة جدا وقوية جدا . . تستطيع ان تفعل اي شيء يأمرها الله به . . منها من يحمل عرش الله تبارك وتعالى . . ومنها من يعتني بالجنة، ومنها من يعتني بالنار، ومنها من يحفظ الناس عامة والمؤمنين خاصة، ومنها من يسجل اعمال الناس الخيرة ومنها من يسجل اعمال الناس الشريرة . . وهكذا هم يعملون اشياء مختلفة .

ـ هل هم مثلنا . . يأكلون ويتعبون؟ . .

ـ كلا نحن مخلوقون من طين أصلا . . والآن نحن من لحم وعظم وأعصاب . . ولكن الملائكة مخلوقة من نور وهي لا تأكل ولا تحتاج للأكل ولا تنام ولا تحتاج للنور ولا تحتاج لما نحتاج إليه من راحة وفسحة ولعب ومزاح . . ولكنها تفعل ما أمرها الله به إلى يوم القيامة . . فمن الملائكة ما هو ساجد من يوم خلق وحتى يوم القيامة . . ساجد لله تعالى . . .

ـ هل للملائكة أبناء وبنات؟

ـ كلا . . . الملائكة لا تتزاوج ولا تلد . . هي موجودة لأن الله خلقها . . وهي لا تموت إلا إذا شاء الله لها ذلك يوم القيامة .

ـ هل الملائكة لها أسماء ؟ . .

ـ نعم، هناك ملك اسمه جبريل . . وهو الذي نزل على الرسولﷺ في غار حراء وقال له ﴿اقرأ﴾ وهو أفضل الملائكة ينزل بالوحي من عند الله على الانبياء . . . ولم يره الرسولﷺ على صورته الحقيقية إلا مرتين . . وكان كبيراً جدا . . . جناحه سد السماء . . وهناك ميكائيل واسرافيل الذي ينفخ في البوق يوم القيامة فيموت كل الناس ويقع يوم القيامة . . . ومالك . . . الذي مهمته الاهتمام بنار جهنم ومن فيها . .

ـ وهل هناك ملائكة صغيرة . . . يعني في حجمي انا؟ . .

ـ لا ادري يا ابنتي . . ولكن كل انسان منا معه ملائكة كثيرة . . معنا ملائكة تكتب اعمالنا . . ومعنا ملائكة تحفظنا من الشرور والحوادث . . ومعنا ملائكة تستغفر لنا وتدعو لنا إذا نحن قرأنا القرآن وصلينا . . ومعنا ملائكة تحفظنا من الشيطان الرجيم . .

ـ من يغلب الملائكة أم الشيطان؟

ـ الملائكة يؤيدها الله على الشياطين ولكن الملائكة لا تتقاتل مع الشيطان . . . والملائكة تعين الانسان على الطاعة وتدعو له وتستغفر له والشيطان يغوي الانسان ويضله ويزين له الأعمال الشريرة . . . فهما يكونان مع الإنسان وكل واحد منا يختار من يريد ان يصاحب . . الملائكة أم الشياطين . .

ـ هل استطيع ان ارى الملائكة التي معي؟

ـ كلا لا تستطيعين ذلك . . ولا احد منا يستطيع ان يرى الملائكة في الحياة الدنيا . . . ولكننا نؤمن أنها موجودة لأن كل مسلم يجب عليه أن يؤمن بالملائكة . . وأنها تعمل كل الاشياء التي ذكرناها سابقا .

ـ كيف أبعد الشياطين عني وأجعل الملائكة معي؟

ـ إذا ذكرت الله او صليت أو قرأت القرآن أو قلت مثل ما يقول المؤذن في الاذان . . ففي هذه اللحظات تهرب الشياطين وتأتي الملائكة . . أما إذا أصبحت شريرة لا تسمعين القرآن ولا تطيعين أبويك ولا تصلين . . وتؤذين الناس وتضربين الصغار . . تأتيك الشياطين وتكون معك .

روح القدس

قال ـ اعلم ان المقصود بروح القدس، جبرائيل الملك الذي نزل بالوحي على محمد ﷺ ولكن ما معنى روح القدس؟

ـ القدس والقدوس «احد اسماء الله الحسني بمعنى المقدس المنزه عن كل ما لا يليق به تبارك وتعالى. . وروح القدس. . . نسبة جبريل إلى الله نسبة تشريف. . . مثل أن نقول. . بيت الله. . عبدالله. . ناقة الله. . . كلها نسبة للتشريف وليست للتجزىء. . فجبريل عليه السلام. . هو (الروح) لأنه الملك المكلف بنفخ الروح. . فروح القدس هو جبريل عليه السلام وهو ملك مخلوق جاء الرسول ﷺ بالوحي ورأه الرسول ﷺ على صورته الحقيقية مرتين: له ستمئة جناح وسد الأفق من ضخامته وعظمه.

ـ هل هو الملك الذي جاء مريم عليها السلام؟

ـ نعم. . فقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله في سورة مريم. . ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ اي أن الله أرسل جبريل في صورة رجل ولذلك قالت مريم ﴿اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾ أي تعوذت بالله من هذا الرجل حيث انها كانت منعزلة عن الناس تعبد الله فرد عليها جبريل ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾. . فبين لها أن الله بعثه بمهمة ان ينفخ فيها فتحمل عيسى عليه السلام. . واغلب المفسرين ان جبريل نفخ في فتحة ثيابها جهة صدرها. . فكان الحمل بعيسى عليه السلام ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا﴾.

ـ قال. . إذن فالذي نفخ هو جبريل وليس الله!!؟

ـ نعم. . . إن الله قال في شأن عيسى ﴿كن﴾ فكان عن طريق نفخة جبريل الذي تمثل بصورة رجل عند مريم عليها السلام. .

ـ هل حملت مريم كما تحمل النساء بعد ذلك؟

ـ نعم حملت به. . حتى أتاها المخاض. . وولدته تحت جذع الشجرة ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحت سريا﴾ أي عيسى تكلم في المهد فكان رسولا نبيا بعثه الله إلى بني اسرائيل. . . بالانجيل. . .

تابعت حديثي حول بعثة عيسى عليه السلام :

ـ ونؤمن بان عيسى جاء لبني إسرائيل ليخفف عنهم بعض الأوامر الشديدة التي كانت عليهم، جاء أيضا بتوحيد الله ان يعبدوا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد.. ولكن بني اسرائيل اتهموه بانه ابن زنى.. ولم يؤمنوا به... فما آمن له إلا اثنا عشر رجلا.. بل إن اليهود تآمروا عليه وألبوا عليه حاكم الروم ليقتله.. ولكن رفعه الله اليه وما قتلوه وما صلبوه.. ولكن شبه لهم.

ـ كم مكث عيسى في دعوته؟

ـ الأرجح أنه لم يمكث اكثر من ثلاث سنوات يدعو الى التسامح والى التوحيد، وإلى انه سيظهر نبي من بعده اسمه «احمد» يجب على بني إسرائيل إتباعه.. وقضى هذه السنوات الثلاث في فلسطين بين مدنها وقراها يدعو الى التوحيد، ثم وشى به اليهود وعندما ارادوا قتله رفعه الله اليه.

الايمان بالكتب

قالت : إنني أؤمن أن القرآن كتاب الله وكذلك أعلم ان الانجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى والتوراة هو الكتاب الذي انزله الله على موسى. . . فهل هذا هو (الايمان بالكتب) وهل نحقق بهذا الركن الثالث من اركان الايمان؟

اجابها : هذا اختصار شديد ينبغي توضيحه وشرحه.

كانا جالسين بالقرب من الشلال الصغير الذي انتهى من بناءه في البيت قبل يوم واحد.

تابع حديثه :

- ينبغي على المسلم أن يؤمن بأن الله أنزل على بعض انبيائه كتبا سمى بعضها كالتوراة والانجيل والزبور الذي انزل على داوود عليه السلام.

وكذلك يؤمن بان القرآن هو كلام الله تكلم به كما يليق بجلالة فنحن لا نعلم كيفية كلام الله ولكن نؤمن بان القرآن كلام الله تكلم به حقيقة دون ان نعلم الكيف وكذلك كلم الله موسى عليه السلام قبل محمد ﷺ.

- ترى هل جميع الكتب نؤمن بها بالمرتبة نفسها؟

- كلا. . . فينبغي على المسلم أن يؤمن أن القرآن هو المهيمن على سائر الكتب لقوله تبارك وتعالى ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾.

أي ان القرآن هو الذي يحكم بصدق الكتب الأخرى أو عدمه. . فالقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه من كل تحريف حتى في أحرفه ولذلك ما كان في اي انجيل او اي توراة موافقا للقرآن صدقناه وما كان معارضا للقرآن علمنا انه من تحريف أهل الكتاب وتزويرهم.

- وهل تحريف التوراة والانجيل قضية اكيدة؟

- نعم. . لقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه ان هؤلاء الناس غيروا كلام الله. . . كقوله : ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وكقوله ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ وكقوله : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

قالت مستنكرة : ولكن كثيرا من المسلمين اليوم مع انهم لا يحرفون الكلمات والاحرف التي في القرآن إلا أنهم يحرفون معاني القرآن والمراد من الايات بما يتفق واهواءهم ولا أظن أن هذا أهون من ذاك.

ـ نعم. . . هناك فئة من الناس من يفعل ذلك. . وهذه الفئة وقعت أما اتباعا لهوى وتحقيقا لرغبات اهل السلطة او لجهل وعدم اتباع منهج السلف الصالح في تفسير القرآن.

ـ لنرجع إلى قضية (كلام الله). . كيف نؤمن بها؟

ـ يجب ان نؤمن ان الله تكلم ويتكلم متى شاء بما شاء بطريقة لا نعلمها نحن وان كلامه كامل لا نقص فيه ولا عيب ولا غموض. . وان القرآن الذي هو كلام الله حقيقة لسان عربي مبين وأن الله أنزله تبيانا لكل شيء كما قال تعالى : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح ان الله يقبض السماوات والاراضين بيده يوم القيامة ثم ينادي ﴿انا الملك انا الجبار اين ملوك الارض﴾.

قالت : هل من ينكر شيئا من القرآن يكفر؟

ـ إن القرآن الذي هو كلام الله المنزل بواسطة جبريل على رسول الله ﷺ المبتدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) المنتهي بـ(من الجنة والناس) المتعبد بتلاوته. . هذا القرآن من أنكر منه شيئا فقد كفر وليس بمسلم وإن سجل في شهادة الميلاد أنه مسلم.

ـ هل يمكن استخدام القرآن للتشفي يعني كدواء؟

ـ لقد وصف الله كتابه بقوله ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ فيجوز ان يقرأ المسلم بعض اياته، وخاصة ما ثبت عن الرسول ﷺ قراءته بقصد الشفاء من الامراض خاصة الامراض المعنوية وليس معنى هذا الاعراض عن الأدوية الطبية. . فالرسول ﷺ أمرنا بالتداوي من الامراض حين قال «يا عباد الله تداووا فإن الله ما أنزل من داء إلا وجعل له دواء. . .»

وليس كل من يستشفي بالقرآن يشفى وليس كل من يقرأ القرآن يفيده.

ـ سؤال أخير. . ما معنى قرآن؟

ـ لنؤجل الأجابة إلى بحث آخر. . فالإجابة حديث أطول من مجرد كلمتين أو ثلاث.

الايمان بالرسل

دخلت مدرسة (التربية الاسلامية) الفصل... كانت (الحصة) الأخيرة وتجتهد المدرسة في ان تبث النشاط والحيوية في نفوس طالباتها حتى يتمكن من استيعاب الدرس..

بعد القاء التحية.. سألتهن...

- ترى هل عند اي منكم اي موضوع؟ مشكلة؟ رأي؟ او اي شيء تحب ان نناقشه اليوم؟!

لم تجب أي من الطالبات..

- ما رأيكن ان نقيِّم اليوم سهرة التلفزيون البارحة؟

قالت إحداهن..

- هل تغير منهج التربية الاسلامية ! - كلا.. كلا.. ولكن لا بأس من تأجيل الدرس قليلا... فلدينا متسع من الوقت...

- قالت إحدى الطالبات - لنناقش موضوعاً جاداً.

- وأجابت المدرسة بابتسامة: كما تردن.. لا مانع لدى ان اتفقن على الموضوع؟

- لنتكلم عن سهرة الامس... لقد كانت مقابلة مع احد الممثلين... ولفت نظري انه قال ان احسن ادواره كان دور حمزة (ابن عم الرسول ﷺ) ترى هل يجوز تمثيل هذه الادوار؟

اجابت المدرسة..

- صراحة... لا علم لدي... ولكن أعلم أنه لا يجوز إظهار صور الانبياء وتمثيل ادوارهم... ومع ذلك فاني شخصيا شاهدت أفلاما تصور انبياء الله مثل موسى وعيسى ويوسف ولوط وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

سألت ثالثة...

- لماذا لا يجوز تمثيل ادوار الانبياء؟

- كما تعلمن جميعاً الانبياء هم خيرة البشر وهذا في عقيدتنا الاسلامية وينبغي ان نؤمن أن الله اختارهم ورباهم وأرسلهم لتبليغ رسالته... وهم جميعا منزهون عن الكبائر من الذنوب... ولا يخطئون في تبليغ رسالاتهم عن الله ولا يأمرون الناس الا بما كلفهم الله بتبليغه.. أما تمثيل ادوارهم ففيه انتقاص كبير لقدرهم ومنزلتهم

عند الله. . . فمن الايمان بالرسل تعظيم مزلتهم واحترامهم.

ـ هناك تفاصيل كثيرة عن حياة الانبياء لا نعلمها فكيف نؤمن بها؟

ـ إن الايمان بالرسل هو الايمان بالاخبار التي وردت عنهم في القرآن الكريم وعدم تصديق اي كتاب او قصة تخالف ما ورد في كتاب الله او ما يقلل من شأنهم وبصورهم على انهم بشر كانوا يبحثون عن متاع الدنيا من نساء أو اموال أو مراكز وغيرها. . فكثير من قصص بني اسرائيل (الاسرائيليات) المنتشرة بين كثير من المسلمين تصور الرسل بصور لا تليق. . . ولا يجوز ان نؤلف القصص و(النكت) للضحك في حق اي نبي من الانبياء. . . هذا وللاسف يقع من كثير من المسلمين. .

ـ هل نحن ملزمون بأن نعرف اسماء الانبياء؟

ـ من ورد اسمه في القرآن يجب الايمان به كما ثبت ولكن لا يعني بالطبع هذا حفظ اسمائهم ولكن نؤمن بأنهم انبياء من عند الله.

ـ ولماذا نقول ان الرسول هو افضلهم؟

ـ لأن الله تعالى فضله على سائر الرسل تكليفا وامتياز. . . فهو خاتمهم ﷺ وهو المبعوث للناس كافة بل وللجن ايضا وجميع الانبياء قبله ارسلوا إلى أمم محددة. . وهو ﷺ صاحب الشفاعة الكبرى يوم القيامة واتباعه اكثر الناس يوم القيامة والوحيد الذي عرج به الى السماء السابعة والوحيد الذي تكفل الله بحفظ ما اوحى اليه. . . الخ. . .

فهناك فضائل كثيرة مذكورة في عدة كتب مثل «الشفا» للقاضي عياض و(شمائل الرسول). . . ولكن افضلية الرسول محمد ﷺ جاءت من تفضيل الله له وهذا جزء من عقيدتنا.

ـ وهل جميع الرسل لهم وظائف مختلفة؟

ـ اظن انه ينبغي ان نوضح السؤال قليلا. . . فجميع الرسل اتوا بمهمة واحدة هي كما قال الله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وكذلك ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. . فهم جميعا دعوا إلى (التوحيد) وعدم الشرك. . . ولكن كانت لهم شرائع مختلفة. . . كالنصرانية واليهودية والاسلام. . الخ. . .

وعلينا ان نحفظ للرسل مكانتهم واحترامهم بأن لا نستهزىء بأحد منهم أو نقلل من قيمته يجب أيضا ألا نرفع أحدا منهم ـ وخاصة الرسول محمد ﷺ ـ إلى منزلة الإله. . . فنذهب وندعوه ونستجير به ونناجيه عند قبره ونطلب منه الشفاء

والشفاعة. . . وإنما نطلب من الله أن يجعل الرسول ﷺ شفيعا لنا. . . وقد نبهنا الرسول ﷺ إلى هذه القضية وهو على فراش الموت وكانت من آخر وصاياه حين قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله». . . أي لا تكثروا من مدحي ورفع منزلتي كما فعلت النصارى مع عيسى (عليه السلام) حتى اعتبروه احدى صور الاله. . فهذا كفر بالانبياء وليس ايمانا بهم لانه تعد على الله تعالى. . .

بشرية الرسول

لف الهدوء المجلس . . فقد أوى الأطفال إلى فرشهم، سألت الزوجة:
- ما رأيك ان نذهب للعمرة لمناسبة المولد؟
- ومتى سيكون المولد ان شاء الله؟
- يوم الاحد المقبل . . نذهب الاربعاء مساء ونرجع الاحد . .
سحب وسادة واتكأ عليها بينما ما زال على سجادة الصلاة . .
- لا اظن نستطيع ذلك . . اللهم الا اذا دبرت شأن الاولاد . . . ثم لماذا الحرص على العمرة في هذه (المناسبة) بالذات . .
- فرصة . . وينبغي ان ننتهز الفرص . . وأعلم ان الاعتقاد بأفضلية الثاني عشر من ربيع الاول ليس صحيحا . . وانه غير ثابت انه ميلاد الرسولﷺ . . . ولكنها عطلة رسمية رأيت ان نستغلها . .
- صراحة . . ارى ان ذهابنا قد يوحي للعامة باننا نؤيد فكرة العمرة لمناسبة المولد فالافضل ألا نفعل في هذا الموسم بل لعلنا نتمكن من الاعتمار بعدها باسبوعين او ثلاثة في عطلة نهاية الاسبوع .
- هل يا ترى ما يروى ان والدة الرسولﷺ رأت نورا يخرج من بطنها وأنها لم تشعر بآلام الولادة وأن الرسولﷺ ولد ولم ينزل معه ما يكون مع المولود الجديد وأنهﷺ كان مختونا؟ . . صحيح؟
- لا ادري مدى صحة أي من هذه الاخبار ولكن دعيني أشرح لك قاعدة مهمة في هذه القضية . . وهي أن الرسولﷺ أخبر عن نفسه أنه بشر وأن الله تبارك وتعالى ذكر صراحة في أربعة مواضع من القرآن ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ فهذه عقيدة المسلمين أن الرسولﷺ بشر تجري عليه الصفات البشرية العامة في الولادة والبلوغ والجوع والعطش والمرض والصحة والسعادة والحزن . . . الخ .

فهو خير البشر ورباه الله تبارك وتعالى على أفضل الأخلاق وأحسنها . . . فهو الأمين الصادق حتى قبل بعثتهﷺ . . ولكن في صفاته البشرية هو كأي انسان ذو هيئة محدد،ة يمشي في الأسواق ويأكل الطعام ويؤذيه ما يؤذي البشر، يؤلمه ما يؤلم من الناحية الحسية . . إلا أن الله اختصه بالرسالة والوحي . . فهو معصوم عن الخطأ في تبليغ الرسالة وقضايا الوحي . .

ـ ولكن ألم يخطىء الرسولﷺ في قضية أسرى بدر، وقضية تأبير (تلقيح) النخل؟

ـ إن تسمية فعل الرسولﷺ في أسرى بدر (خطأ) فيه تجاوز وانما نقول انه (فعل خلاف الاولى) أي أنه عندما اجتهد وقبل من الاسرى أن يفادوا أنفسهم ولم يقتلهم عاتبه ربه وبين أن قتلهم كان الأفضل . . . وأما قصة تأبير النخل فانه مر على قوم ينقلون اللقاح من النخل المذكر إلى المؤنث فقال: لو لم يفعلوه لم يضره ـ مجتهدا بأمر دنيوي . . . فلم يثمر النخل . . . فسألوه فبين موقفه من هذه القضية بقوله: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» . . وقطعا هذا لا يعني: أنتم أعلم بالتشريعات والقوانين والسلم والحرب . . . وإنما أنتم أعلم بكيفية تسيير المصانع وتجهيز الطائرات، أما القضايا التشريعية والقانونية فالله أعلم بها وقد اتمها وبينها لنا .

فالرسولﷺ بشر في خلقه رسول من عند الله في تبليغه . . . تجب طاعته في كل شأن أمر به . . واتباعه هو المعيار الحقيقي لحب الله كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ .

مهمة الرسول (ﷺ)

قال : لقد قرأت في بعض الكتب أن الله لم يخلق الكون إلا من أجل الرسول ﷺ فهو محور الكون وسبب وجوده ولأجله وجد كل شيء وخلق كل شيء؟

اجبته منكرا : بالطبع هذا مخالف لعقيدة المسلم. . فكل مسلم يقرأ القرآن يعلم ان الله لم يخلق الكون لاجل احد. . وانما خلق العالمين لعبادته ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ بل أكد الله في القرآن وأكد الرسول ﷺ في السنة انه ليس الا بشر. . . ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي أنما إلٰهكم إلٰه واحد﴾ . . وفي الحديث «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم بل قولوا عبدالله ورسوله» .

قال : ولكن الرسول افضل البشر، اليس كذلك؟

ـ نعم هو كذلك. . .

ـ هل نستطيع ذكر أهم مهمات الرسول ﷺ لا ان نحصرها، ولكن لنحاول تتبعها من القرآن؟!!

ـ هيا. . هات المصحف والمعجم المفهرس لالفاظ القرآن. .

واستقر الكتابان أمامنا وقلبنا المعجم على لفظ (رسول) آية تقول ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا﴾ فمحمد ﷺ مبشر بالجنة وبالأخبار الخيرة بصورة عامة لمن يتبعه وكذلك منذر من يخالفه بالخزى في الدنيا والآخرة. .

وآية اخرى ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ . . وذلك انه يوم القيامة يشهد كل نبي على أمته. . . ويكون الرسول ﷺ شاهدا على ان جميع الانبياء قبله أدوا مهامهم إلى أممهم ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ . . وكذلك يشهد محمد على أمته بالحق إن خيرا أو شرا. .

﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ ومن مهامه التبليغ وإظهار الدين لجميع العالمين ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ . . وكان هذا الاظهار بالحجة تارة وبالسيف تارة آخرى وبالدعوة تارة ثالثة. .

ـ دعني أكمل البحث انا. . هذه آية أخرى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ .

قلت : هنا ينبغي الحديث بعض الشيء. . إن الرسول بعث في العرب يقرأ عليهم آيات الله ويزكي أنفسهم اي يطهرها بالتعاليم الشرعية والأخلاق العالية ويعلمهم الوحي الذي يأتيه بالاحاديث. ولكن هذا لا يعني انه سيحابيهم يوم القيامة او سيكون لهم «واسطة» عند الله . . كلا فالله تبارك وتعالى أخبر قائلا ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ . . وكذلك قال ﴿ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ . . أي أنك يا محمد لست بوكيل على هؤلاء ولا حفيظ عليهم إن هم أعرضوا عن دين الله وتركوا شريعته سينالون جزاء ذلك . . إنما أنت عليك مهام وواجبات محددة أدها كما أمرك الله ولا تحزن ولا تسأل عن الذين يخالفون أوامر الله . . . وعندما أنزل الله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ . . جمع الرسول ﷺ جميع اقاربه وعشيرته وقبيلته . . وقال : «يا بني هاشم لا أغني عنكم من الله شيئا . . يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيئا . . يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا» . . فالعبرة بعمل الانسان واجتهاده وليست بانتسابه وعائلته وأصله وفصله.

واجبنا تجاه الرسول ﷺ

- في أحد الموشحات الدينية يقول صاحبه . . يا رسول الله خذ بيدي . . فهل هذا القول جائز يا أحمد؟

أدار أحمد قرص المذياع ليخفض الصوت . .

- هذا من المغالاة في الرسول ﷺ وقد نهى عنه بقوله . . (لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم وإنما قولوا عبدالله ورسوله).

- ولكن أليس من واجب المسلم حب الرسول ﷺ أكثر من أي شيء آخر.

- نعم . . فبعد ان يسلم المرء بأن محمداً رسول من عند الله ويصدق بأن كل ما جاء به إنما هو وحي من عند الله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ . . يجب عليه أن يحب الرسول ﷺ حباً أكثر من أي شيء آخر حتى النفس. وهذا الحب للرسول ﷺ كان في حياته كما جاء في الحديث عن عائشة أن أحد الأنصار جاء رسول ﷺ فقال . . (إنا لنغدو ونروح وننظر إلى وجهك يا رسول الله وإني لأكون في شأني فأذكرك فلا أصبر إلا أن آتى فأراك) . . هذا جزء من حديث يبين مدى تعلق الصحابة الحسي بالرسول ﷺ . . فقد كانوا يحبونه حباً شديداً . . ونحن اليوم ينبغي ان يكون في قلوبنا مثل هذا الحب . . . بأن نتمنى رؤية الرسول والحشر معه ولقائه ومجالسته . . إلى آخر مستلزمات حبه ﷺ ولكن دون أن نصل في حبنا له ﷺ أن نرفعه إلى درجة إلاله كما فعلت النصارى . . نحبه ولا يغيب عنا انه بشر.

- وماذا بعد الحب؟

- يجب علينا ان نحترمه ونبجله . . كما أخبر الله تعالى آمراً المؤمنين ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ فكان الصحابة لا ينادونه (يا محمد) . . وإنما (يا رسول الله) او (يا نبي الله) . . . ونحن يجب علينا أن نحترم حديثه ونبجل قوله ﷺ ونصلي ونسلم عليه إذا ذكر اسمه. وفي المقابل يجب على المسلم ألا يؤذي الرسول ﷺ . . . كما أمر الله تعالى بقوله ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ . . وكذلك ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ وبالطبع يدخل في معنى ايذائه ﷺ الطعن أو الإنتقاص من أهل بيته أو زوجاته أو ذريته رضوان الله عليهم أجمعين.

ـ وماذا عن تقليده ﷺ في لبسه وشربه واكله؟

ـ من أفعال الرسول ﷺ ما هو تشريع للأمة . . . كمثل تقديم اليمين على الشمال في اللبس والدخول . . وكمثل طول ثوبه . . واستخدامه للسواك . . واضطجاعه على الجانب الايمن . . وغيرها . . فهذه أمور فعلها الرسول ﷺ كتشريع لأمته من بعده . . وهذه ينبغي على المسلم أن يتبعها ما استطاع بنية اتباع السنة ويؤجر على ذلك . . . وهناك امور فعلها الرسول كبشر . . وتسمى (سنن العادة) . . كمثل لبسه لخاتم الورق (اي الفضة) . . وطريقة مشيته . . وتفضيله لانواع من الطعام وإعراضه عن أصناف أخرى . . فهذه ليست من العبادات ولكن إن فعلها المسلم لنفسه بنية حب الرسول ﷺ فإنه يؤجر على ذلك .

ـ ولكن كثير من الناس يفعل هذه الأمور الصغيرة ويترك عظائم القضايا .

ـ هذا مثل تقديم المستحب على الواجب والسنة على الفرض ولا ينبغي لمسلم أن يفعل ذلك . . فالقاعدة للجميع هي (لا تقصير في الفراض ويطبق كل مسلم ما استطاع من السنن دون أن يلزم الاخرين بها) . . وكل واحد يعرف طاقته ومدى قدرته فيجب عليه أن يأخذ ما يستطيع دون تشدد يؤدي إلى الخروج عن حدود السنة أو يؤدي إلى الضجر والملل فيما بعد . . فكما أخبر الرسول ﷺ . . (ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) . . . أي إذا حاول المرء أن يلزم نفسه بجميع السنن والفرائض والمستحبات ظانا انه سيغلب الدين . . . فإن الدين سيغلبه . . وينقلب الامر عليه . . .

الصلاة على النبي (ﷺ)

اعتادت ان تجمع صديقاتها كل شهرين للقاء والحديث.. تحاول كل مرة أن تختار موضوعا للنقاش بدلا ان تمر الساعات الطوال بالقيل والقال عن فلانة وعلانة.. واعتادت الصديقات على أسلوبها، ذات مرة.. قطعت حديث (القيل والقال)..

- صلوا على النبي..

أجبن بصورة انفرادية غير منتظمة... وهدأ الجو فسألتها خولة:

- هل صحيح أن من صلى على النبي يصلي عليه الله عشر مرات؟

قالت أظن أن أم عبد الرحمن أولى بالإجابة على هذا السؤال:

توجهت العيون إلى أم عبدالرحمن التي قالت:

- في الواقع هناك حديث صحيح بهذا الموضوع وأن من صلى على النبي مرة صلى الله عليه عشر مرات.. وهذا الحديث ينبغي شرحه بمعنى أن الصلاة على النبي هي طلب ودعاء إلى الله أن يسبغ عليه رحمته كما قال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.. فالصلاة من الله ان يرحم عبده والصلاة من الملائكة ان تطلب الملائكة وتدعو الله للنبي ﷺ والصلاة من المؤمنين هي كما علمنا الرسول ﷺ «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد»... ومعنى أن الله يصلي على المؤمنين أن يرحمهم وعشر مرات للزيادة وتكثر الاجر..

قاطعت ام عبدالله: هل لي بسؤال.. هل صحيح أن الرسول ﷺ يرد السلام على من يصلي عليه؟!

- نعم جاء في حديث صحيح ما يفيد هذا المعنى.. حديث قال ﷺ: «ما يصلي علي مسلم إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه سلامه» أو كما قال: ولكن كيفية رد روحه عليه وكيفية علاقة روحه بجسده.. قضايا غيبية لا نعرفها ولا نستوعبها ولكن نؤمن بما ثبت من أحاديث صحيحة.. وذلك لأن الملايين تصلى عليه في اليوم والليلة فكيف ترد عليه روحه ليرد كل هذه التحيات والصلوات لا نعلم ولكن نؤمن..

- وهل على كل مسلم أن يصلي على الرسول ﷺ كلما ذكر اسمه؟!
- جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «أبخل البخلاء من ذكرت عنده ولم يصل علي».

فمن الأدب معه ﷺ أن يصلي عليه المسلم كلما ذكر اسمه وقال بعض العلماء أن هذا الكلام المقول وليس في الكلام المكتوب، وقال آخرون أنه يكفي أن يفعل المسلم ذلك مرة واحدة في الجلسة الواحدة.. ولكن إذا كان الله يصلي فيها على المسلم عشر مرات كلما صلىّ على رسوله لماذا لا يكثر الإنسان من هذه المقولة ليزداد من الرحمات والثواب، غادرت لتخدم ضيفاتها وتتابع الحديث..

فسألت خولة وهي دائما كثيرة الأسئلة..

- هل يجوز أن يقول المسلم صلى الله عليه وسلم؟ أي يدعو لنفسه..
- من حيث العموم نعم يجوز للمسلم أن يطلب من الله أن يرحمه ولكن هذه الصيغة (ﷺ) اختص بها الرسول فلا ينبغي أن تعطى كل الناس، حيث هي خاصة للرسول ﷺ.. وكذلك بالنسبة للصحابة اختص بهم أن نقول رضي الله عنهم فلا نختص أحدهم بقولنا (عليه السلام) أو (ﷺ) أو كرم الله وجهه بل كلهم نقول عنهم (رضي الله عنهم)... وأما الانبياء فنقول عنهم (عليهم السلام) أو (ﷺ).. وغير ذلك لم يثبت عن الصحابة أو التابعين.. ولكن كثيرا من الناس يقول ما دام المعنى هو طلب الرحمة لماذا لا يطلب الانسان الرحمة لأي أحد.. وهذا نرد عليه بأن الصيغة التي اختص بها الرسول جاءت في القرآن بقوله تعالى: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.. وكذلك لم يثبت عن الصحابة أو التابعين أنهم ذكروا هذه الصيغة لأحد غيره ونحن إن أردنا الهداية علينا اتباع نهج السلف من الصحابة والتابعين.. فهو النهج السليم والصراط المستقيم.

التوسل بالرسول

كان سالم جالسا قرب المحراب في المسجد النبوي يجول ببصره في السقف متأملا النقوش محاولا قراءة الايات والاحاديث التي نقشت على الجدران وفوق الاعمدة . . . وبينما هو كذلك انقطع استرسال فكره بصراخ وشجار عند قبر الرسول ﷺ . . كان احد الحرس ـ بلباسه المتميز وعصاه الطويلة ـ يحاول منع احدهم من التعلق بجدار القبر الحديدي . . ولكن الرجل أبى إلا أن يلصق بالجدار متمتما بكلمات . . فجذبه الشرطي بقوة ودفعه بعيدا . .

تردد سالم قبل ان يقرر التدخل بين الشرطي والرجل الذي بدا في العقد الرابع من عمره وقد بدأ الشيب يغزو شعره . . لم يحاول الرجل الرجوع وغادر المكان غاضبا معلنا اعتراضه على سياسة منع «التبرك» بقبر الرسول ﷺ . . توجه سالم الى الشرطي . . وبهدوء سلم عليه وسأله:

ـ ماذا فعل ذلك الرجل؟

لم يكن الغضب قد فارق الشرطي بعد فأجابه بعين محمرة وأنفاس ثائرة . .

ـ يريد ان يدعو الرسول ﷺ . . وهذا شرك، والله شرك . . هؤلاء الناس لا يفهمون الدين . . يأتي ويقول يا رسول الله اعطني . . يا رسول الله اشف ابني يا رسول الله ارزقني . . » هذا شرك ما يجوز أحد يدعو شيئا في الدين . . فالله هو الشافي وهو الرازق وهو المعطي .

سأله . .

ـ ولكن هل حاولت أن تفهمه أن هذا العمل شرك ؟

هز رأسه متأففا . .

ـ هل تصدق ان هذا ثالث يوم يقوم فيه هذا الرجل بنفس العمل وكل يوم أشرح له الامر واوضح له . . يرجع بعد ذلك الى ما نهيته عنه بالامس .

ـ ولكنه بالتأكيد لا يعتقد ان عمله شرك ولكنه يعتقد أن دعاء الله عن طريق الرسول ﷺ ادعى للاجابة .

ـ أنت تعلم أن قول: (يا رسول الله) او (يا جبرائيل) او (يا امام الزمان) كلها من بابٍ الدعاء او الاستغاثة تدخل في باب الشرك، ولكن من يقول ذلك قد يكون جاهلاً، فاذا شرح له ينبغي ألا يعود ولكني أرى يوميا عشرات من هؤلاء، وفي المواسم مئات منهم . .

وأما قولك أنهم يدعون الله ولكن عن طريق الرسول فأني سمعت كثيرا منهم يقول: (بجاه النبي) أو (بجاه أبي بكر) أو غير ذلك من الألفاظ التي تعني اتخاذ الرسول او غيره واسطة او وسيلة الى الله وهذه بدعة في الدين ولا تجوز . . . ومع أنها ليست كدعاء الرسول، أي أنها ليست شركا إلا أنها لا تجوز ولا تنبغي لمسلم أن يفعلها .

ـ أعرف ذلك وأنه لا يجوز التوسل بالصالحين إلا في حال حياتهم أما بعد موتهم فلا يجوز دعاءهم . . ولكن هل تعلم أن في بلاد المسلمين الأخرى يبنون القباب المذهبة والأبنية الرخامية الفخمة على القبور ويشجعون الناس على زيارتها والدعاء عندها ويضفون هالة قدسية عظيمة على المواضع والمساجد التي فيها أضرحة . . فالمسلمون يقومون بـ «الزيارة» والتبرك ويأخذون النذور إلى هذه المواضع ويذبحون القرابين عندها وخاصة أيام الجمع وفي الأعياد والمناسبات الدينية . . . فأظن انه ينبغي ألا تغلظ القول والمنع على هؤلاء لأنهم يجهلون أمر دينهم . .

ـ إن أردت الحق فإني أوافقك فيما قلت . . إن أول ماينبغي ان يتعلمه الناس . . حتى قبل الصلاة . . هو التوحيد والشرك حتى لا يقعوا في الشرك من حيث لا يعلمون لأنه من أشرك فقد حبط عمله ولا تنفعه صلاته ولا صيامه ولا حجته ولا زيارته ولا شيء وكما قال الله : ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ . . . وكذلك: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ . . فهؤلاء الناس إذا تساهلنا معهم ارتكبوا الشرك هنا عند قبر الرسولﷺ فينبغي أن نشتد معهم وننهاهم ونمنعهم وليقولوا ما شاءوا بعد ذلك فإنني اعتقد أننا ما دمنا نخدم مسألة التوحيد فإن كلام الناس لا يهم .

وهنا اقتربت امرأة محاولة التمسح بجوار القبر . . فضرب بعصاه على السور منبها إياها الا تفعل فذهبت بعد ان القت نظرات الغضب والغيظ . .

سألته . . .

ـ ولماذا تمنعهم من التمسح بالجدار . . ألم يكن الصحابة يتباركون باجزاء من الرسول كشعره وثيابه؟ . .

ـ كما قلت لك سابقا إن تركتهم يفعلون شيئا من هذه وقعوا في الشرك . . . فهم يعتقدون ان هذه الاشياء تنفع او تضر . . فلو تركتهم يعلقون شيئا لنذروا وعلقوا نذورهم ولو سمحت لهم بالذبح لأتوا وذبحوا لاجل الرسول . . . فمن باب سد الذرائع نمنع كل هذه الامور ليبقى هذا المكان لا شرك فيه .

وهنا اقترب رجل وامرأته ناحية القبر وقد حمل الرجل طفلا على كتفه محاولا التمسح بالجدار . . فاستأذن الحارس وأسرع نحوهم ينهاهم عن التمسح وعلمهم أن زيارة قبر الرسولﷺ تكون بأن يقول الانسان: «السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا عمر» ويمضي . .

المولد بين البدعية والشرك

إلتقيته في الممر وكعادته استوقفني قائلا :ـ كل عام وأنتم بخير. . . أم انكم تقولون شيئا آخر في هذا البلد. . . ؟!

أجبته باستغراب :ـ وما المناسبة؟! قال : ده المولد الأسبوع الجي. . وله حضرتك ناسي. .

ـ ولماذا «كل عام وأنتم بخير» أهو عيد أم مناسبة للإحتفال. . ولعلمك وفاة الرسول ﷺ كانت في اليوم نفسه الذي يزعم عامة الناس أنه يوم مولده !!

كان كلامي شديدا بعض الشيء. . أجابني بشيء من الضيق : أراك لا تهتم بهذه المناسبة التي يتجهز لها المسلمون ويعدون لها الأكلات والحلاوة الخاصة ويستقبلونها بالأغاني الدينية، ويحيون ليلتها بالقصائد والأذكار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ.

أجبته بهدوء بعد ان دخلنا غرفة المكتب واخذ كل منا مكانه : نحن اناس علميون. . تعال نتحدث حول هذا الموضوع على أساس علمي حتى نصل إلى الحق في هذه المسألة :

أولا : لم يثبت يوم ميلاد الرسول ﷺ في الثاني عشر من ربيع الاول. . هذا بشهادة من يحتفلون بالمولد. . .

ثانيا : وإن ثبت يوم ميلاده ﷺ. . فجميع علماء الاسلام متفقون على ان صحابة رسول الله لم يحتفلوا، فالاحتفال بالمولد لم يظهر إلا في عصور متأخرة بعيدة عن عهد النبوة والعهود الاولى الصافية النقية.

ثالثا : المحتفلون بالمولد يظنون انهم بذلك يتقربون الى الله تبارك وتعالى ويكسبون حسنات بذكر الرسول ﷺ والصلاة عليه. . والتقرب الى الله يعتبر عبادة. . والعبادة كلها محرمة إلا ما ثبت ان الرسول ﷺ شرعه.

رابعا : المحتفلون بالمولد يتشبهون بالنصارى الذين يحتفلون بميلاد المسيح عليه السلام. . . وهذا التقليد الأعمى نهى عنه الرسول ﷺ بل وأمرنا بمخالفة اليهود والنصارى فيها ليس من شرعنا. . . وهذا يذكرني بحادثة يقول احد الاخوة، انها حصلت له في مصر عندما أراد أحد المسلمين أن يثبت أن محمدا أفضل من عيسى

عليهما السلام، فعندما قال النصراني عيسى ابن الله قال ذلك المسلم الجاهل : بل محمد ابن الله.. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

خامسا : بعض القصائد التي يلقيها ويرددها المحتفلون بالمولد تمدح الرسول ﷺ إلى درجة الاله !.. كمن يقول : «يا رسول الله خذ بيدي».

فليس لأحد أن يدعو الرسول أو يطلب منه ان يأخذ بيده بل يطلب ذلك من الله مباشرة.. والرسول ﷺ نهانا عن اطرائه أي مدحه حين قال : «لا تطروني كما اطرت النصاري المسيح ابن مريم، ولكن قولوا : عبدالله ورسوله».

سادسا : الموسيقى والرقصات التي تصحب القصائد والتي يسمونها : اغاني دينية ليست من الدين الاسلامي والتشريع بشيء وانما هي من وحي الشيطان..

سابعا : وهنا استوقفني.. قائلا.. ـ وهل ستعطيني محاضرة ساعة كاملة عن المولد.. خلاص يا اخي بطلنا مولد... ولكن ما الضرر من ذكر الرسول ﷺ والصلاة عليه.. وتخليد ذكراه، ومدحه؟ !

ـ أنا لم اقل لا تذكر الرسول ﷺ بل اذكره وصلِّ عليه في كل في وقت ولكن أن نفعل ذلك في الثاني عشر من ربيع اول مع ما يصحب ذلك مع محظورات ذكرتها فهذا هو الممنوع والمحظور.. ولو اردنا حقا أن نقدر الرسول ونحترمه ونوقره فينبغي ان نتعلم منهجيته وسننه ونطبقها في أنفسنا وحياتنا بكافة جوانبها، أما أن نجعل سنة الرسول ﷺ إحتفالا نلقي فيه القصائد والمدائح ونغني فيه ونرقص فهذا اهانة وابتعاد عن منهج الرسول ﷺ...

قام يهم بالخروج إلى مكتبه :

ـ قل لي الآن ما أفضل شيء في المولد؟؟

أجبته مبتسماً العطلة الرسمية التي نتمتع بها... !!!

نحن بحاجة الى مولد حقيقي

الثاني عشر من ربيع الاول هو التاريخ الذي اتخذه المسلمون ميلادا للرسول ﷺ وكذلك لوفاته عليه الصلاة والسلام . . يوم تعطل فيه الدوائر الحكومية . . تلقى فيه القصائد . . وتذكر فيه شمائل الرسول ﷺ . ويبالغ كثير من المسلمين في الاحتفال به (باختراع) أذكار وشعائر ظنا منهم أن في ذلك قرب إلى الله وأن (من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) . . كل هذا ومن يحتفلون بميلاده ﷺ قال عن ذلك . .

(من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد) وقال: (إن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

إن جميع شعوب العالم تعلم أن ذكرى ميلاد أي زعيم فرصة لإحياء مبادئه وتطبيق شعاراته واتباع تعاليمه ومنهجه وهذا حاصل على المستوى الرسمي والشعبي في جميع دول العالم التي تعتز بزعائمها إلا أن عالمنا الإسلامي عامة والعربي خاصة وبجهود الجهات الرسمية استطاع أن يبقى الإحتفال بمولد النبي ﷺ محصورا بين جدران المساجد وأزقة الأحياء القديمة . .

فأين نحن ـ شعوبا وحكومات ـ من شعاره العظيم ﷺ «لولا أن اشق على أمتي لما جلست خلف أي سرية في سبيل الله» أين نحن من قوله:

«وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من عاداني» أين نحن من تحذيره لنا: «. . وإذا تركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

إن رسولنا ﷺ لا يريد منا الاحتفال بمولده بالقصائد والمدائح والأذكار المخترعة إنه ليس بحاجة لتعظيمنا مكانته بالكلمات المصفوفة المسجوعة . . بل إنه حذرنا من ذلك: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله».

عجبا لهذه الامة . . تحتفل بالزعماء وتقول: إن الاحتفال بها هو اتمام المسيرة التي بدأوها، والمضي على المبادىء التي نادوا بها. وتحتفل بالرسول ﷺ . . وتصمت دون حراك وإن نطقت اكتفت بالقصائد والكلمات.

ولكن ـ ولله الحمد ـ هذا هو التوجه الرسمي فقط. أما الشعوب فأظنها تريد مولدا حقيقيا . . تريد معرفة شعارات رسولها ﷺ. وتريد أن ترى بيارقه . . لأنها تعلم أنه طريق العزة والنصر. وسيكون لها مولدا حقيقيا ولكن ليس هذا العام!

عند قبر النبي

اعتدنا أن نعتمر دون المرور بالمدينة لضيق الوقت وخاصة إذا كانت الرحلة بطريق الجو . . قررنا هذه المرة أن نقضي عشرة ايام في رحلة العمرة قضينا خمسة منها في مكة وكنا في المدينة في الأيام الخمسة الاخرى . . أعمال التجديد والترميم ما زالت قائمة . . صلينا العشاء وبعد انقضاء السنة انتظرنا قليلا ثم ذهبت وصاحبي الى «الروضة» وهي المكان بين منبر الرسولﷺ ومنزله وبالطبع لم يكن من السهل الحصول على مكان لاداء ركعتين . . توجهنا الى جهة القبر . . وقفنا عنده . . (السلام عليك يا رسول الله) . . ثم تنحينا يمينا (السلام عليك يا ابا بكر) . . ثم (السلام عليك يا عمر) . . لم يكن المكان شديد الزحام . . وكذلك لم يكن الطريق سالكا للسير . . لمحت احد الاخوة . . لم اعرفه . . ولكنه كان متأثرا حيث غطى نصف وجهه بكفيه وبدت عيناه حمراوين من اثر البكاء . . رجعت وصاحبي الى مجلسنا الاول ننتظر بعض زملائنا . . اقترب منا ذلك الشاب الذي لمحته وبعد السلام والسؤال عن مكان اقامتنا . . قال:

- هل رأيتم ذلك الرجل الذي قطع علي دعائي؟

واشار الى رجل في متوسط العمر . . يلبس «البشت» والغترة الحمراء دون عقال . .

- هل حاولت الاقتراب من سور القبر؟

- كلا . . ولكنه ربما ظن انني اريد ذلك . . فقال . . . (إستقبل القبلة هناك وادع) . .

- ربما كان معه حق فلو تركوا لكل احد أن يفعل ما يشاء عند قبر الرسولﷺ لرأيت الذين يدعون الرسولﷺ وينذرون له . . ويتوسلون به . . فلعل منع أية شبهة أفضل وأكمل لسد الذريعة من تحويل قبر الرسول إلى مكان للعبادة والنذر والدعاء وقد نهىﷺ عن ذلكم بقوله:

(لا تتخذوا قبري عيدا) . . . اي تعودون إليه بين فترة واخرى لقضاء حاجة ونذر شيء وغير ذلك . .

- ولكن المسلم يشعر بخشوع وهو بجانب قبر الرسولﷺ ويريد أن يدعو ويستغفر ويرجو أن يرى الرسول ويكون تحت لوائه يوم القيامة . .

استرخى صاحبي في جلسته ومد رجليه وترك الحديث لي مع ذلك الشاب . .

ـ لو رجعنا الى القرآن . . لوجدنا أن اصل قيام بعض الاصنام أنه كان هناك أناس صالحون توفوا فقال عامة من كان معهم: لو بنينا قبورهم نتذكرهم ونذكر فضائلهم . . ثم أتي جيل بعد هؤلاء عظموا شأن اولئك الصالحين حتى صاروا يعبدونهم بالدعاء والنذر والرجاء وطلب النفع ودفع الضر عند قبورهم . . وهذا الأمر واقع عند الأماكن التي يظن الناس أنها قبور اولياء الله . . . وهذا كله من باب الشرك بالله . . ولكن بفضل الله لا نجد شيئا من ذلك عند قبر الرسولﷺ .

ـ ولكن أليست زيارة قبر الرسول واجبة؟

ـ كلا . . . لم يثبت في حديث صحيح أو أثر جيد أن الرسولﷺ أمر بأن يزار قبره . . ولكن إذا أتى المسلم مسجد النبي ﷺ بقصد العبادة والصلاة في المسجد فينبغي أن يزور قبره ويسلم عليه ويقرأ الصلاة الابراهيمية (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد).

ـ وهل يصح الحج دون أن يزور المسلم مسجد النبيﷺ وقبره؟

ـ لا علاقة بين الحج وزيارة المسجد النبوي . . الحج عبارة عن المناسك التي يؤديها المسلم في مكة يوم الثامن والتاسع والعاشر وايام التشريق من ذي الحجة . . . فإذا أدى تلك المناسبة فقد أدى الحج أما إذا أراد أن يزور مسجد النبي لزيادة الأجر حيث أن الصلاة في مسجد النبيﷺ تعدل خمسين ألف صلاة فلا بأس في ذلك . . وكما قال الرسولﷺ (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاصقى) . . استغرب الشاب لهذه الاجابات وكأنما يسمع اشياء غريبة لم تخطر له على بال . . اكملنا حديثنا عن قضايا اخرى حتى وصل اصحابنا فغادرنا المسجد . .

العصمة

كانتا تمضيان الوقت بانتظار موعد المختبر الذي لا يبدأ قبل الثانية بعد الظهر، قالت لصابحتها مداعبة : هل تعلمين يا معصومة ان عليك ان تغيري اسمك؟

ـ وما الاسم الذي يناسبني يا مستشارتي النفسية؟

ـ انا لا اقصد هذا. . ولكن اسم (معصومة) فيه تزكية. . أقصد أن معنى (معصومة). . الانسانة التي لا تقع في الاخطاء والزلات. . ولا اظنك كذلك.

أخذت فنجان الشاي بين اصبعيها وقالت متفاخرة ولكني أقل خطأ من غيري. . . وعلى أية حال ليس هناك انسان معصوم.

ـ بل من البشر من هو معصوم. . . وهم الانبياء. . . وليس أحد بعد الانبياء معصوما. . فمن عقيدة المسلم أن يعتقد أن الأنبياء ليست فيهم عيوب جسدية كالامراض المنفرة وغيرها وكذلك هم معصومون عن الذنوب والمعاصي. .

ـ لقد درسنا أن الرسول ﷺ اخطأ في حق الاعمى الذي اتاه . . فانزل الله تعالى : ﴿عبس وتولى أن جاءه الاعمى. . ﴾

ـ ان هذا الفعل من النبي ﷺ وكذلك فعله بأن احتفظ بأسرى بدر فعاتبه الله بقوله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض. . ﴾ هي أخطاء بمعنى أنها أفعال خلاف الاولى. . . أي كان الأولى بالنبي ﷺ أن يفعل ما ذكره الله في كتابه. . من الجلوس إلى الاعمى (عبدالله ابن ام مكتوم) وإجابة سؤاله. . وكذلك عدم الاحتفاظ بالأسرى والقضاء عليهم. كما كان رأي عمر (رضي الله عنه) ـ وهذه الافعال من النبي ﷺ ليست ذنوبا وإنما لم يكن قد اوحي إليه شيء بشأنها ففعلها على الوجه الذي ظن أنه الأصلح للدعوة ولكن الله بين له بعد ذلك الفعل الأولىٰ والأحسن. . .

وهذه الأمور قليلة معدودة. . . أما الذنوب والمعاصي فالأنبياء معصمون عنها. . . بلا شك ولا تردد. .

قالت وهي تشير الى صاحبتها بأن تشرب عصيرها :ـ الم يكن الصحابة معصومين؟

أخذت شيئا من العصير ثم اجابت : كلا. . . ليس أحد بين الانبياء معصوما

لا الصحابة ولا أهل بيت النبي ﷺ ولا الأولياء ولا الأئمة ولا السادة. . فالصحابة رضوان الله عليهم وقعوا في ذنوب ووقعت بينهم معارك وسقط بينهم قتلى وجرحى كثيرون. . ولو كانوا معصومين لما حصل ما حصل. . ومع ذلك فينبغي أن نؤمن بأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا خير البشر بعد الأنبياء وخير الناس كما أخبر بذلك الرسول ﷺ فهم اجتهدوا وأخطأوا ووقعوا في «المعاصي». . ولكن بعضهم كان أفضل من بعض وأقل تقصيرا. . وأفضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعا. . وحتى أولئك الذين وقع بينهم اقتتال منهم من بشره الرسول ﷺ بالجنة ومنهم من دعا له بالمغفرة والهداية والتوفيق ودعاء الرسول مستجاب بلا شك. . فحسناتهم رضوان الله عليهم أكثر بكثير من سيئاتهم. . فيجب علينا ان نعتقد بافضليتهم وحرصهم على الدين ونزاهة نواياهم وسرائرهم ونقول كما قال الله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾. ولا شك أن الصحابة بعمومهم أفضل المؤمنين بعمومهم. .

شاركتهما سعاد وكعادتها دخلت وسط الحديث :ـ انتما لا تكفان عن هذه النقاشات. . .

ووضعت ما كانت تحمل من كتب واشياء اخرى على الطاولة وقالت :ـ الا تسألين عن موضوع النقاش اولا؟. .

قالت غير مكترثة :ـ لا حاجة لي في هذا النقاش. . تكفيني هموم الامتحانات. .

توجهت معصومة الى زميلتها سائلة :ـ نقطة اخيرة قبل ان ننتهي. . اليس لقرابة الانبياء مكانة خاصة في البشر؟

ـ بصورة عامة القرابة ليست هي السبب في خصوصية المكانة فمثلا نوح عليه السلام من اولي العزم من خيرة الرسل إلا ان ابنه كان كافرا. . . ولوط كان من الرسل إلا أن زوجته أصابها ما أصاب أهل القرية من خسف وعذاب. . ولكن من نشأ في بيت النبوة عادة يكون قد نشأ على الخير والأخلاق الفاضلة الحميدة والتقوى. . سواء كان إبنا أو أخا أو زوجة او قريبا. .

ورسولنا ﷺ أوصانا باهل بيته وجعل حبهم من الدين فحب آل البيت من حب الرسول ﷺ وحب الرسول شرط في صحة الاسلام وكذلك حب أزواجه واحترامهن. . ومع ذلك فلم يكن اي من هؤلاء معصوما فالعصمة لا تكون الا لنبي ولا نبي بعد محمد ﷺ.

محمد نبي الامة

سألني : ما الذي ستفعله في العطلة الطويلة؟..

استغربت السؤال.. فكرت قليلا دون فائدة وقلت : وهل هناك عطلة طويلة وما المناسبة..؟

ـ المولد...

ـ آه... اذن كل هذه الاحتفالات... والمسرحيات الاستعراضية والسهرات الفندقية والاعلانات في التلفاز والصحف لأجل (عطلة المولد)... تناقض !..

أناس يحتفلون بالمولد بالبدع.. وآخرون يحتفلون (بالوناسة)... والاسلام لا يريد هذا ولا ذاك...

سأل متحديا !.. وكيف تحتفل بالمولد أنت؟

ـ بعد ان أخذت نفسا عميقا وآهة متحسرة.. الاحتفال بالمولد ليس من الدين فالله بعث محمدا ﷺ رسولا... لا لنحتفل بمولده وهجرته بل ارسله كما قال تعالى :

﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أن مهمة الرسول ﷺ كانت تلاوة ايات الله التي توحي اليه، وتزكية العرب، وتعليمهم القرآن والسنة... وكذلك اخبر تعالى : ﴿انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم﴾... فالرسول ﷺ شاهد على كل مسلم يوم القيامة... بانه ادى الذي عليه اكمل اداء ﷺ... وفي المقابل بين الله واجب المسلمين تجاه هذا النبي ﷺ فقال :.. ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.. وكذلك قال : ﴿يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾.. فأول ما يجب على المسلم الايمان بالرسول انه خاتم الانبياء تلقى الوحي من عند الله لفظا بالقرآن ومعنى بالسنة النبوية الصحيحة ويستجيب لما جاء في القرآن والسنة...

ثم قال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال عز من قائل :... ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا﴾.. فينبغي على المسلم تجاه الرسول الحب والطاعة والاجابة والتوقير والاحترام والمساندة

والدعم بالقول والعمل. . . سألني. . . ولكن ما معنى ان الرسول منا. . . في مثل قوله : ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

قلت : لقد وصف الله تعالى رسوله محمدا ﷺ في مواضع متعددة من القرآن بانه من العرب. . . كما قال :

﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين اذا بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾.

ولكن لاحظ ان الخطاب دائما عن (المؤمنين) محمد ﷺ من العرب ولكنه تبرأ من مشركيهم وقاتلهم. . . بل انه جعل نفسه من المؤمنين وجعله الله للمؤمنين : ﴿الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. . . فكون الرسول ﷺ من العرب يجعله احدنا. . . لا غريبا علينا. . . فالاولى بنا ان نسمع له ونتبع تعاليمه. . . فاذا فعلنا ذلك فنحن اولى الناس به. . . والا فهو بريء منا. . . وهنا اذكر حديثا. . او حديثين بهذا المعنى. . الاول. . . انه عندما اتى الرسول ﷺ المدينة. . رأى اليهود يصومون يوم العاشر من محرم فسألهم فقالوا هذا يوم نجى الله به موسى من فرعون. . . فقال ﷺ. . . «نحن اولى بموسى منهم». . . فالمسلمون المؤمنون المتبعون لتعاليم الدين أولى بموسى من اليهود الذي خالفوا تعاليم موسى. . . ثم حديث آخر. . . يقول فيه الرسول ﷺ. . . «لأعرفن أناسا من أمتي يأخذون يوم القيامة ذات اليمين وذات الشمال. . فأقول : يا رب أمتي أمتي. . فيقال. . إنك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول. . سحقا سحقا». . . فالمؤمنون هم الذي ينتسب إليهم الرسول ﷺ وهو منهم. . . أما غير المؤمنين فلا حق لهم بمحمد وان كانوا يزعمون أنهم من سلالته ﷺ.

الشفاعة

سألني ـ ما معنى الشفاعة؟!

قلت ـ بمعنى العصر هي (الواسطة).. وتكون في الخير وتكون في الشر.. والله رغب لنا الشفاعة بالخير بان نوصل الحقوق الى اصحابها ويأخذ كل انسان نصيبه وحذرنا من الشفاعة بالشر بأن يأخذ احد حق غيره او يتعدى حدوده وحقوقه..

قال ـ ليس هذا الذي اردت... ولكن الشفاعة التي تحصل للناس مع الله... مثل قوله تعالى... ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه﴾... أو.. ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾..

ـ آه... هذه الشفاعة التي هى (توسط) الملائكة والنبيين والصالحين لبعض الناس المقصرين يوم القيامة عند الله تبارك وتعالى..

ـ نعم هذا الذي اردت..

كنا في فترة راحة بين المحاضرات بانتظار وصول القهوة..

قلت له ـ هذه الشفاعة حددها الله تبارك وتعالى تماما... فحدد فيها من يسمح له أن يشفع وحدد فيها من المسموح أن يشمل بالشفاعة وكذلك حدد تبارك وتعالى إلى أي حد يسمح للشافع أن يتوسط للمشفوع... وحتى أشرح لك هذه القضية اذكر حديث الرسول ﷺ... وهو حديث طويل يذكر بعض أحداث يوم القيامة يقول الرسول ﷺ فيه (... ثم اسجد لله تحت العرش فليهمني من تسبيحه وتحيمده ما شاء.. ثم يقال لي : يا محمد ارفع رأسك.. سل تعطه.. واشفع تشفع فاقول يا رب امتي... امتي... فيقال.. يا محمد اخرج من أمتك من النار من كان في قلبه حبة شعيرة من إيمان... فيخرج ناس من النار) ثم تعاد الكرة مرة اخرى ومرة ثالثة حتى آخر مجموعة يقول الله لرسوله محمد (أخرج من أمتك من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)... فالله تبارك وتعالى سمح لمحمد ﷺ أن يشفع في فئات محددة من المسلمين الذين دخلوا النار بسبب ذنوبهم وكانت حدود شفاعته لهم أن يخرجهم من النار... وهكذا لا يملك أحد أن يشفع لمن شاء.. فمثلا في الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ : (يشفع الشهيد لسبعين من اهله)... لا يختار هو من يشفع لهم ولا يختار إلى إي حد يشفع لهم... بل يحدد الله كل ذلك... ولذلك

جعل الله الشفاعة كلها بإذنه كما قال في آية الكرسي ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ أي لا أحد يشفع لاي أحد إلا بإذن الله تعالى قال . . وما معنى حديث الرسول ﷺ : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) . . .

قلت ـ ليس معنى الحديث ان الرسول ﷺ يتوسط للذين يرتكبون الكبائر يوم القيامة فلا يعذبون . . كلا . . بل معناه ان بعض اهل الكبائر يشفع لهم الرسول ﷺ فيغفر الله لهم ولا يعذبهم . . وبعض اهل الكبائر يشفع لهم الرسول ﷺ بعد ان يكونوا قد نالوا عذابا في النار فيخرجون منها وبعض اهل الكبائر يشفع لهم الرسول ﷺ فيخفف عليهم العذاب في النار . . . بمعنى ان بعض الذين وقعوا في الذنوب الكبائر في الدنيا لا يستثنون من شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة بل قد تشملهم شفاعته . . .

ـ سأل ـ وكيف يضمن الانسان شفاعة الرسول ﷺ (وواسطته)؟

تبسمت على كلمته الاخيرة . . قلت . . ليس هناك شيء مضمون . . كل ما يستطيع المسلم أن يفعله هو أن يسعى ويبذل الاسباب ويدعو ويرجو الله أن يكون الرسول ﷺ شفيعا له يوم القيامة . . فالذي يتبع أوامر الرسول وينتهي عن نواهية ويلتزم سنته هذا أولى بالشفاعة من غيره . . . وجاء في الحديث (انه من ردد مع المؤذن ما يقول ثم ختم الاذان بالدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) فهذا يأمل ان يشفع له الرسول ﷺ يوم القيامة . . .

ـ قال . . لماذا لم تختم الدعاء بـ (انك لا تخلف الميعاد) . . أجبته ـ لأن هذه الزيادة لم تثبت في الحديث الصحيح فالحديث الصحيح يقف عند قوله (مقاما محمودا الذي وعدته) من غير (إنك لا تخلف الميعاد) . . .

الايمان باليوم الاخر

سألني أحد الأحباء ممازحا : ما الذي ابقاك إلى الساعة الثانية في المكتب؟

نظرت ناحية ساعة الحائط المعلقة على يساري . . وفعلا كانت الثانية . . لقد كان يوما ضائعا بالاجتماعات والأمور الإدارية ولم انتج شيئا . .

شاركنا ثالث وكأننا على موعد . . تركت كرسي المكتب والقيت بثقلي على احدى (الكنبات) الجانبية .

سألني . . .

هل ينبغي على المسلم الشعور بالخوف . . اعني هل من مقتضيات الايمان ان يكون الخوف مالئا قلب المسلم؟ . .

ـ لا شك ان المؤمن عندما يقرأ آيات العذاب وأصناف العقوبات التي تقع في الاخرة وما يسبق ذلك من أهوال وأحداث يخاف أن يكون هو ذاك الذي يعذب أو يعاقب خاصة وأنه يعلم بتقصيره ولكن في المقابل عندما يقرأ آيات الرحمة وأحاديث عفو الله ومغفرته يشعر بالطمأنينة والامان . .

ـ أنا اريد شيئا محددا؟ . . أعني اننا جميعا نؤمن بيوم القيامة . . والإيمان أظن أنه ليس مجرد العلم بأن هناك يوم القيامة فلعل المعرفة هي اولى الدرجات ولكن بعد المعرفة يزداد علم المسلم إلى التصديق بأن هناك يوماً آخر وبعد ذلك يزيد هذا التصديق حتى يصل إلى درجة اليقين بأن هناك يوما آخر وهكذا وأظن أن مرحلة اليقين هذه يصحبها (معايشة) أحداث الاخرة أليس كذلك؟ . وهنا إذا بلغ الانسان هذه المرحلة يدخل الخوف قلبه من المعاصي والذنوب ويرى كل تقصير ذنبا ينبغي الاستغفار منه .

ـ في الواقع إن الايمان باليوم الاخر ـ الذي هو ركن من اركان الايمان ـ عبارة عن التصديق واليقين بكل ما أخبر به الله تعالى أو رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وأهوال القيامة وشدائدها من اقتراب الشمس وغرق الناس في عرقهم وشدة الموقف وكذلك الصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس .

ـ ولكن إلي أي مرحلة ينبغي أن يبلغ التصديق بهذه الاشياء؟

ـ ينبغي على كل من يعتبر نفسه مسلما ان يوقن بلا أدنى شك أن كل هذا

واقع... ومقدار هذا اليقين هو الذي يدفع الإنسان إلى فعل الطاعات وترك المعاصي... فمن الناس من بلغ يقينه مرتبة تجعله لا ينظر إلى الدنيا كلها إلا كما ينظر المسافر إلى مكان سيقيم فيه فترة بسيطة ثم يمضي ويترك كل شيء وراء ظهره... ومن الناس من يعلم أن كل هذا سيقع ولكنه لا يفتأ يجمع من الدنيا بأي طريق سواء أباحه الله ام حرمه ونظريته هي : (إننا مادمنا في الدنيا فلنتمتع بها فأذا أتت أخرتنا فلا خيار لنا).. وهذه نظرية اصحاب الدنيا ووصفهم الله تعالى انهم يعلمون كيف ينمون الاموال ويصلون إلى (السعادة) الدنيوية ولكنهم (عن الاخرة غافلون).

وهكذا الناس أصناف شتى على هذا المقياس من الغفلة عن الآخرة إلى اليقين والتصديق بان كل ما فيها حق واقع بلا أدنى شك..

ولكن ينبغي على المسلم ان يكون حاله... «خوف بلا يأس من رحمة الله ورجاء بلا يقين بالنجاة من عذاب الله».

ويأتي بالفرائض وما استطاع من النوافل ويجتنب المحرمات وما استطاع من الصغائر... وهذا ان شاء الله بخير...

ـ ولكن أرى أنه يجب أن يراعي الإنسان مرحلة العمر التي يكون فيها المسلم حتى يخبره عن هذه الامور حتى لا يكون تأثيرها سلبيا؟!

ـ بل المسألة أبعد من ذلك... فالقضية ليست قضية عمر بقدر ما هي تهيئة النفس لاستقبال هذه الاخيار والايمان بها... فالطفل يحفظ الآيات والسور القصيرة في آخر المصحف وكلها تحكي عن الآخرة والقيامة... فما المانع ان يعلم الطفل ـ واعني به الذي في سن السابعة والثامنة ـ أن هناك يوماً آخر يوم القيامة يخرج فيه الناس من قبورهم يقفون للحصول على نتائج اعمالهم وفي ذلك اليوم يذهب نور الشمس وتدك الجبال ويزول القمر والنجوم.. فكل هذه الأمور يحفظها من القرآن.. ولكن للأسف كثير من (الكبار) ـ سنا لا عقلا ـ غير مهيئين لهذه الامور فهؤلاء الذين ينبغي ان نراعيهم حتى لا تكون لهذه القضايا الإيمانية اثار سلبية عليهم.



من صفات القيامة ... قربها

قال منكرا . . . كيف تزعم أن الساعة قريبة والقيامة قريبة والرسول ﷺ اخبر بأن هناك علامات لا بد ان تحدث قبل قيام الساعة مثل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ويأجوج ومأجوج وغير ذلك من علامات الساعة الكبرى. . . كان ذلك بعد حديث طويل عن الآخرة مع العائلة الكبيرة بعد ان فرغنا من الغداء. . . توجهت إلى أخي موضحا. .

ـ لا شك أن الأحاديث التي جاء فيها ذكر علامات الساعة الكبرى أحاديث صحيحة ولا يشك مسلم في أن هذه العلامات سوف تحصل قبل قيام الساعة. . . ولذلك جاء في الاثر ان بعض الصحابة كان يجزم بعدم قيام الساعة بعد يوم او يومين. . ولكن وصف الاخرة والقيامة بانها قريبة وصف صحيح وله ما يبرره . . . فقبل كل شيء هكذا وصف الرب تبارك وتعالى الآخرة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. . . فيقول في مطلع سورة الانبياء (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون). . ويقول في سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر). . وكان انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ. . ويقول تعالى (انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا). . . وهكذا في مواضع كثيرة. . . يصف الرب تبارك وتعالى الآخرة بأنها قريبة. . . وهناك نقطة اخرى. . هل تدري متى تموت. سكت هنينة. . وعندما شعر اني انتظر اجابته قال:

ـ كلا. . بالطبع لا اعلم متى اموت. .

ـ لا قدر الله قد تموت بعد دقيقة او بعد ساعة او بعد شهر او بعد سنة. . أليس كذلك. . . وعندما تموت . . . ما الذي يحصل!!

لم يفهم مرادي من السؤال فوضحت. .

ـ إذا مات الانسان انقطع عن الدنيا ودخل الآخرة. . اليس كذلك. . . فإذا مات الانسان قامت قيامته. . وبدأ يواجه جزاءه مقابل أعماله التي عملها في الدنيا ان خيراً فخير وإن شراً فشر والعياذ بالله. .

هز رأسه وقد بدت عليه علامات الاقتناع. . قال:

ـ كلامك هذا منطقي ومقبول . . فعلاً إذا مات الانسان قامت قيامته ولذلك

يمكن ان يتعامل كل واحد منا مع الآخرة على أنها قريبة جدا منه.. إنها قريبة قرب ساعة اجل احدنا.

استدركت عليه قائلا:

ـ ولكن حتى الساعة الكبرى.. أعني القيامة الكبرى لا ينبغي لاحد ان يصفها بانها ليست قريبة لان الله وصفها بالقرب في كتابه كما ذكرت سالفا.. فنحن نؤمن بأن الساعة قريبة.. وكذلك بأن الله تعالى لم يخبر بعلمها أحداً كما أخبر عن ذلك في كتابه حيث قال (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها).. وكذلك قال تعالى.. (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قال إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون).. وأخيراً نؤمن بأن علامات الساعة الكبرى ستحصل قبل قيام الساعة كما اخبر عن ذلك الرسول ﷺ. قال متابعا:

ـ في الواقع هذا يجعل المسلم مقبلا على الله دائما ولا شك أن هناك حكمة عظيمة وراءٍ اخفاء وقت القيامة.

ـ لقد بيّن الرسول ﷺ ما ينبغي على احدنا ان يفعل بالنسبة للساعة... حين سأله اعرابي (متى الساعة يا رسول الله؟) فأجابه ﷺ.. ماذا أعددت لها؟.. فهذا هو السؤال الذي ينبغي ان يبحث كل منا على اجابة له.. (ماذا اعددت لها؟).. اما السؤال عن وقتها فهو سؤال لا طائل من ورائه وقد لا يؤدي بالانسان إلا إلى التسويف حين يوسوس اليه الشيطان بأن الساعة بعيدة والقيامة لن تقوم في حياتك فما لك وما لها أتركها وشأنها إلى أن ينسى الانسان أن هناك آخرة وهناك قيامة.. فإذا خطر على بال احدنا السؤال عن موعد قيام الساعة ينبغي ان يغير هذا السؤال إلى الشيء الذي اعده إذا قامت الساعة؟.

وماذا بعد الموت

انتهز فرصة انعزالنا عن المجموعة فقال :

ـ لقد ذكرت في مقالك الاخير كيف ينتقل الانسان من الحياة الى الموت ، ولكن ما الذي يحدث بعد وفاة اي انسان . . . ؟

ـ في المرة السابقة ذكرت رحلة الروح بعد خروجها من الجسد حتى رجوعها اليه مرة اخرى للمؤمن والكافر، فاذا رجعت الروح في الجسد أتى ملكان، فيجلسان الميت ـ بالطبع كيفية إجلاسه ومخاطبته ليست كما نعرف في الدنيا ولكن هذا يحدث للجميع سواء وضع الميت في حفرة ـ القبر ـ أم احرق أم تناثرت اشلاؤه.

قال : نعم هذا معلوم وهو ثابت في احاديث الرسول الله عليه وسلم . اكمل .

قلت : فيجلسه الملكان ، فيقولان من ربك . . ؟ فيقول ربي الله . فيقولان ما دينك . . ؟ فيقول ديني الاسلام ـ وديانات الرسل جميعا تسمى الاسلام . فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

ـ وهذا لمن شهد بعثة الرسول ﷺ فيقول هو رسول الله . فيقولان ما يدريك؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته . فينادي مناد من السماء : ان قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح .

قاطعني : واذا كان الميت امرأة أيضا يأتيها رجل بهذه الهيئة . . ؟

ابتسمت ضاحكا : وهل في ذلك الموقف يفكر الرجل بعقلية رجل ، والمرأة بعقلية امرأة . . كلا بالطبع الجميع يفكر بعقلية المصير، ولا فرق بين رجل وامرأة .

قال : والله ليفرح النساء بهذا الحديث اكمل .

تابعت حديثي : فيأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول الميت : من أنت فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير. فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول الميت : رب أقم الساعة رب أقم الساعة . أما العبد الكافر فبعد أن يلاقي ما يلاقي من شدة الموت وسكرات خروج الروح وعدم فتح السماء له فإن الروح تلقى إلى الجسد ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك . . ؟ فيقول : هاه . . هاه . . ـ محتارا ـ لا أدري فيقولان له : ما دينك . . ؟ فيقول : هاه . . . هاه ـ يفكر ـ لا ادري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم . . ؟ فيقول : هاه . . . هاه . . لا ادري .

فينادي مناد من السماء : أن كذب، فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف ـ اي تتطابق ـ أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول الميت من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر. فيقول أنا عملك الخبيث. فيقول الميت : رب لا تقم الساعة.

سألني : لماذا طلب هذا ألا يقيم الله الساعة؟

ـ لان ما رآه مجرد مقدمة لما هو اسوأ منه كيف لا يطلب عن قيام الساعة ما دام الذي ينتظره عذاب لا مثيل له.

لا أدري كم مرة قطعنا المسافة ذهابا وايابا ولكن جو البحر والليل مع بدايات الخريف لا يشعر إلا بالرغبة في مزيد من المشي. سألني : وهل يشعر الانسان الميت بالفترة التي يقضيها حتى قيام الساعة...؟

ـ ان الجسد يتحلل، والعظام تبلى ولا يبقى أثر للاموات في القبور بعد فترة من الزمن، ولكن النعيم والعذاب يشعر به الأموات إلى يوم القيامة فالذي في النعيم حتى تقوم الساعة يشعر بان الفترة منذ لحظة خروج روحه الى القيامة كفترة صلاة العصر ـ نصف ساعة على الاكثر ـ وأما الكافر فيشعر بها طويلة لا يعلم أمدها الا الله.

سمعنا احدهم ينادينا ان العشاء قد جهز فاتجهنا الى الجماعة.

الحشر

في وقت متأخر من الليل وقد خلت الشوارع او كادت وبينما كانا يمضيان الوقت . . سألته : ماذا لو ألغيت آيات العذاب والآخرة والقيامة من القرآن . . هل يبقى له نفس التأثير . .

كان قد اعتاد على الاسئلة «الفلسفية» ويجيبها بطريقتها رجاء اقناعها بالفهم الاسلامي الصحيح فسألها :

ـ وما الهدف من هذا السؤال؟!

قالت بطريقة متحدية :

ـ أظن لو وضعت سؤالي بطريقة اخرى يكون أوضح . . هل تكفي آيات القرآن ـ دون آيات الترهيب ـ في جعل الانسان يتبع أوامر الله وينفذ احكامه . .

استجمع كل ما لديه من علم بالفلسفة والشريعة والكلام آملا ألا يخسر الجولة . .

ـ أولا . . هناك تناقض بين نكران الآخرة والايمان بمعنى . . أنه لا يكون مسلما من أنكر الجنة والنار والعذاب والنعيم . . فهذه أركان في العقيدة . .

ثانيا . . من البشر من آمن بالرسول فهو يصدقه وينفذ أوامره رجاء رحمة الله واتقاء غضبه . . .

ثالثا ـ لو لم يكن هناك ثواب وعقاب لما كان من الحكمة تكليف الناس وأمرهم بقضايا محددة سواء كانت سهلة أم صعبة محبوبة الى النفوس ام مكروهة . . وتعالى الله عن ذلك . .

رابعا ـ ان الهدف من خلق البشر هو عبادة الله وحده . . والعبادة تتضمن معاني الخضوع والذل والمحبة . . فتحقيق العبادة يكون بالخضوع لأوامر الله وقبولها مع اقتران ذلك بحب الله وتعظيمه وخشيته .

قاطعته بهدوء . . أنا لا أنكر ما تقول . . ولكن إلى الآن لم تجب على تساؤلي . . ولكن لابأس . . أخبرني . بعد أن نموت وندخل القبر نبعث الى الحياة مرة ثانية ونحاسب اليس كذلك بهذا الترتيب . .

ـ بصورة عامة نعم . . وبالتفصيل هناك امور تحصل ساعة الموت وامور بعد الدفن وامور بعد البعث وقبل الحساب . .

ـ ما الذي يحصل بعد البعث وقبل الحساب ؟

ـ عندما تحين ساعة البعث يأمر الله اسرافيل فينفخ في الصور فاذا المخلوقات جميعا تقوم من قبورها فزعة . . يقول تعالى في سورة يس ﴿ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ ويسرع الناس جميعا وكأنهم مدفوعون إلى مكان معين ﴿يوم يخرجون من الاحداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ وأظن أن نزول الحجيج من عرفات إلى المزدلفة بعد مغيب الشمس يشبه هذا الذي سيحصل . . ويجتمع الناس جميعا في ارض مسطحة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض . . وفي ذهابهم إلى أرض المحشر يكون بعضهم ماشيا وبعضهم راكبا وبعضهم يمشي على وجهه.

سألت مستغربة: وكيف يمشي على وجهه؟

ـ إن الذي أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه . . وهناك يجتمع الكل وتقترب الشمس من الرؤوس، فيتصبب الناس عرقا كل حسب عمله ومع انهم جميعا في نفس المكان، في نفس الوقت إلا أن أحدا لا يشعر بعذاب من بجانبه (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)

قاطعته مرة ثانية: الواحدة منا تمضي ساعة واحدة في شمس الكويت فتشعر أن دماغها يغلي من الداخل وهذه الشمس تبعد (٩٣) مليون ميل . . فكيف إذا اقتربت . . الله يستر . .

تابع سرده لأحداث الحشر: ـ ويحشر الناس وجوه بعضهم تسود ووجوه أخرين تبيض وذلك حسب أعمالهم . . ويعرف الأقارب والأصحاب بعضهم البعض . . فيحاول الأب ان يستعين بابنائه وكذلك الأزواج إلا أن الكل يعتذر لانه كما قال الرسول ﷺ . . «ذلك يوم يحتاج فيه المرء لمن يحمل عنه اوزاره» أو كما قال . . وكذلك جاء في الحديث أن عيسى بن مريم يقول: (والله لا اسأل ذلك اليوم الا نفسي لا أسأل عن مريم التي ولدتني) فإذا كان هذا حال الانبياء . . فكيف بالبشر . . ثم يشتد على الناس ما هم فيه من ضيق وهول فيذهبون إلى آدم ليدعو الله أن يبدأ حسابهم فيعتذر فيذهبون إلى نوح فيعتذر فيذهبون إلى إبراهيم فيعتذر ثم إلى موسى فيعتذر ثم إلى عيسى فيعتذر ثم إلى الرسول ﷺ فيقول: أنا لها . . ثم يسجد

ﷺ فيدعو الله ويسبحه . . فيبدأ الحساب بعد ذلك . . قالت: كل هذا ولم يبدأ العذاب في النار بعد ؟ نعم . . فأهوال يوم القيامة كثيرة شديدة وينبغي على المسلم أن يعلمها ويؤمن بها ثم يستعد لها بالطاعة والالتزام . . رجاء أن يخفف الله عنه . . وهنا ينبغي ان اذكر انه لن يكون هناك ظل في أرض الحشر إلا ظل عرش الرحمن يظل به من يشاء من عباده وقد ذكر الرسول ﷺ أصنافاً من الناس يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . ومنهم الحاكم العادل والشاب الملتزم شرع الله (أو الشابة طبعا) ومن يتصدق بصدقة مخلصا وفي الخفاء ومن يحب الناس لله لا لشيء اخر ومن يتعلق قلبه بالمساجد فإذا خرج من المسجد احب ان يعود اليه وغيرهم . . . .

مشاهد من الآخـــرة

سألته مستفسرة . . .

ـ كثيرا ما اقرأ في القرآن عن احداث ومشاهد يوم القيامة ولكن لا أدري اهي حقيقة ام مجاز . . فمثلا عندما يذكر الله تعالى . . (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) . . . هل فعلا سيحصل ذلك؟

أجابها جازما . . .

ـ بالطبع . . . نعم سيحصل ذلك حقيقة وبالتفصيل الذي اخبر عنه الله تبارك وتعالى . . وهذا الاعتقاد جزء أساسي من الايمان بالقرآن وباليوم الآخر . . فالآية التي ذكرت ستقع . . وكذلك الأيات الاخرى مثل قوله تعالى .

(حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) ففي هذه الآية يبين الرب تعالى أن أعضاء جسم الانسان تشهد عليه يوم القيامة إذا هو أنكر أفعاله المشينة حيث أن الله يختم على فمه فتنطق اليد وتتكلم ويسمع صاحبها شهادتها . . وكذلك تنطق الرجل . . وحتى الجلد يشهد بما رأى من صاحبه في الحياة الدنيا . . وبعد أن تعطي هذه الاعضاء شهادتها يتكلم صاحبها فيقول لجلده . . (لم شهدتم علينا) . . . فترد (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) . . . وجميع المخلوقات إذا نطقت فانها لا تقول الا الحق . . . إلا الانسان!

قالت مستغربة . . .

ـ وهل هذا يحصل لجميع البشر؟ . . . والله إنه لأمر مخيف ان كان كذلك . . .

أراد ان يهون عليها قليلا . .

ـ كلا . . . بل من البشر من لا يحاسب . . ولا يناقش . . . ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا . . ومنهم من يحاسب دون شهود . . . ولكن بعض العصاة يصر على إنكاره لجرائمه ولا يقبل إلا بشهادة عدول . . . فتشهد عليه اعضاؤه . . . بل ان الارض تشهد على بعض الناس يوم القيامة كما قال تعالى . . . ﴿يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك اوحى لها﴾ . . أي ان الارض بأمر الله تشهد وتنطق باخبارها التي هي ما عمله البشر عليها . . .

سألت مستزيدة..

- وهل هناك أنواع اخرى من مثل هذه المشاهد.؟

- نعم .. هناك مشاهد كثيرة.. ولعل جميعها يقع تحت القاعدة (الجزاء من جنس العمل)... فمثلا يتحول المال الذي لا تخرج زكاته الى حية ضخمة تأخذ الانسان من صدغية وتقول: (انا مالك انا كنزك)... وكذلك تأتي الاغنام والجمال والبقر التي لا تخرج زكاتها وتدوس صاحبها يوم القيامة... وكذلك يكون بعض الناس وجوههم سوداء اللون وبعضهم وجوههم مغبرة واخرون وجوههم بيضاء... كما قال تعالى... (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)...

وكل ذلك ظاهر واضح للعيان يراه الناس ويشعرون به ويحسونه..

- عندي سؤال أخير. أسمع بعضهم يقول ان هذه الايات وغيرها هي بهدف التخويف.. فقط !

- كلا... وهذا ليس إلا رأي بعض الفلاسفة قديما .. حيث أنهم يرون ان جميع الاديان السماوية هدفها إصلاح البشر في الدنيا وليس في الآخرة عذاب حسي.. وهذا يناقض الايمان الصحيح والاعتقاد الصواب... وأنت مسلمة تؤمنين بالله وبأن القرآن كلام الله وهو صدق ويجب الايمان بكل ما اخبر به انه حق سيقع يوم القيامة دون أدنى شك أو ريب... وكل أنواع العذاب التي ذكرت حسية يشعر بها الانسان ويتألم ويتفاعل ويندم وكل هذا دون أي مبالغة أو تهويل...

صور من الآخـــــرة

إنها (الغاشية) و(الصاخة) و(الواقعة) و(الطامة الكبرى) و(الحاقة) و(الآزفة).
هي (الغاشية) لأنها تغشي الناس جميعا من ولد آدم إلى آخرهم، وتغشى كل شيء وهي (الصاخة) التي (تصخ) الأسماع فلا ينشغل بشيء سواها، وهي (الواقعة). فلا شك من وقوعها وحدوثها وهي (الطامة الكبرى) التي تطم كل امر هائل فلا يكون أمر اكبر منها.

كان احمد يتحدث بحماس واندماج شديدين عن الآخرة بينما تحلق اهله من حوله منصتين باهتمام متأثرين بما يقول:

ـ تابع بنبرات اقل حدة، ومع ان القيامة لا تقوم الا بعد زمن معلوم الا ان قيامة كل منا تقوم بموته... فما ان تأتي سكرات الموت حتى تبدأ الرحلة... رحلة زادها قليل وهولها شديد والسير فيها طويل.. رحلة تبدأ بأن يرى كل منا الملائكة... إما ملائكة رحمة أو ملائكة عذاب يجلسون منه بعد النظر ينتظرون أجله فإن هو حان أتته الملائكة يستخلصون روحه إما (نزعا) وأما (بسلاسة) ولين وتبدأ الرحلة إلى السماوات إما الى (عليين) واما ان تستفتح الملائكة أبواب السماء فلا يفتح لها فتهوى الروح في (اسفل سافلين)... وترجع إلى البدن ليحضر الملكان... فيقعدان احدنا... ويسألانه (من ربك من نبيك ما دينك).. فأما من كان في الدنيا من اهل الدين.. قال: (ربي الله ونبي محمد وديني الاسلام).

أما ان كان من اهل الهوى والبدع والشهوات قال (لا أدري رأيت الناس يقولون شيئا فقلته).. فينادي.. (لا دريت ولا تليت).. ويضرب ضربة يصرخ منها متألما يسمعه كل أحد إلا الانسان والجان.. وبينما هو في ظلمة (الحفرة)... اذا بها تضيق به.. وتزداد ضيقا.. فهي ابتداء كانت بالكاد تسع جسده وهو مسجى على جانبه.. واذا بها تضيق.. ويحاول الالتفات... او التحرك... ولكنها تضيق لأنها مأمورة.. حتى تختلف اضلاعه... ويستصرخ... ويستنجد.. ولكن من ينادي.. وبمن يستغيث، فلا أحد حوله ولا شيء في حوزته.. وبينما هو في آلامه إذا بشخص كريه المنظر نتن الرائحة... يظهر له... فيزداد حسرة عندما يرى وجهه فلا يعرف فيه إلا الشر والشماتة فيقول «من أنت فوجهك لا يبشر بخير» فيجيبه...

(أنا عملك السيء . . وأنا جليسك إلى يوم القيامة) فتصيبه حسرة ما بعدها حسرة . . وهكذا هو يتقلب من عذاب إلى عذاب ومن حسرة إلى حسرة.

لاحظ أحمد أن والدته أخفضت رأسها محاولة مسح تلك العبرة التي لم تطق منعها تأثرا بالحديث . . فغير نبرات صوته وهدأ في حديثه وتابع : واما ذلك العبد الذي عمل في الدنيا خيرا واجاب بأن دينه الاسلام وربه الله ونبيه محمد ﷺ فانه يشعر أن (حفرته) بدأت تتسع ويأتيه من احدى جوانبها ريح طيبة . . فينعم ويتقلب مرتاح البال هانىء العيش . . . ثم يتمثل له رجل طيب الريح حسن المنظر وجهه يبشر بالخير ويعرف انه (عمله الصالح الذي عمله في الدنيا) . .

قاطعه اخوه قائلا :

ـ هل تحب ان نسأل الآن أم بعدما تنتهي . ؟

ـ سل الان !

ـ لماذا يستخدم (المتدينون) أسلوب (التخويف) و(اخبار النار) . . . او بمعنى اصح . . لماذا يستخدمون الأسلوب العاطفي في التأثير على الناس!؟

ـ اجاب : لقد استخدم القرآن اسلوب (التفكر) و(التعقل) واسلوب (الامثلة) من الامم السابقة واسلوب (القصص) واسلوب (التمثيل والتشبيه) واسلوب (التحدي) واسلوب (الوعد والوعيد) . . وكل واحد من الناس (يستجيب) لأسلوب او اكثر . . . ولعل أول الاساليب التي تستجيب لها معظم الانفس اسلوب الوعد والوعيد كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها : (إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد ﷺ واني لجارية العب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت «سورة البقرة» و«النساء» الا وانا عنده في المدينة) .

ثم ان الانسان ـ ايا كان ـ يحتاج بين فترة وأخرى أن يذكر نفسه بالآخرة والجنة والنار والعذاب والنعيم فإن في هذه الامور ترقيق للقلوب وتليين للجوارح وتهذيب للانفس . . . فالنفس بين امرين الرجاء والخوف وكثير من الناس ـ ايامنا هذه ـ يغلب لديهم جانب الرجاء ، أي جانب الاطمئنان والثقة بانهم لن يخلدوا في النار ولن يتعذبوا عذابا شديدا وأنهم سيغفر لهم ولذلك تراهم لا يعبأون كثيرا بالتكاليف الشرعية الاساسية كالصلاة والزكاة ولا ينتهون عن كبائر الامور كالربا والزنا وشرب

الخمر. . . فينبغي تذكير هؤلاء بالعذاب أولا ثم بالمغفرة والتوبة والقاعدة التي ينبغي ان تكون عند كل مسلم هي (ان يكون لديه رجاء دون اتكال وكسل وخوف دون يأس او قنوط) ولنرجع إلى موضوعنا لعل الله ان يرقق قلوبنا ويزيل عنها القسوة والغفلة.

كم مرة زرت منزلك؟؟

وبينما انت تتقلب منعما في مزلك الثاني حيث تأتيك الريح الطيبة وحيث يتجلى لك منزل اكرم منه فتتمنى ان ينقضي الوقت ويحين موعد الانتقال الى المنزل الجديد فاذا بالصورة تدور ليتجلى لك منزل قبيح يستعر نارا ويتقطع شررا فإذا بك تتعوذ بالله منه فينادي المنادي.

يا فلان.. هذا منزلك لو انك عصيت قد ابدله الله لك منزلا اخر لانك اطعت.. فتتنهد الصعداء.. ويهون عليك كل ما عانيت في دنياك من تعب وحرج وانت تسير في طريق الطاعات.

وبينما انت مشغول بكل هذا فإذا بك تسمع صوتا مرعبا.. يصخ الاسماع فلا يسمع احد احدا ولا يلتفت أحد لأحد.. ثم لا تكاد تنقضي الصيحة الأولى فإذا بأخرى تلحقها.. فإذا هو إعلان الرحيل من منزلك الثاني.. ولكن إلى أين؟! إلى المنزل الابدي.. وياها من رحلة شاقة بين المنزلين.. لن تحمل هم المتاع.. فلا متاع معك.. ولن تحمل هم الأولاد فلا أحد معك..

فهل تدري لم مشقة الانتقال بين المنزلين؟!.

إنها الأثقال التي تحملها على كتفيك إنها الأوزار التي لم تتخلص منها في المنزل الثاني.. إنها الخطايا التي لم تغفر ولم يتبرع أحد ليشاركك حملها.. فما أنت فاعل يا هذا وقد اثقلتك الاحمال.. وأرهقتك الخطايا.. إنك لا تريد الانتقال إلى المنزل الجديد.. ولكن أنى لك الخيار.. هيهات.. هيهات لما تتمنى.. لقد حان اوان الرحيل فاذا بك مسرع.. لست وحدك.. الجميع مسرع من اجداثه يخرجون (كأنهم الى نصب يوفضون) الجميع يتجه صوب هدف واحد وإلى ساحة واحدة. وها أنت تقف على أرض لم ترها من قبل.. ولكنك تقف في مكان محدد لا تغادره وكأنك تعلم ان هذا المكان لك.. ان العرق بدأ يتصبب وقد اقتربت الشمس من الرؤوس فكأنما تلتصق برأسك ويكاد حرها ان يخنقك.. إنك واقف ولكن تكاد تتغطى بالعرق.. يا للهول ما هذا الموقف العصيب.. بمن تستغيث.. من ترجو.. من تستصرخ.. لا أحد يجيبك.. وأنت في هذا الموقف.. إذا بك ترى صحفا تتطاير.. وها أنت ترمق أحد هذه الصحف يتجه إليك.. أنها صحيفة أعمالك..

فكيف ستتسلمها . . بيمينك أم بشمالك أم من وراء ظهرك . . أتراك ستتلقاها وتقول: (هاؤم اقرؤوا كتابيه) أم انك ستخجل من هول الفضيحة وعظم الخزي أمام البشر جميعا فتصرخ (يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) . . أتراك سيقال لك يا فلان . . سلمت وغنمت ودخلت الجنة بما عملت . . ام انك سيقال لك . . يا فلان اعطيت العافية فلم استعنت بها على معصية الله؟ يا فلان اعطيت المال فلم اكتسبته بالحرام وانفقته على ما يغضب الله؟ يا فلان اعطيت الولد والزوجة فلم ضيعتهم وربيتهم على ما لا يرضي الله؟ يا فلان اعطيت العقل فلم استخدمته للمكر والخديعة للوصول إلى ما ليس من حقك؟

يافلان . . يا فلان . . وهكذا أنت حتى يتساقط لحمك خجلا من الله تعالى . . انك لن تنكر وليس لك ان تنكر . . ولن تنسى ولن يكون لك ان تنسى فكل ما قلت مدون وكل ما عملت مكتوب وكل ما اقترفت سرا مكشوف . . وها أنت في ذلك الموقف منتظرا القرار الأخير . . للرحيل إلى المنزل الأخير . ولعل كل الأسئلة التي ينبغي عليك اجابتها قبل ان يصدر القرار بمنزلك الاخير تتلخص في سؤال واحد (فيم كنتم؟) . .

فهل انت مستعد لإجابة هذا السؤال؟! . .

فان كنت كذلك فاسعد وأنعم وأعلم أنك إلى نعيم لم تره من قبل . . بل إنك ستتعرف على منزلك في الجنة دون دليل ودون عناء بل وكأنما هو منزلك الذي اعتدت ان ترجع اليه كل يوم في الدنيا . . ستتعرف على منزلك واهلك وقرابتك . . وستبحث عن احبابك ولن يكون هناك ما ينغص عيشك أو يكدر خاطرك . . فالفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . . والقطوف دانية وقد ذللن تذليلا والفرش مرفوعة . . والنمارق مصفوفة والزرابي مبثوثة والازواج (عربا أبكارا) . . والخدم (ولدان مخلدون) لم تر مثلهم من قبل . . والخمر لذة تروي دون صداع أو سكر واللبن لا يتغير طعمه والماء غير أسن والعسل أنهار لم تخطر لك على بال . . والجو لا بارد ولا حار بل أحسن مما كنت تتمنى في الدنيا . . فاطلب ما شئت . . فلك ما تشاء ولن ينقص ذلك من الموجود شيئا . . إنه نعيم لم تر قبله مثله . . إنه نعيم ينسيك ما لقيت في دنياك من تعب نفسي وأرهاق جسدي وقلة في المال ومعانة من الناس وتشريد من ارض إلى أرض ومن منزل الى منزل . . انه نعيم يستحق ان يعمل لاجله العاملون . . بل ويتنافس فيه المتنافسون . . إلا تريد ان يؤول منزلك النهائي الخالد إلى هذا . . فما لي أراك متكاسلا . . ما لي أراك متهاونا . . ما لي أراك معرضا عن الصلاة . . يا هذا والله إني لأحبك فانهض وشمر عن ساعدك واستعن بالله على الصلاة!!

الميزان والصراط

بعد التراويح اجتمعت العائلة حول (الخفايف) الساخن منها والبارد، وبعد ساعة من الاحاديث والضحك . . التفتت الام إلى ابنها أحمد قائلة:

ـ أليس لديك ما يرقق قلوبنا ويذكرنا ربنا . . نريد موضوعا يقرّبنا إلى الله . . . يزيد من ايماننا ويرغبنا في الطاعات ويقوينا عليها.

تدخلت سعاد معترضة

ـ أماه . . كلما اجتمعنا عندك طلبت من احمد موضوعا من هذا النوع . .

قالتها متضجرة . . وتابعت: نريد . . موضوعا حياتيا . . موضوعا حيا . . مثلا لماذا لا نناقش اسباب كثرة الطلاق في المجتمع الكويتي . . أو مثلا الحل الأمثل للخروج من الموقف الحرج الذي تعيشه الكويت نتيجة ما يدور حولها من احداث . . أو الاتجاهات الفكرية والسياسية للشباب الكويتي اجابتها الأم: والله يا ابنتي لكم ان تتحدثوا بما شئتم . . ولكني لا اظن انني افهم شيئا عن المواضيع التي ذكرت . . اللهم إلا موضوع الطلاق . . . والصراحة بنات اليوم هن السبب (واللي موعاجبه كيفيه) ولكن نريد شيئا من أمور الاخرة وكفانا حديثا ونقاشا في امور دنيوية . . والا تحدثوا انتم وسأذهب انا استلقى في غرفتي.

تدخل احمد لحل الموقف: لنتحدث عن شيء من امور الاخرة والجلسة المقبلة ـ في بيتي ان شاء الله ـ نناقش (موضوع حي) . . ما رأيكم . . اظهرت الغالبية رضاها فسكتت سعاد ولم تعترض.

قال أحمد . . من أعظم ما ينبغي على المسلم تذكره والاستعداد له : الأهوال التي سيمر بها يوم القيامة . .

وهذه الاهوال تبدأ بالنفخ بالصور وتنتهي بالنار ـ اعاذنا الله من حرها ـ وكل هذه الأمور تدخل في باب العقيدة أي انه ينبغي على المسلم ان يتعلمها ويؤمن بها ثم يعمل لأجل نيلها أو تجنبها إن أراد ان يدخل مسمى الايمان الحق.

وأحاديث الرسول ﷺ في هذه القضايا كثيرة ويجب علينا أن نصدق بهذه الاحاديث ونعتقد ما يذكر بها من قضايا . . ومن هذه الأهوال «الصراط والميزان».

والصراط جاء في وصفه انه مثل حد السيف المرهف زلق عليه كلاليب مثل شوك السعدان تخطف من أراد الله أن تخطف فترميه في النار فمن الناس من يهوي فيها ومن الناس من يمر كالبرق فلا يخدش ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كجري الفرس ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم انسان قد لفحته النار ولقي فيها شرا حتى يدخله الله الجنة بفضله ورحمته . . وكل الناس يمر على الصراط . . وهذا معنى قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ . . وكان السلف رضوان الله عليهم يقرأون هذه الآية فيقول أحدهم «قد ذكر الله إنا واردوها ولم يذكر أنا صادروها». فالله المستعان . . والصراط هو أحد المواضع التي لا يكون للانسان فيها هم إلا السلامة فهو لا يريد شيئا إلا ان يعبر جنهم التي يراها تحته . . يريد ان يعبرها سالما غير مخدوش . .

والموضع الآخر الذي لا يعبأ الانسان بشيء فيه حتى ينتهي هو الميزان . . حيث توزن حسناته وسيئاته . . فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة . . فلا يكون للانسان هم آنذاك الا ان يرى أي كفة ترجح . . ولكل عمل من الاعمال وزن يوم القيامة . . وهذا معنى قوله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وهو ميزان واحد ولكن ذكر بصيغة الجمع لتعدد الاعمال التي توزن فيه كما ورد في تفسير ابن كثير . . قاطعته سعاد . .

ـ وهل نؤمن بان الاعمال توزن حقا يوم القيامة؟

ـ نعم . . فقد ثبت في الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). . وكذلك حديث البطاقة الذي يقول فيه الرسول ﷺ (يستخلص الله عز وجل رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر شيئا من هذا؟ اظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب ـ قال: أفلك عذر أو حسنة؟ قال فبهت الرجل فيقول: لا يارب ـ فيقول الله: بلى ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم فيخرج له بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقات في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة).

فالميزان له كفتان . . وهذا الرجل صاحب البطاقة كان عنده ايمان صادق بالشهادة وفهم صحيح لمعناها فمع كثرة سيئاته ثقلت الشهادة الصحيحة . . وهذا

ليس معناه أن كل من قال الشهادة بلسانه فله الاجر الذي ذكر في الحديث فغالبية المسلمين اليوم يقولونها بلسانهم وينقضونها باعتقادهم ان شرع الله «رجعي» وان حكم الله لا يصلح بهذا الزمان . . أو باعتقادهم ان هناك ما ينفع او يضر مع الله تبارك وتعالى من أولياء أو ائمة أو صالحين . . فهؤلاء ليسوا (كصاحب البطاقة) وليسوا أهلا لأجر (البطاقة) . .

قالت رادة عليه:

ـ أنا سألت عن وزن الاعمال . . فلما الداعي ان تذكر ان المسلمين اليوم فيهم شرك وفيهم ما ينقض الشهادة . . اجابها بهدوء:

ـ لأن ظاهر الحديث يجعل كثيرا من الناس (يضمن) دخول الجنة بمجرد أنه تلفظ بالشهادتين بلسانه وهذا فهم خاطىء . . فالتلفظ باللسان لابد ان يكون عن فهم صحيح لمعنى الشهادة وعن اعتقاد قلبي صحيح بمفهومها . . الذي هو التوحيد الصحيح والا لم تنفع الشهادتان صاحبها . . فالمنافقون كلهم تلفظوا بالشهادتين ولكن ابت قلوبهم الايمان بها . . فهذان الموقفان ـ الصراط والميزان ـ هما بعض الأهوال التي ينبغي علينا إلا نغفل عنها وان نعمل لاجل النجاة منها يوم القيامة . . والله المستعان.

فيم كنتم؟

ـ هناك مسألة في العقيدة احترت فيها. . . وهي هل قيام الساعة قريب أم بعيد؟ ففي بعض الايات والاحاديث توصف القيامة بانها قريبة. . . مثل قوله تعالي. . . ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾. . . وكذلك قوله تعالى. . . ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾. . . وقوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. . . وحديث الرسول ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين) وضم بين اصبعيه السبابة والوسطى. . . وهناك أحاديث «علامات الساعة» تدل على أن الساعة بعيدة. . . فكيف التوفيق بين هذا وهذا. . .

ـ في الواقع السؤال عن موعد قيام الساعة ليس من الاسئلة التي تفيد اجابتها شيئا. . . بل ان المشركين كانوا يسألون هذا السؤال انكارا لقيام الساعة. . . وعندما جاء رجل الى النبي ﷺ يسأله : (متى الساعة؟) أجابه الرسول ﷺ. . . «ماذا أعددت لها». . فالعبرة ليست في معرفة وقت قيام الساعة، ولكن في الاستعداد الحقيقي لها لأنه من آمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها استعد لها استعدادا يليق بهولها. . .

قاطعني. . .

ـ أعلم كل هذا ولكنك لم تجب عن سؤالي بعد. . .

ـ اذا كنت مصرا فاليك الاجابة. . . لن تقوم الساعة اليوم او غدا لانه لا بد من ظهور علامات قبل حدوث الساعة. . فلن تقوم الساعة في حياتك ولا في حياتي . . . ولكن ما هو بيت القصيد؟. . اليس هو ما سنلقاه عند قيام الساعة ! فهذا سنواجهه من لحظة وفاتنا. . . ان المؤمن اذا توفي كان في نعيم وكانت الفترة التي يقضيها منذ لحظة وفاته الى دخول الجنة فترة قصيرة لا يشعر بها إذا كان من أهل الايمان والاخلاص اما إذا كان غير ذلك احس بطول الفترة وأنواع العذاب حسب تقصيره في حق الله وذلك حتى ينتهي الى مآله الاخير. . . ولعلمك فإن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس. . . حيث اخبر الرسول ﷺ عن صفة الناس الذين تقوم عليهم القيامة بانهم (لكع ابن لكع) أي جيلين من الاشرار. . . وذلك لان حدوثها يصحبه الاهوال الجسام فلا تكون على مؤمن خير. . .

ـ هل تعني أن المسلم لا يشعر بعذاب القبر ولا بالفترة التي يقضيها في القبر حتى قيام الساعة. . . ؟

ـ نعم.. إن أولياء الله الصالحين والمؤمنين الصادقين لا يشعرون بفترة البرزخ الطويلة إلا كصلاة عصر... ويكونون خلالها في نعيم ورخاء حتى قيام الساعة كذلك تمر عليهم فترة قيام الساعة الى الحساب والجنة كفترة صلاة عصر.. أي ربع ساعة او نصف ساعة على الاكثر... أما العصاة والمذنبون فينتقلون من هول الموت إلى عذاب البرزخ ويبقون في عذاب حتى هول قيام الساعة ومن ثم الى هول البعث والمحشر والحساب... فهم في أهوال حتى ينالوا جزاءهم في نار جهنم..

ـ وكيف سيكون الحساب يوم القيامة... أعني هل سيأخذ كل أحد ترتيبا ورقما ويتم الحساب تباعا... أم كيف؟

ـ سيكون الحساب انفراديا جماعيا في آن واحد... بمعنى أن جميع البشر سيحاسبون في وقت واحد ولكن كل واحد لا يعلم عن صاحبه شيئا فكل أحد يكون على انفراد مع الله تبارك وتعالى... كما اخبر الرسول ﷺ (ان كل احد سيلقي ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان فيسأله...) وهناك بعض البشر الذين سيفضحهم الله وآخرون يسترهم الله كل حسب عمله... ولكن مضمون جميع ذلك الحساب... السؤال... (فيم كنتم)... أي في أي شيء كنتم في الحياة الدنيا؟.. من ناحية الصحة والمال والدين والعقيدة والعبادة وكل شأن من شؤون ابن آدم... وبدل أن تسأل (متى الساعة؟) اسأل نفسك: (ما الذي اعددته للساعة؟)...

على الصراط

أخشى أن يدركني الموت وأنا في غير طاعة الله، بل إني أخشى على نفسي أن أموت موتة شنيعة تحت حطام سيارة أو غرق في بحر. . لا بل إني اخشى ان اموت وانا على غير التوحيد والعياذ بالله ـ ذلك التوحيد الذي اتى به محمد ﷺ وكان عليه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين !

أخشى أن أموت فأدفن في قبري، فيأتي عملي يجالسني إلى يوم القيامة، فلا يكون ذلك العمل الحسن ولا الانيس الطيب !

أخشى أن ينقلب قبري إلى حفرة من حفر النار أرى فيها ألوان العذاب على ما فرطت في جنب الله . . ثم ماذا . . أخشى أن أبعث على رؤوس الخلائق . . أتسابق إلى المحشر وأنا لا أدري كيف سيكون لون وجهي في ذلك اليوم؟ هل سيكون أبيض منيرا، أم سيكون أسود والعياذ بالله؟

وإذا تطايرت الصحف . . إنها للحظة مخيفة حرجة كيف سيكون حالي إذا التقطت صحيفتي بشمالي أو من وراء ظهري ـ والعياذ بالله . ستقتلني فضيحتي ذلك اليوم . . سيشير الى الناس الذين عرفوني في الدنيا ويقولون . . . هذا الذي كان يبدو فينا كذا وكذا . . . هذا الذي كان يدعونا . . . يأمرنا وينهانا . . . ها قد انكشف أمره اليوم . . . لا بد انه كان إذا ابتعد عن اعين الناس كان لا يتورع عن معصية الله !!

أخشى على نفسي الفضيحة في ذلك اليوم !!

ثم إذا بدأ حسابي . . كيف يكون موقفي بين يدي الله . . هل تراه سيسترني بفضله ومنه ام سيعاقبني على تقصيري؟! هل سيدنيني منه حتى لا يطلع أحد على محاكمتي؟ أم تراه سيتركني أمام الجميع أحاسب وأناقش الحساب؟!

وإذا أتيت الصراط . . كيف سأضع اولى خطواتي عليه . . . ولا مفر إلا ان أضع رجلي على الصراط . . وتحت الصراط نار جهنم، على جوانبه خطافات . . هل سأسير . .

اخشى إلا يكون سيرى إلا حبواً . . ووالله انه ليهون ان كان حبواً من ان تخطفني الخطافات . . ولكن كيف إذا خطفتني احدى هذه الاشواك المعقوفة فقذفتني في النار . . أعوذ بالله من النار !!!

أخشى أن ألقى فيها . . ويتركني ربي فيها أتعذب . . ولا ادري كيف سيكون

عذابي.. وفي أي دركة من دركاتها سيكون...!!

أخشى أن أكون مع اولئك العصاة.. مع اولئك الذين طغوا وتجبروا وفسقوا وبغوا في الارض..

أخشى على نفسي هذا العذاب.. ثم إذا رجعت الى الصراط هل.. سيخطفني خطاف آخر أم سأكمل المسير وأنجو الى ضفة النجار!!

أخشى على نفسي أن أكون قد جمعت الحسنات هذه كلها ثم آتى يوم القيامة فيأخذ الناس من حسناتي لأني ظلمت أحدهم او تكملت عن احدهم حتى تفني حسناتي!!

أخشى ان اكون قد جمعت حسناتي هذه كلها ثم آتى يوم القيامة فلا أجد شيئا لأني خلطتها بالرياء تارة.. وبالمعاصي تارة اخرى.. وبحب الظهور تارة ثالثة.

إني على يقين أن الله لن يظلمني شيئا.. وأملي كبير في انني بتوحيدي الخالص لله عز وجل سوف أنجو من عذابه.. اللهم توفنا موحدين توحيدا خالصا صحيحاً كما كان عليه نبيك محمد ﷺ.

المبشرون بالجنة

سألني مستفسرا : هل حديث العشرة المبشرين بالجنة صحيح ثابت؟
ـ اظن اننا كنا قبل اسبوع قد بحثنا عن سند هذا الحديث واطلعنا على رأي العلماء ـ علماء الحديث ـ فيه وتبين أنه حديث صحيح ولكن لم الاستفسار بعد ذلك البحث؟ . .
ـ صراحة . . لقد أسمعني أحد اصدقائي شريطا لشيخ لا اعرفه وفي الشريط يقسم المتحدث أن هذا الحديث ضعيف بل لا أصل له ولا يمت إلى الرسول ﷺ بصلة . .
ـ وما الغرابة في ذلك . . . فكم من مدع للعلم ينكر أحاديث في اصح الكتب بعد كتاب الله أي في صحيح البخاري . . ولكن على أي اساس أنكر ذلك «الشيخ» حديث العشرة المبشرين بالجنة.
سكت هنيهة ليلتقط الكلمات التي سمعها تماما . .
ـ يقول . . كيف يعقل أن الرسول ﷺ خص الجنة بعشرة نفر فقط . . مع أن الله بشر جميع المؤمنين بالجنة . . كما هو في قوله تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الاحزاب ـ ٤٧ . وغيرها من الآيات الكثيرة في كتاب الله . . فهل يعقل ان يحصر الرسول ﷺ الجنة لعشرة نفر من اصحابه . .

قلت مستنكرا:
ـ يرحم الله العلم . . إن هذا أجهل قول سمعته في تفسير هذا الحديث . . من قال أن الرسول ﷺ حصر الجنة بعشرة نفر . . . فهو في هذا الحديث بشر عشرة من اصحابه وفي حديث اخر قال: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا» وكان رجلا من عوام الأنصار وكذلك قال في حديث اخر «سيطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة» وطلع رجل آخر من عامة المسلمين وفي احاديث اخرى كثيرة ذكر فيها الرسول ﷺ أن رجلا او امرأة من أهل الجنة . . . بل إنه في الحديث الصحيح بشر سبعين الفا من أمته قائلا: «سيدخل الجنة سبعون الفا من هذه الامة من غير حساب ولا عذاب» . . . وكان عكاشة بن محصن منهم.

فعقيدة المسلم هي أن يؤمن بأن من بشره الرسول ﷺ بانه من اهل الجنة هو حقا من اهلها وسيدخل الجنة دون شك، ولكن لم يقل أحد من أهل العلم أن الرسول ﷺ حصر الجنة في عشرة نفر من أصحابه..

- ولكن ما الحكمة في هذا البشارات التي أخبر عنها الرسول ﷺ لبعض اصحابه؟

- لعل هناك حكما كثيرة منها بيان فضل بعض الصحابة وتمييزهم عن غيرهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم اجمعين.. او للتنبيه على عظم عمل من الاعمال كما حدث مع ذلك الرجل من الانصار الذي اخبر عنه الرسول ﷺ أنه من أهل الجنة وبعد ان تحقق الناس من امره لم يجدوه يأتي من الاعمال الشيء الكثير إلا أنه كان لا يحمل في صدره شيئا من الحقد أو الحسد أو الضغينة لأحد.. ولذلك قال عبدالله بن عمر: «هو ذاك وقليل منا من يستطيعه».. ولعل هناك حكما اخرى لا تحضرني الان..

هز رأسه حزنا..

- مؤسف جدا أن ينتشر فكر من فكر هذا «الشيخ» بين الناس ويستمع له مئات بل ألوف الشباب ويصدقونه دونما اجابة.. ولكن ما الذي يجعله ينكر هذا الحديث.. تذكرت.. لقد قال تعليلا اخر لانكار الحديث..

- ما هو يا ترى؟!

- قال لا يمكن ان يكون طلحة في الجنة.. وذلك لما وقع بينه وبين بعض الصحابة من اقتتال.. والله حرم قتل المؤمن وبين الرسول ﷺ أن القاتل والمقتول في النار فلا يمكن ان يكونوا مؤمنين في الجنة؟

- ان قضية الاقتتال بين المؤمنين قضية يجب التفصيل فيها ولكن بين الله في سورة الحجرات ذلك بقوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾..

فوصفهم الله جميعا بالمؤمنين.. فأسباب اقتتال المسلمين كثيرة وينبغي دراسة كل حالة على انفراد وتفصيلها ولكن قبول أحاديث الرسول ﷺ أوردها لا يجوز ان ينبني على المنطق العقلي والنقاش الفلسفي ولكن حسب قواعد علم الحديث وعلم الرجال.. فإذا ثبت الحديث بهذه الطريقة إلى الرسول ﷺ فلا يجوز لمسلم رده وان خالف رأيه وهواه... والا فان هذا من اتخاذ المرء «إلهه هواه» والعياذ بالله.

نعيم الجنة

● دعني اسألك شيئا.. ما ألذ ما في الدنيا؟

- اتريد جوابا خاصا ام عاما؟!

انت دائما هكذا لا تجيبني إلا بسؤال آخر... أجب بأي طريقة شئت...

كنا نمضي الوقت ونحن في الطريق الى المخيم... فتابعت حديثي..

- أما الانسان فألذ ما يحصل عليه هو ما يحتاج اليه حاجة حقيقية في الدنيا فالعطشان ألذ ما عنده شربة ماء، ومن عاش في الحرب ألذ ما عنده السلام، ومن طرد من ارضه ألذ ما عنده الرجوع إلى الوطن حراً عزيزا..

أما إذا أردت إجابة عامة فأظن أنني لن أجد جوابا اصح من حديث الرسول ﷺ (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة).. هذا اذا حصرنا حديثنا عن الدنيا اما ان لم نحدد فأصدق جواب هو قول الشاعر.

وكل نعيم - عدا نعيم الجنة - فهو زائل فأعظم نعيم يمكن أن يحصل عليه الانسان هو نعيم الجنة... جعلنا الله من اهلها..

ابتسم صاحبي.. وقال مداعبا:

انت دائما تجر الكلام الى حديث الجنة والنار والاخرة والموعظة.. وتتفنن في طريقة عرضك لهذه القضايا... ولكن (حديث الجنة) يبدو مشوقا... فزدني منه..

- قبل كل شيء ينبغي ان يعتقد كل مسلم أن الجنة مخلوقة موجودة الان وهناك أدلة كثيرة تبين هذه العقيدة ولعل أحدها حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر اليها» الحديث....

وينبغي على المسلم ان يعتقد أن نعيمها دائم لا ينقطع وأن نعيمها نعيم حقيقي وليس مجرد نعيم (روحي) او (شعوري) بل حقيقي يتمتع به أهل الجنة ويتلذذون بكل شيء فيها تلذذا حقيقيا.

وأما باقي الامور بخصوص الجنة فيؤمن المسلم بكل ما ورد من احاديث صحيحة تصف الجنة مثل ان للمؤمن فيها خيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا وان فيها قصورا وأنهارا وخمرا وحريرا وغلمانا وحورا عين وكل من يدخلها لا يحمل في قلبه أي مرض من حسد أو حقد أو كراهية ولا يتعبه شيء ولا يرهقه وأن

فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. . . وغير ذلك من أخبار صحيحة ثبتت عن النبي ﷺ. . .

ان هذه الاوصاف تجعل المرء يشتاق لها. . . ولكن أخبرني أهي جنة واحدة ام جنان. ؟

ـ إذا اردت العدد فهي جنان. . اي اكثر من جنة ذكر الله منها جنتين في (سورة الرحمن) وذكر في حديث عثمان ابن مظعون (غسيل الملائكة) أنها جنان وان اعلاها جنة الفردوس. . . فهي أكثر من جنة في العدد وبعضها افضل من بعض. . . ولكن نطلق عليها جميعا (الجنة) ولها ثمانية ابواب بعضها مخصوص لطاعات معينة ـ كالصيام والجهاد والصدقة ـ وبعضها لعامة المسلمين ـ

في آيات كثيرة اقرأ عن اشياء في الجنة لا اعرف معناها مثلا. . . ﴿على سرر موضونة﴾. . ﴿كأسا دهاقا﴾. . ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾. . ﴿ختامه مسك﴾. . . ﴿سلسبيلا﴾. . . وغيرها كثير لا يحضرني الان. . .

ـ (السرر الموضونة). . هي الاسرة المنسوجة المتداخلة و(دهاقا) اي مليئة (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) اي انهم لا يصابون بالصداع ولا تذهب عقولهم نتيجة شربهم من خمر الجنة و(ختامه مسك) اي اخره ريح مسك (والسلسبيل) السلسلة سهلة التصريف. .

ونصيحة هنا أهديها اليك انه اذا قرأت كتاب الله فمررت بكلمات لم تعرف معناها فما عليك الا ان ترجع الى التفسير لتعرف المعنى ولا ينبغي ان تترك آيات القرآن وانت حائر في معناها ولا تعرف لها تأويلاً.

الجدال الاخير

بينما جميع الخلائق في الحشر إذا بأقوام محشورون زرق العيون من هول الموقف وفظاعة الأمر... أخذ هؤلاء يتهامسون.. (هل لبثتم في الحياة الدنيا الا عشرة أيام!؟).. برز من بينهم أعقلهم واحكمهم ـ كما يبدو ـ قال (كلا... كلا... بل لبثتم يوما واحدا) وإذا بطائفة أخرى تقسم أغلظ الايمان (ما لبثتم إلا ساعة أيها القوم)...

وهكذا هم في جدال يحاولون ايجاد العذر لأنفسهم أن لم يعطوا الفرصة الكافية والوقت اللازم ليتوصلوا ألى الهداية.. فإذا بمن يدفعهم دفعا... ومن يسوقهم جماعات جماعات... وبدون سابق إنذار إذا هم يلجون بابا من أبواب جهنم... فاستقبلهم أحد خزنتها ﴿الم تأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا بلى﴾ فأجابهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق﴾ فكبكبوا في النار... وإذا بمن سبقهم اليها يستقبلهم باللعن... أجابوهم ﴿انتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا﴾... ثم نظروا يمينا ويسارا قالوا: ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾. وكانت هناك فئة من الضعفاء والمغلوب على امرهم في الدنيا قالوا لقادتهم وائمتهم: ﴿إنا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾... أجابوهم بضجر شديد: ﴿إنا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد﴾.. فأجابهم الضعفاء ﴿لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا﴾... ولكنهم لم ينفعهم توعدهم إذ أحاط العذاب وتقطعت بهم الأسباب...

ثم توجه القوم إلى بعضهم البعض قالوا ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار﴾ وبينما هم في هول العذاب الذي أتاهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم وغشيهم من كل مكان... جاءهم الموت ولكنهم لا يموتون ـ فالموت قد ظهر لهم من قبل على صورة كبش وذبح فلا موت بعد ـ فنادوا خازن النار... ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ فأجابهم بغلظة وشدة ﴿انكم ماكثون﴾... وعادوا الى ما كانوا فيه... ثم توجهوا الى الملائكة الموكلون بالنار قالوا: ﴿أدعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ أجابوهم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى﴾ قالوا: ﴿فادعوا... وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ وعادوا في العذاب الشديد ﴿سرابيل من قطران وتغشى وجوههم النار﴾...

فناداهم اصحاب الجنة : ﴿أن قد وجدنا ما وّعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾. . . اجابوا بغيظ (نعم). . . .

فنادى مناد بين الجنة والنار : ﴿لعنة الله على الظالمين﴾. . وكان بين الفريقين أناس لم يؤمروا إلى الجنة أو إلى النار تساوت حسناتهم وسيئاتهم. . .

فنادوا أصحاب النار ﴿ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾. . . .
وكاد هؤلاء ان يردوا عليهم : انكم لم تدخلوا الجنة مع انكم عملتم من الحسنات ولكن نادى مناد مبشرا اصحاب الاعراف ﴿أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون﴾.

ورجع أصحاب النار إلى العذاب والسموم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم. . . فنادوا اصحاب الجنة. . . ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾. . . فأجابهم هؤلاء : ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾. . .
فرجعوا إلى ما عهدوا من العذاب وأزيد. . . كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب. . . ﴿لا يذوقوا فيها بردا ولا شرابا الا حميا وغساقا جزاء وفاقا﴾ فما ظلمهم الله. . . بل حاكمهم محاكمة عادلة فهم عندما ألقوا في النار و﴿سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ﴾. . . كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى. . . قد جاءنا نذير فكذبنا. . . قلنا ما نزل من شيء ان انتم الا في ضلال كبير بل انهم اقروا على انفسهم ﴿وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير﴾ فاعترفوا بذنهم فسحقا لاصحاب السعير. . فلذلك كان اخر نداء سمعوه ﴿فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا﴾. . .

«المبشرون بالنار !!»

منذ زمن أنا وصاحبى نجتمع يوم الجمعة ليلا نتمشى ونتسامر على شاطىء البحر. . سألته في آخر جلسة لنا :

● هل البشارة تكون للخير أم للشر؟

ـ بل البشارة أو البشرى هي الخبر السار.

● فكيف يقول الرب تبارك وتعالى ! ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ ويقول ﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما﴾ . . وغيره كثير في القرآن؟!

ـ هذا من باب استخدام الكلمة في عكس معناها. . . وهو أسلوب عربي بليغ . . والعرب تستخدم باع بمعنى اشترى. . . ولكن هذا ليس على الاطلاق بل صياغ الكلام يدل على المعنى المراد. . . فعندما يقول الرب ﴿ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم﴾ . . فهذا مفهوم أنه أخبره الخبر السيىء بأن له عذابا أليما. . . وهذا الاسلوب يستخدم في بيان زيادة العذاب وكذلك فيه شيء من التنكيل والاستهزاء. . . كما يقول تعالى عن المتكبر. . ﴿ذق انك العزيز الكريم﴾ ففي هذا الاسلوب توبيخ وزيادة نكال. . .

توقف صاحبي عند إحدى البقالات الصغيرة على شاطىء الخليج حيث احضر لنا شيئا باردا نرطب به «حديثنا» . . سألته بعد ان تابعنا مسيرنا. .

● ترى هل نستطيع أن نقول أن فلانا بعينه. . . أي نخصص أن شخصا ما في النار. . إن مات كافرا؟

ـ لقد أخبر الله تعالى عن أعيان من السابقين إنهم في النار. . . مثل فرعون وهامان وقارون وابليس من قبلهم وآبي لهب وكذلك اخبر الرسول ﷺ ان بعض من حاربوه سيكون في النار كأبي جهل وامية بن خلف وعتبة غيرهم. . فهؤلاء الأعيان نؤمن انهم سيخلدون في النار بلا شك. . . ثم ذكر الرسول ﷺ عن اصناف من اهل النار. . . فقال في احد الاحاديث :

«صنفان من أهل النار لم ارهما. . رجال يحملون سياطا كأذناب البقر يضربون بها عباد الله ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة» . . .

وكذلك في الحديث الآخر انه ﷺ أخبر عن اصناف من عذاب يوم القيامة «كالرجل الذي يشرشر صدغه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه بأنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق والرجل الذي يسبح في بحر من الدم وكلما وصل الشاطىء لقم حجرا في فمه فرجع يسبح بأنه آكل الربا».. فهذه الاحاديث تخبر عن اصناف من البشر يوم القيامة ولا يجوز ان نخصص شخصا فنقول ان فلانا سيفعل به كذا وكذا لانه يأكل الربا مثلا وانما نقول بصيغة العموم (آكل الربا هذا جزاؤه)..

● وهل هذا الجزاء للمسلمين ام للكافرين؟...

- إن المسلم إذا وقع في هذه المعاصي ينال هذا العذاب المذكور في الأيات والاحاديث ثم قد يتوب الله عليه ويخفف عنه او يعذبه قدر معصيته أما الكافر فانه خالد في النار لا يخرج منها...

● وكيف حال المنافق؟

- المنافق اسوأ حالا من الكافر يوم القيامة... ولكن مرة ثانية اذكرك بأن النفاق قضية قلبية ولا نستطيع ان نخصص شخصا بعينه ونقول انه منافق وإنه خالد في النار وانه ﴿في الدرك الأسفل من النار﴾ ولكن عموما نقول ان المنافقين أشد الناس عذابا يوم القيامة ويخلدون في هذا العذاب.

● ولكن متى يمكن أن نحكم على انسان بدخول الجنة او دخول النار؟

- هذه احدى القضايا التي ليست لنا ولا يجوز لنا تصنيف البشر أنهم من أهل الجنة أو أصحاب النار بل الله وحده هو الذي يعلم من يكون إلى الجنة ومن يصير إلى النار. ولكن من أخبرنا عنهم الله تعالى او الرسول ﷺ بانهم من اهل الجنة نؤمن ونعتقد انهم من اهل الجنة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير والحسن والحسين وغيرهم ومن اخبر الله عنهم ورسوله ﷺ انهم من اهل النار نؤمن ونعتقد انهم خالدون في النار كابليس وفرعون وابي لهب وابي جهل وغيرهم اما الباقون فأمرهم الى الله والمرء يخشى على نفسه ان يدخل النار وان كان من اهل الصلاح.

الايمان بعالم الجن

إلتقيته دون سابق موعد في مكان عام... بادرته مازحا:

سمعت أنك دخلت مهنة «العلاج من الجن»...

- هو كذلك..

هل أستطيع ان اتقدم بطلب لهذه الوظيفة.. فالحقيقة أعتقد أنها تدر أموالا أكثر من مهنتي !

أبدى علامات عدم ارتياح من كلامي فبادرته..

- في الحقيقة.. أنا لا استهزأ.. ولا أقلل من شأن الذين «يقرأون».. ويعالجون الناس من أذى الجن ومسهم.. ولكن أرى ان الذي يتصدى لمثل هذه القضية ينبغي أن يكون على درجة من الورع والتقوى والعلم ولا أظنها لديك... ربما لا أستطيع الحكم على مدى إيمانك وتقواك وورعك ولكن بالتأكيد أستطيع القول بأن ما لديك من علم أقل حتى من القليل الذي لدى أي طالب علم مجد...

أخذ النقاش شيئا من الجدية... فتدخل صاحب ثالث لتغيير دفة النقاش... قال :

هل الجن يتناسلون وهل لهم أحجام مختلفة ؟

- نعم الجن يتناسلون كما اخبر تعالى عن ابليس ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾.. فإبليس أمره الله بالسجود لآدم فأبي وتكبر... وسجدت الملائكة... وتعهد ابليس ان ينتقم من آدم وذريته... وابليس لن يموت الى يوم القيامة كما اخبر الله تعالى ﴿قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين﴾.

أين يعيش الجن وهل يأكلون ويشربون؟ وهل الايمان بوجودهم من اركان الدين؟

- لنبدأ بالسؤال الأخير.. وهو الإيمان بالجن... نعم يجب الإيمان بهم وأنهم موجودون لأن الله ذكرهم في كتابه وهناك سورة في القرآن أسمها سورة «الجن» تحكي جانبا من أحوال الجن فالأيمان بوجودهم ركن من الايمان لأنه جزء من الإيمان بالقرآن... والرسول ﷺ بعث رسولا للانس والجن... والجن يعلمون عن احوال الانس فيعملون عن الانبياء والرسل والاقوام السابقة بل وكانوا يستطيعون

أن يستمعوا إلى اخبار السماء قبل بعثة الرسول ﷺ . . . فلما بعث الرسول منعوا من سماع خبر السماء كما ذكر الله ذلك في سورة الجن . . . ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ . . .

وللجن قدرات لا يمكن تحديدها بالعقل. . . ذكر الله شيئا منها في القرآن. . . حيث انهم كانوا يخدمون سليمان عليه السلام . . . ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك. وكنا لهم حافظين﴾ .

وعندما طلب سليمان عرش بلقيس ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ . . . وكان عرشها في اليمن وسليمان في الشام !!! ولكن أخبر الرسول ﷺ أنهم ايضا لا يستطيعون أن يفتحوا إناء مغطى وبابا مغلقا إذا ذكر أسم الله عليه. . فقدرات الجن لا نصل إليها بطريقة عقلية وإنما بطريقة الأخبار الصحيحة التي جاءت في القرآن والسنة. . . ونؤمن بما جاء في القرآن. . . وجاء في القرآن ايضا ان الجن استمعت إلى القرآن من الرسول ﷺ . . . ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فامنا به﴾ . . . فآمنت طائفة من الجن بالنبي محمد ﷺ وكفرت طائفة أخرى. . . ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجنهم حطبا﴾ . . . فالجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح . . . وهم يتواجدون في الاماكن المهجورة الخربة. . ولكن قد يتواجدون مع الناس كما جاء في الحديث انه إذا أكل ابن آدم فلم يذكر اسم الله قال الجن «ادركتم العشاء» . . . فاذا هو بات في فراشه فلم يذكر الله قالوا «أدركتم المبيت العشاء» فالحافظ من ضرر الجن وشرهم هو ذكر الله وقراءة القرآن. . .

ـ وماذا عن تحضير الارواح؟

ـ هذه ليست أرواح. . . بل جن يتشكلون في صور آدمية. . . فالروح بعد فراقها للجسد لا تستطيع الرجوع إلى الدنيا لأنها إما في عذاب أو في نعيم. . . وإنما هذه جن تتشكل على هيئة أناس ليضلوا البشر وليعتقد الجهال بأن الذي يحضر الأرواح له قدرة خارقة فيدينوا له ويدفعوا له الاموال وهذا بدوره يعظم الجن على حسن ادائهم كما اخبر الله تعالى عن ذلك بقوله. . . ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ . . أي ازداد هؤلاء في ضلالهم وأولئك في غيهم وطغياهم . . . وكل هذا مخالف لشريعة الله. . .

المهنة : إخراج الجن

في غمرة انشغاله بين ترتيب اوراق الامتحان والاجابة عن اسئلة الطلبة ـ التي لا تخطر على بالهم الا قبل الامتحان بنصف ساعة ـ رن جرس الهاتف:

لم يكن يعرف سبب الاتصال حيث ان المتحدث ليس من الافراد الذين يكثرون الاتصال به. . . وبعد الاسئلة الاولية. . دخل المتحدث في الموضوع مباشرة.

ـ ما هذا المقال الذي كتبت عن (فتنة الجن). . .؟

ـ وماذا به؟

ـ لقد كنت شديدا على صاحب الشريط!!

ـ كلا. . لا اعتقد ذلك. . بل عرضت القضية بموضوعية وهدوء.

ـ الا تعرف صاحب الشريط؟

ـ كلا. . لم اميز صوته ولم احاول ان اتعرف عليه.

ـ انه صاحبنا سالم. .

ـ وكيف يسمح (سالم) لنفسه ان يخوض في قضايا الجن بهذه الطريقة. . ويحاول ان يتلقى العلم عن الجن بواسطة الجن أنفسهم. . . والله لو كنت اعلم انه سالم لكنت أشد في مقالي.

تابع الدكتور حديثه الهاتفي بلهجة متسرعة حيث أنه أراد أن ينتهي من الإعداد لمحاضرته التالية :

وما هي اخبار سالم وأين يعمل الان. . . الا زال في البلدية.

ـ كلا. . . لقد انقطع عن الذهاب الى العمل في البلدية، ففصل من عمله، وهو الان لا يعمل.

ـ ومن اين يأكل. . . ويؤكل اهل بيته فاني اعلم ان مسؤولياته تشمل أباه وامه. . . اليس كذلك.

ـ الأرزاق بيدالله يا رجل. .

ـ أعلم أن الأرزاق بيد الله. . ولكن الأرزاق لا تنزل مع مطر السماء (فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة). . الأرزاق بيد الله لمن يسعى ليحصل عليها.

ـ صحيح هذا الكلام ولكن الرجل لا يشكو من شيء وحاله جيدة بل وفي بعض النواحي ممتازة. . فقد رأيته قبل ايام يلبس ساعة غالية الثمن معروفة. .

ـ سبحان الله . . . تقول انه لا يعمل وحالته جيدة . . بل وممتازة كيف ذلك؟!

ـ الم تقرأ عن مريم عليها السلام . . ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها رزقا قال أنىٰ لك هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

ـ كفى عن المزاح !!

ـ في الواقع أظن أنه يكسب شيئا من بيع (ماء الصحة) الذي يقرأ فيه الايات والاحاديث . . . وكذلك من بيع قناني الزيت التي يقرأ فيها . . وتأتيه بين الفينة والفينة هدية ثمينة من هنا وهناك من اولئك الذين يكتب الله لهم الشفاء على يديه.

انه لا يلزم احدا بشيء ولكن تأتيه الاشياء دون ان يطالب بها . . كما جاء في الاثر عن الصحابة الذين خرجوا في رحلة فمروا بقوم اصيب زعيمهم بلدغة حية فطلبوا اليهم أن يرقوه (اي يقرأوا عليه القرآن ليشفى) وفعلا فعلوا ذلك بعد ان طلبوا شاة . . واخبروا الرسول ﷺ بالحادثة فلم ينكر عليهم بل وأكل من تلك الشاة.

ـ أعرف هذه الحادثة . . ولكن كم مرة وقعت لشخص واحد . . . ثم كلامك أن سالم لا يلزم أحدا بشيء . . . غير مقبول . . . لأن الإلزام ليس اشتراطا لفظيا . . بل ربما كان العرف الزاما . . فإذا عرفت الناس ان فلانا يقبل «الهدايا» فانها لا تذهب إليه إلا وفي بالها (الهدية) وفي الواقع أنا لا أعلم أحدا من الصالحين في سلف هذه الامة (احترف) القراءة لاخراج الجن . . . ولا أعرف أحدا في سلف هذه الأمة لم يحفظ كتاب الله ولم يكن من العلماء المشهود لهم و(تخصص) فقط في اخراج الجن.

إن الائمة السابقين كانوا علماء في الشريعة حافظين لكتاب الله عاملين بسنة رسول الله ﷺ فقهاء في شؤون الدين فيلجأ اليهم الناس (للرقية) . . اما ان يكون احدنا (نكرة) ثم بين يوم وليلة ـ او اسبوع او شهر او سنة يذهب ليجالس من يخرج الجن ليتعلم على يديه هذه (الصنعة) ثم يصبح «طبيبا» فهذا لا اظن انه موافق للشريعة.

ـ ولكن الناس تعلم ذلك . . . فمثلا صاحبنا (سالم) و(فلان الفلاني) وغيرهما . . يعلم الناس انهم ليسوا علماء ولا أئمة شريعة ولكن يذهب اليهم الناس لان الواقع أثبت ان قراءتهم تنفع في شفاء حالات من الامراض كالصرع والوسوسة والاوجاع الاخرى.

ـ وهنا بيت القصيد . . ان هؤلاء الذين (احترفوا) هذه القضية . . والعامة من الناس جعلوا دليل اهليتهم لاخراج الجن . . . الحوادث التي حصلت . . وهذا

اختبار وابتلاء وفتنة لهؤلاء المحترفين اكثر من غيرهم . . وذلك لان المرء اذا كان يعلم في نفسه انه ليس من المؤهلين علما وورعا وتقوى لله ولم يبلغ في هذه الجوانب مبلغ المشهود لهم فلماذا يعرض نفسه لهذه الفتنة . . وأما نجاح الحوادث فقد رأينا من لا يصلي . . ومع ذلك يخرج الجن . . ورأينا من يشرك بالله ويقول (باسم المسيح) فيشفى الكسيح ويتحرك المشلول . . فوقوع الحوادث لم، ولن تكون دليلا في اي وقت على صحة الادعاءات والزعم . . ولكن الدليل هو الكتاب والسنة ونهج الصحابة والسلف الصالح . . وعلى اية حال اسأل الله لصاحبنا ولغيره الحفظ من الفتنة والبقاء على طريق الهداية .

والان ينبغي ان انهي المكالمة لان وقت المحاضرة مضى منه ثلاث دقائق .

تحضير الارواح

اجتمعن بعد الظهر عند إحداهن وكاد الحديث أن يتشعب حول أمور الطبخات والموديلات والأسواق والذهب لولا أن تدخلت هناء قائلة. .

ـ هل تعلمون أن أم صديقتنا خولة تحضر ارواح؟

أجابتها نورة مستنكرة. .

ـ هذه ليست أرواح هذه جن. .

وبدأ النقاش بين المجتمعات يأخذ طابع الجدل. . فتدخلت نورة. . .

ـ لنناقش الموضوع نقاشا علميا نستفيد. . . أولا هل هناك من لديها علم في هذه القضية. . أعني مسألة الاتصال بالجن. . أو تحضير الارواح ان شئتم اجابتها ام خالد. .

ـ أظنك أكثرنا علما في هذه القضايا. . . فلم لا تبدأين. .

فقالت ـ ثبت في الحديث الصحيح أنه إذا مات ابن آدم صارت روحه إلى نعيم ان كان من أهل الصلاح أو إلى عذاب إن كان من أهل المعاصي. . من هذا المنطلق ينبغي على المسلم ان يعتقد اعتقادا جازما أن الأرواح تعيش حياة لا نعلم عنها الكثير وهي في هذه الحياة ـ حياة البرزخ ـ إلى أن تقوم الساعة. . .

ـ هل تعنين أن الأرواح بعد الموت لا علاقة لها بالأجساد؟

ـ كلا ـ ليس هذا ما عنيت. . . بل إن نعيم القبر وعذابه يصيب الروح بالجسد في آن واحد وطبيعة تعلق الروح بالجسد بعد الموت لا نعلمها. . ولكن هناك اتصال من نوع ما، الله يعلمه. . ولنرجع إلى موضوعنا فقد جاء في الحديث الصحيح أيضا أن الرسول ﷺ أخبر أن لكل أنسان قرين من الجن يغويه ويزين له المعاصي وهذا معنى قوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ من سورة ق.

وإذا علمنا أن الجن لها القدرة على معرفة أحوال البشر الماضية وكل ما يحدث على الارض وفي الفضاء دون السماء الدنيا وكذلك لها القدرة على الاتصال ببعضها البعض ولها قدرات في الانتقال من مكان إلى آخر بسرعة لا نعلم حدودها كما جاء في حديث سليمان مع الجن حين طلب من يحضر له عرش بلقيس ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾.

لو جمعنا كل هذا مع ما سبق من مصير الأرواح بعد الموت فإننا نخلص إلى أن الأرواح لا يمكن أن تخرج من عذابها أو نعيمها وإنما الذي يحضر للبشر ويحدثهم ويجالسهم إنما هم فئة من الجن..

- ولكن اليس من الجن المؤمن الصالح؟

- نعم منها المؤمن الصالح ومنها الكافر العاصي... وقد حكى الله تعالى أنها استمعت للقرآن من الرسول ﷺ ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوّا إلى قومهم منذرين﴾.

فالجن تسمع الإنس ويمكنها ان تتمثل للانس فيراها رأي العين وتحدثه ويحدثها بأخبار الماضي وأحوال الناس وأسماءهم واعمارهم وأسرارهم إلى غير ذلك..

- ترى هل هذا العمل جائز في الاسلام؟

- كلا.. لا ينبغي لمسلم أن يفعله أو يعين أحد على فعله.. فإن الجن عادة (تحضر) بالتمتمة بكلمات غير مفهومة أو بارتكاب معصية كالاستغاثة بالجن أو طلب الحاجات منهم أو تمزيق بعض آيات الله..

وبعض الغربيين يقومون (بتحضير) الجن بطرق علمية حديثة تستخدم فكرة الموجات الكهرومغناطيسية ورأيت بعضهم في اميركا.

وهذا العمل قد يجعل الناس يعتقدون بأن الذي يحضر الجن له ميزة ودرجة من الصلاح.. وهذا يدخل في باب استمتاع الانس بالجن واستمتاع الجن بالانس كما جاء في قوله ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا﴾ وكذلك في قوله ﴿يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا. : قال النار مثواكم﴾ وإذا كان هذا العمل يؤدي إلى الاطلاع على أسرار البشر وهتك مستوراتهم ومعرفة عيوبهم ثم نشرها فهذه كلها معاصي وذنوب... وعادة من يفعل ذلك يترزق من وراء هذه (الصنعة) وهذا رزق ليس بطيب..

كما أنه ينبغي على كل مسلم أن يعتقد أن الرسول ﷺ لم يترك خيرا إلا ودلنا عليه ولم يترك شرا إلا وحذرنا منه فإذا كان الأمر لم يثبت عن الرسول ﷺ بل وثبت تحريم الكهانة وايهام الناس بان أحدا يعلم الغيب فينبغي على المسلم ألا يفتح بابا لا يرجع عليه إلا بالأذى والمعاصي.. هذا لمن أراد اتباع الرسول ﷺ فالخلاصة... أن الارواح بعد الموت إما في عذاب أو نعيم لا تستطيع أن ترجع إلى الدنيا وكل ما يزعمون تحضيره إنما هو (جن) ولا ينبغي لمسلم أن يعتقد أنها تنفع أو تضر أو تعلم الغيب فهذا شرك بالله.



رابعا - التزكيـــــة

حسن الخاتمة

كانت تعلم ان دخول زوجها المستشفى هذه المرة لن يكون كالمرات السابقة وانتابها شعور الخوف من المجهول والحزن والعجز . . وخاصة أنها تنتظر مولودها الثاني . .

لكن فاطمة تماسكت أمام اقارب زوجها ولم تمكن دموعها من التعبير عن خوالج نفسها . .

زارته في اليوم اللتالي . . وقفت بجانب سريره وهو مغمض العينيين لا يشعر بمن حوله . . مع ان شفتيه كانتا تتحركان بين الفينة والفنية حركات تبدو أنها لا إرادية . . اخذت تنظر الى وجهه وانتابتها رغبة شديدة بالبكاء . . ولكنها تماسكت وتساقطت دمعتان من عينيها . . فخرجت من الغرفة . . تبعتها شقيقة زوجها . . . سكينة . . وجلستا على أحد الكراسي الكبيرة في الممر بجانب الغرفة .

ـ هوني عليك . . . ان شاء الله بعد يوم او يومين ويرجع كل شيء الى وضعه الطبيعي . . وتأخذين عبدالله معك البيت . . .

قالتها سكينة لتخفف عن صديقتها ما هي فيه . .

ـ ليس هذا همي الاكبر الآن . . . أتدرين يا سكينة ما يدور في فكري الان . . افكار كثيرة . . . أنظر الى وجه عبدالله واتساءل ترى ما الذي يحدث له الان . . . هل هو يكابد سكرات الموت أم تراه يرى الملائكة او يعاني من وسوسة الشيطان . . . ام لا يشعر بأي شيء ولا يحدث له شيء من هذا . . أريده ان يحرك شفتيه بذكر الله . . . بقول : (لا اله الا الله) . . لا أريده ان يكلمني الآن . . والله إني خائفة الان . . ولكن خوفي اكبر من ألا يكون آخر ما يذكره من هذه الدنيا هو «لا إله إلا الله» . . أخاف أن يكون همه الأموال التي جمعها والعقارات التي يملكها . . أخشى أن يكون أخر ما يقول «عقاري . . . عقاري . . أموالي» . . حقا إنه كان مقصر بعض الشيء . وكم كنت احرص ان يواظب على الصلاة وقبل شهر تقريبا . . كان مواظبا والحمد لله . . وكان يذهب للمسجد احيانا . . ولكنه كان مشغولا جداً بامواله ومكتب العقارات . .

قاطعتها سكينة . .

ـ اذكري الله يا فاطمة . . وادعي لزوجك بالشفاء . . . واتركي هذه الافكار . .

ما زال عبدالله شباب . . أنا اكبر منه . . لا فاطمة . . ان شاء الله يوم أو يومين ويصحى يا أختي . . ما هذه الافكار السوداء؟! هزت فاطمة رأسها وما زالت مطرقة تنظر الى الارض وقالت:
ـ عسى الله يسمع منك . . ولكن كما قال الدكتور . . يبدو ان حالته خطيرة هذه المرة . . . وأنه اذا لم يستطع الاستغناء عن هذه الاجهزة خلال ٢٤ ساعة . . فالامل ضعيف جدا . . .
قالتها ضعيفة متقطعة . .
وهنا مر احد اصدقاء عبدالله الذين بدا من ملامحه الصلاح والتقوى . . فسلم عليهما . . واتجه ناحية الغرفة . .
سألت سكينة: من هذا؟
ـ لا اعرفه . . ولكن يبدو انه احد اصحاب عبدالله الجدد . . وأتمنى الا يزوره الآن إلا أصحابه الجدد فكلهم والحمد لله اهل صلاة والتزام . . . والصراحة المرء في هذه اللحظات لا يريد أن يرى إلا أصحاب الصلاح ليذكروه بالله ويطمئنوه إلى رحمة الله . . فإن هو لقي الله كان على خير حال . . أما اصحابه الآخرون فاظن انهم لو حضروا الآن فلن يذكروه الا «بالشرب» و«الوناسة».
قالت سكينة:
ـ عمل الانسان طول حياته هو المهم وليس هذه اللحظات الاخيرة.
ـ كلامك صحيح . . ولكن في لحظات الموت يأتي الشيطان ويجتهد ان يشغل الانسان عن ذكر الله وعن الاطمئنان إلى رحمة الله ومغفرته وعن قول «لا الله الا الله».
فاللحظات الاخيرة لحظات حرجة في حياة الانسان . . والرسول ﷺ عندما كان عمه ابو طالب يحتضر أتاه ووقف على رأسه يقول له (عماه . . قل لا اله الا الله . . كلمة أحاج بها الله يوم القيامة) . . . فمع أن الانسان لا تنفعه التوبة ساعة الإحتضار إلا أن ترديده لذكر الله و«لا اله الا الله» هو خير ما ينهي به حياته.
ـ ولكن عندما ادرك فرعون الغرق الم يقل انه آمن بالله فقال الله منكرا عليه «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» . . فلم تنفعه الكلمات الاخيرة.
ـ ذلك لأنه كافر . . والتوبة ساعة الغرغرة لا تنفع . . ومع ذلك ففي الحديث: (ان جبريل قال لرسول الله ﷺ ما رأيتني وأنا ألقم فرعون الماء في فمه حتى لا يقول (آمنت) . . خشية أن تدركه رحمة الله) . . فمع كفره خشي جبريل ان تدركه رحمة الله . . ولكن المسلم ـ وان كان عاصيا ـ ينفعه قول «لا اله الا الله» والتذكير برحمة

الله . . ولذلك استبشرت عندما رأيت ذلك الرجل الصالح يدخل ليزور عبدالله . .
وهنا انتفضت فاطمة من مكانها لأنها رأت الممرضة والطبيب يهرولان ناحية غرفة زوجها . . ركضت معهما . . ولكن ممرضا اخر اوقفها عند الباب ومنعها من الدخول ! ! . .

المسيح الدجال

لقيني في ممر القسم فالقى تحية عابرة ثم قال:

ـ عندي لك سؤال .. هل ستكون في مكتبك.. اذا رجعت خلال نصف ساعة؟..

ـ نعم ...

ـ بل سأكون عندك بعد خمس دقائق..

قالها وهو يتابع سيره الذي كان أقرب إلى الهرولة منه إلى السير .. بعد ربع ساعة تقريبا .. دخل المكتب .. وبعد دعاباته التي تعودت عليها سألني..

ـ سمعت حديثا شريفا في الاذاعة فيه ان الرسول ﷺ كان يستعيذ في صلاته بعد التشهد الاخير وقبل التسليم من أربعة اشياء فيقول (اعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات) .. واذكر انني عندما كنت في مصر قرأت ان المسيح الدجال هو هذه الحضارة «الزائفة» او هو الالكترونيات او شيء من هذا القبيل .. وبصفتك تعرف شيئا في الدين ولاني اثق بك .. هلا تشرح لي هذه القضية وبسرعة رجاء.

ـ كم تعطني من الوقت ؟

ـ عشر دقائق ..

ـ اذن لا تقاطعني واستمع للاخبار الصحيحة عن (المسيح الدجال) والعقيدة الصحيحة إن شاء الله فيه ..

أولا .. جاءت أحاديث في البخاري عن الدجال..

ثانيا . . ينبغي على المسلم ان يعتقد ان المسيح الدجال رجل خلقه الله واعطاه بعض القدرات الخارقة .. قاطعني..

ـ ما هذه الخوارق؟

ـ من خوارقة بعد ان يدعي انه نبي اولا .. ثم يدعي انه إلٰه .. أنه يأتي إلى بعض الناس فيأمرهم بأن يؤمنوا به ويظهر قدراته بأن يأمر السماء بالمطر فتمطر والأرض بالنبات فتنبت ويأتي الى قمامة الناس فيأمرها فتنقلب ذهبا .. وهكذا ..

فهو رجل يخرج من جهة المشرق . . من منطقة اسمها خراسان ثم يتجول في الأرض ويتبعه سبعون الفا من يهود اصبهان . . ومن صفاته البدنية انه اجعد الشعر وأنه أعور عين اليمنى وعينه الاخرى جاحظة كأنها حبة عنب ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرأها القارىء والأمي ويكون سببا في فتنة كثير من الناس فلا يجوز أن نقول أنه الحضارة (المزيفة) أو شيء غير محسوس أو (التلفاز) أو غيره بل نؤمن بخبره كما جاء في الاحاديث الصحيحة.

نظر صاحبي إلى ساعته . .

ـ زودني فعندما وقت ما زال . .

ـ لقد أخبر الرسول ﷺ انه ما من نبي قبله الا وأنذر قومه من فتنة المسيح الدجال . . وأنه عندما يقترب الدجال من «المدينة» لا يستطيع دخولها لانه كلما حاول ذلك منعته ملائكة كلفت بطرده عن المدينة . . فيصعد جبال احد . . وينظر منها الى المدينة يقول لاصحابه: الا ترون هذا القصر الابيض؟ هذا مسجد احمد . .

وترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج منها كل منافق وفاسق ليتبعوه . . وقد يذهب من يظن في نفسه الصلاح فيفتتن بأفعاله وخوارقه . . ثم يخرج إليه رجل هو خير الناس او من خيار الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله حديثه فيقول الدجال: ارأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الامر؟ فيقولون: لا . . فينشره نصفين يمشي الدجال بينهما ثم يأمره فيرجع حيا . . فيقول هذا الرجل: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يستطيع . .

قاطعني مرة ثانية . . .

ـ ولكن هذه فتنة كبيرة للعامة . . أي للناس الغاديين؟

ـ لقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى اخباره أكثر ما ارشد نبي امته ووصفه لنا وصفا لم يصفه نبي قبله وبين لنا طريقة النجاة من فتنته . . فأخبر ﷺ عنه فقال «لأنا اعلم بما مع الدجال معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فناره جنة وجنته نار فمن ادركه فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب» وفي رواية اخرى (فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما) . . وقد استدل العلماء من هذه الاحاديث

وغيرها إلى أن خوارق الدجال إنما هي من قبيل ما يخيل للناس أي ليس ما يظهر له حقيقة إلا حادثة ذلك الرجل الذي يقتله فيقسمه قسمين.

ـ وما نهاية هذه الفتنة؟

ـ كما أخبر الرسول ﷺ ان الله يأمر عيسى بن مريم عليه السلام فينزل فيقتل المسيح الدجال ويذبح الخنزير ويكسر الصليب ويحكم بعد ذلك بشريعة محمد ﷺ وهذا معتقد السلف رضوان الله عليهم . .

نهض صاحبي يريد الخروج ونهضت معه . .

ـ ولكن العجيب . . أنه مع ان الدجال مخلوق وأعور ورجل كالرجال إلا أن هناك اناسا يصدقونه بانه (الله) . . ومكتوب على جبهته (ك ف ر) . .

ـ نحن الان في زمان كل صاحب دعوة مهما كانت سخيفة وتافهة يجد من يصدقه فليس ببعيد ان يحدث ذلك!!

المذاهب الأربعة

مع أننا نسكن في الحي نفسه ولا يفصل منزلنا عن منزله الا أربعة بيوتات إلا اننا لا نلتقي إلا في صلاة الفجر. .

ذات مرة شعرت بنشاط ورغبة في الحديث عقب الصلاة ـ على غير العادة ـ فانتظرته لنتماشى الى بيوتنا في جو الفجر الصيفي. . سألته. . لماذا ترفع يديك في صلاة الفجر بعد الركعة الثانية تدعو بدعاء القنوت الذي نقوله في صلاة الوتر؟

ـ هكذا تعلمنا الصلاة منذ نعومة اظفارنا. . ندعو في الركعة الثاني في الفجر وفي الركعة الثالثة في صلاة الوتر. . بالإضافة إلى أنني شافعي المذهب وهذا الأمر ثابت في مذهبنا. .

ـ في الواقع لم أفكر يوما من الايام أن أتبع مذهبا بعينه. . لسبب بسيط. . وهو أنني كلما أردت أن أتأكد من فعل شيء أو تركه اسأل من اظن به العلم والصلاح والتقوى عن فعل الرسول ﷺ أو قوله في هذا الامر. . فان ثبت شيء فعلت وإن لم يثبت تركت. .

لم يقبل برأيي. . قال بصيغة الإعتراض. .

ـ ولكن يجب على المسلم ان يتخذ مذهبا من المذاهب الأربعة المعروفة والمسلمون دائما كانوا يتبعون أحد هذه المذاهب ولا أظن أن أحدا يرضى لنفسه ألا يتخذ مذهبا. .

.ولكن لنرجع إلى الأصل . . هل كان الرسول ﷺ يدعو لاتباع مذهب معين. هل كان الصحابة يتبعون مذهبا معينا. . هل هناك اية في كتاب الله او حديث او حتى قول لاحد الصحابة بأنه يجب على المسلم ان يتبع مذهبا معينا. . ويلتزم به ويتعبد الله به. . سكت وسكت. . فتابعت كلامي : ان الائمة الأربعة. . الإمام مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل. . . كلهم ائمة أجلاء علماء أتقياء واشهر من عرف التشريع الاسلامي. . ولكنهم جميعهم دعوا الى اتباع أحاديث الرسول ﷺ واقتفاء اثره. . فهذا الإمام مالك يقول : كل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر. . وكذلك قال الائمة الاخرون أقوالا بالمعنى نفسه وبألفاظ مختلفة. .

مثل : «إذا صح الحديث فهو مذهبي» . . ولكن ما حصل هو ان من اتى بعد هؤلاء الأئمة الأجلاء تعصبوا لآرائهم وجمدوا عليها حتى بعد ان بلغتهم الأحاديث الصحيحة والاخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ . . وزاد التعصب مع مرور الزمن . . واتت فترة على المسلمين منع فيها الاجتهاد وألزم الناس باتباع احد الائمة وفقاً للمذاهب وتقسم العالم الاسلامي بين هذه المذاهب وازداد الخلاف والتعصب . . حتى أصبح من يتبع المذهب الشافعي لا يصلي خلف من يتبع المذهب الحنفي وأصبح (الحنفي) لا يزوج ابنته لشافعي . . فأصبح في المسجد الاموي مثلا اربع جماعات للصلاة طبقا للمذهب وهذا منذ عهد ليس ببعيد . .

اظهر صاحبي استنكاره وقال : اظنك تبالغ فيما تقول . . فالمسلم يتبع المذهب ولكن لا يتعصب له لهذه الدرجة . . فأغلب المسلمين لا يستطيع ان يتتبع أحاديث الرسول ﷺ ولا يفهم معناها . . فيجب عليه ان يأخذ أحكام الفقه من عالم أو امام فيتبع أحد المذاهب لمجرد التيسير . .

قاطعته : ولكن ليس في هذا تيسير للناس . . فأيهما أيسر وأصح . . ان تاتي العالم فتسأله . . ماذا قال رسول الله ﷺ في هذه القضية وهذه القضية وهذه المشكلة ام تسأله . . ماذا قال الشافعي في هذه القضية؟ . .

ـ ولكن . . هل سيأتي الشافعي بجواب يخالف فيه الرسول ﷺ وهو من هو من العلم والورع والتقوى والصلاح .

ـ كلا . . . انا لم اقل ان الشافعي خالف رسول الله ﷺ ولكن لابد أن هناك أحاديث لم تبلغ الإمام الشافعي وخاصة في تلك الازمان حيث كان السفر من المدينة الى الشام يستغرق شهرا تقريبا . . فهناك احاديث كثيرة لم تبلغ الإمام الشافعي فاجتهد في القضايا التي لم تصل إليه أحاديثها وهو مأجور في اجتهاده وله أجر فيه . . ولكنه لو بلغته الاحاديث لم يكن ليجتهد بل يفتي بالحديث اليس كذلك . . وهذا حصل مع بقية الائمة ـ مالك وأبي حنيفة واحمد بن حنبل . . فكلهم اجتهدوا في اتباع الاحاديث والسنة ولكن فاتتهم أشياء . . وأتى بعدهم من بلغته هذه الأحاديث والأخبار الصحيحة فيكون بذلك رأيه اصح من آراء الائمة . . . وهكذا ينبغي ان يفعل المسلم ان يجتهد في اتباع ما ثبت عن رسول الله ﷺ سواء جاء ذلك في المذهب الذي يتبعه ابا عن جد ام لم يجىء . . . ولا يجوز لمسلم ان يتعصب لمذهب اذا بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ . . فالاتباع التام ليس لاحد بعد الرسول ﷺ .

التقليد الاعمى

قال احمد : يشعر الكثير منا بعد بلوغ الاربعين بالروتين في حياته. . بمعنى أنه يصبح اداء الاشياء بالنسبة له عملية تلقائية. . فالأيام بالنسبة له ليست سوى نسخ متكررة حتى تنتهي دورة الاسبوع لتعود من جديد.

كان احمد يناقش زوجته بعد أن أصرت عليه أن يقضي تلك الأمسية في البيت خلافا لبرنامجه اليومي. . وتابع كلامه قائلا : وهذه التلقائية في الاداء والتصرف والتفكير تجعل الانسان لا يفكر. . . بمعنى انه لا ينقاش نفسه ولا يسأل. . (لماذا هو يفعل الاشياء بهذه الطريقة ـ لماذا يتصرف بكيفية معينة ولماذا يحمل عقائد ومبادىء يظن أنها غير قابلة للجدال؟). . وهذه الاسئلة وغيرها لا يسألها كثير من الناس بل معظم الناس. . وذلك لأن الأنسان يتعود التلقائية في التصرف والاعتقاد والتفكير ولا يريد تغيير شيء.

ظلت زوجته صامتة تنظر إليه إحيانا ومع إنه لم يكن متأكدا من أنها تفهم ما يقول وتعي ما تسمع، إلا أنه استطرد في حديثه لمجرد أن كانت لديه رغبة في الكلام. . . فتابع. . . لعل مسألة الدين أولى المسائل التي لا يسأل عنها الإنسان. . فهو يتدين دون تفكير ويحمل أهم شيء في حياته ـ مبادئه ومعتقداته ـ دون تفكير ايضا. . بل بطريقة (التلقى) أو التقليد الاعمى. . الذي هو تقليد دون تفكير. . وهذا يؤدي إلى بناء العقيدة دون تفكير. . وقد أنكر الله هذه المسألة على مجموعات كبيرة من الكافرين في مواضع كثيرة من القرآن. . مثل قوله تعالى ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على أثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم قالوا انا بما ارسلتم له كافرون﴾.

ففي هذه الآية كان السؤال المنطقي على قولهم بأنهم يتبعون آباءهم هو : ماذا انتم عاملون لو جئتكم بأهدى وأحسن وأفضل من طريقة آبائكم؟ وذلك سؤال يحطم مبدأ خطيرا في الاعتقاد وهو مبدأ (اللاتفكير) أو (التقليد الاعمى). . الذي يعطي الانسان اجابة واحدة على جميع التساؤلات. . وهذه الاجابة هي. . (كل الناس يفعلون ذلك).

ظلت زوجته صامتة، ولكنها تظاهرت بشيء من الاهتمام..

وتابع: مبدأ (التقليد الاعمى) يلغى عن الانسان اهم عناصره (عقله) وهذا مرفوض في قضايا الاعتقاد.. التي هي أهم قيم الانسان.. فالإنسان الذي يلغي اهم عناصره في مسألة الوصول إلى أهم قيمه لا يبقى له من إنسانيته الا (المادية).. الأكل والشرب والتصرف.. فإن ادى به ذلك إلى اعتقاد يناقض الإيمان بالله وتوحيد واتباع الله وما جاءت به الرسل.. يدخل في وصف الله تعالى! ﴿أولئك كالأنعام بل هم اضل﴾.

ولقد نبهنا الله تعالى إلى أن الحساب يوم القيامة لا يكون بطريقة الجماعية والاتباعية... بل كل فرد مسؤول عن عقيدته بمفرده فيقول تعالى عن صنف من الذين لم يقبلوا الإيمان والتوحيد! ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا).

وهذا العذر - أعنى تقليد الاباء - يستخدم أحيانا لمجرد تبرير الاعمال التي يريد الفرد أن يعملها فيقول تعالي: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

وأراد أن ينهى حديثه لأنه أحس انه لا يجد أذنا مهتمة فقال.. وتبقى قضية مهمة.. وهي ضرورة إقتران التفكير والعقل بالمنطق السليم.. فلا يمكن أن يستخدم الانسان عقله في معرفة احكام غيبية أو ظاهرية غيبية أو ظاهرية لا مكان للعقل فيها.. فمثلا ما الفرق بين الصلاة وعدم الصلاة... عقلا قد لا يكون هناك فرق.. ولكن هذه (العقلية) غير صحيحة.. حيث انها تنظر (لمسألة الصلاة) مجردة منفصلة عما يسبقها وما يلحقها.. وهذا منطق غير صحيح.. فالايمان بالله عقلا والاعتقاد بربوبيته بالمنطق والتفكير يلزم الانسان التزام أوامره وخاصة الاركان.. فاذا كان إلها فمن حقه ان يحدد اركان الايمان به واركان اتباع دينه.. ومن الواجب على (العقل الصحيح) ان يلتزم هذه الاوامر حتى لا يكون هناك تناقض.

في المقبرة

رن جرس الهاتف منهيا محاولاتي الحثيثة للرجوع الى النوم بعد صلاة الفجر .. لم اشأ ان اجيبه ولكني فعلت ولم أنته من سلامي .. وسؤالي حتى بادرني: عبدالله اخي توفي البارحة وسوف ندفنه اليوم بعد العصر .. لم أكن قد استعدت وعيي بعد ... فواسيته ببرود ... واستلقيت على ظهري فترة قصيرة أحملق ولا افكر في شيء .. كان (عبدالله) في عمله .. وكان يتأخر احيانا إلى الليل .. ولكنه تلك الليلة لم يعد كنت في مسجد المقبرة مع أذان العصر.

وبعد الصلاة أخذت أمشي بين تلك الحفر التي احتوت أناسا أتت اجالهم ... شبابا ... أطفالا .. شيوخا ... الجميع يأتي إلى هذا المكان لا لينتهي بل ليبدأ رحلة الحياة الأبدية اقتربت من آخر صف .. وكانت الحفر لا تزال تنتظر ساكنيها .. وقفت على إحداها .. أمعنت النظر فيها .. لاشيء هناك ... حفرة دقت في ارض صلبة .. جميع الحفر متساوية في الطول والعرض والعمق .. وفي اللحد ايضا.

جلست لحظات لا أدري كم كانت، عند تلك الحفرة التي اعدت له لم انتبه الا على صوت احدهم ينظم مواقف المركبات التي استغلها المشيعون للوصول الى أماكن الدفن .. ووصلت السيارة الصفراء .. وتحامل الناس المرحوم .. مسرعين الى المصلى .. ووضع جهة القبلة ووقفنا صفوفا .. «اللهم أبدله داراً خيرا من داره، اللهم هون عليه ضمة القبر وسؤال الملكين، اللهم اغفر له خطيئاته وتجاوز عنه سيئاته، اللهم ارحمه واغفر له، اللهم وسع عليه في قبره ويسر عليه أمر بعثه وحسابه، اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده، اللهم اغفر لجميع موتانا وارحمهم انك انت الغفور الرحيم».

وبرفق حمل ووضع في لحده .. الذي غلق بالطوب .. وسدت الفتحات بينها بالطين .. وتوارى (عبدالله) عن الانظار.

كان ابنه واقفا .. ينظر .. ربما لم يكن يدرك تماما ما يدور حوله .. ولكن كان على يقين ان اباه (قد ذهب) ... وبينما انشغل الناس بدفن الحفرة بالتراب .. توجهت الى ناصر .. ضممته الى صدري وقبلت رأسه همست له بكلمات ... ولا أظن أنه سمعها وإن فعل فلا أظن انه وعاها .. فقد كان الموقف أكبر من ان يبقيه

قادرا على التركيز . . ولكن شعرت أني قريب منه مع اننا لم نلتق منذ خمس سنوات عندما كان طفلا في السابعة . . وذهب الاقارب الى حيث ينبغي ان يجلسوا لاستقبال المعزين . . ورجعت مرة اخرى مشيا بين القبور الى مدخل المقبرة.

وما أن ادركت مكان السيارة إلا ومعظم الناس قد ركبوا مراكبهم وتزاحموا خروجا . . جلست قليلا استمع الى بعض الايات من مذياع السيارة . . . وقبل غروب الشمس غادرت. رحمك الله يا ابا ناصر

الكفر درجات

بعد صلاة المغرب وبعد ان انتهى من التسبيح والدعاء وصلاة السنة اعتزل الى الزاوية القريبة من مكتبة المسجد يريد ان يحفظ بعض آيات الكتاب حتى يحين موعد صلاة العشاء فيصليها ويرجع..

لم تمض دقائق على جلوسه إذ أحد أصحابه يدخل المسجد وقد فاتته الصلاة . . . فسلم عليه وقام يشاركه صلاة المغرب حتى لا يصلي منفردا. . . وتحسب له هو نافلة. . وبعد ان قضيا الصلاة. . . رجع حيث كان. . . وصلى صاحبه السنة وأتاه قائلا :

- هل تنوي البقاء الى العشاء؟

- إن شاء الله. . .

قال وهو يتخذ جلسة مريحة !. . .

- اذن ابقى هنا ايضا فوالله ما كانت أعرف أين أذهب إلى أن تنتهي زوجتي من قضاء حاجيات الجمعية. . وبالمناسبة. . . قرأت في احد الكتب ان الايمان يزيد وينقص. . . وكذلك الكفر. . وبصراحة فهمت الجزء الاول اما الجزء الثاني. . فأجد في نفسي شيئا. . فالكافر هو الكافر. . وهو مخلد في النار. . . والمؤمن هو المؤمن. . وهو مخلد في جنات النعيم. . اعاد المصحف الى المقعد المعد له : نعم. . جميع الكفار يخلدون في النار ولكن في النار درجات او بمعنى ادق : دركات. . بعضها تحت بعض الى حيث المنافقون والعياذ بالله. . . وللتفصيل نقول أن الكفر يتفاوت وهذا وارد في القرآن حيث يقول تعالي : ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله﴾. والنسيء. . هو التأخير والتأجيل فكان الكفار يؤجلون الشهر الحرام بدل ان يكون المحرم يجعلونه شهر صفر وذلك ليحلوا لأنفسهم القتال متى شاءوا فسمى الله ذلك (زيادة في الكفر). . . وكذلك قال تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم أيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ فالقرآن يزيد المؤمنين ايمانا ويزيد الكافرين كفرا لجحودهم واعراضهم وانكارهم بزيادة. . . وكذلك قال تعالى : ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون﴾.

قاطعه صاحبه. . .
ـ انك تعطيني الأدلة وكأنك حضرت الموضوع سلفا هل تنوي اعطاء محاضرة او درس في الموضوع. . . على اية حال. . . هل هناك معاص بعد الكفر. . .
ـ ان الكافر العادل اخف عذابا من الكافر الظالم وهذا خف من الكافر الظالم المحارب للاسلام والمؤذي عباد الله وهذا اخف من الذي يفعل كل ذلك وينشر الفساد والخراب في الارض.. وهكذا. . . فعذاب الكافر المحارب المخادع للمسلمين اشد من عذاب الكافر الذي لا يحارب ولا يتعرض للمسلمين مع ان الجميع خالد في عذاب جهنم والعياذ بالله . . . ولكن هناك عذابا اشد من عذاب كما قال تعالي : ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾.
بدا الموضوع مشوقا وجديدا بالنسبة لفهد. . فسأل :ـ وماذا سيكون موقف غير المؤمنين من بعضهم يوم القيامة. . . هل سيعرفون بعضهم ويلتقون في الاخرة. .
أجاب بعد ابتسامة خفيفة لم تفقد الموضوع جديته:
ـ يقول تعالى. . . ﴿حتى إذا أدراكوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾.
وكذلك يقول تعالى : ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾.
وكذلك قال تعالى : ﴿هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربما من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾.
وقال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾.

ذكر الله

قال : ألا أدلك على عبادة لا تحتاج إلى جهد أو مال أو مكان أو ضوء أو وقت أو أي شيء لا يملكه كل إنسان ناطق..؟

أجابه : هذه والله نعمة العبادة... ولكن هل من ورائها أجر؟!

ـ بالطبع... أجر عظيم... في الدنيا والآخرة... فهي تكفر الذنوب وتحفظ من الشيطان وإضلاله وتزيل الهموم وتكشف الكروب وتثقل الميزان يوم القيامة وتنجي من النار أيضا.

قال مازحا : كأنك تحكي عن خاتم سليمان... مع أنه حتى خاتم سليمان لا ينجي من عذاب النار!!! ما هي هذه العبادة.. هيا أفدنا يا فقيهنا.

ـ انها (ذكر الله).

قاطعة.. هل «ذكر الله» عبادة؟

ـ ولم لا... أليست العبادة هي كل عمل شرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ للتقرب اليه... و«ذكر الله» عمل شرعه الله في كتابه في عدة مواضع ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾... وقوله ﴿أذكروني أذكركم﴾... وكذلك شرعه الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله.

ـ هلا فصلت في كيف يحصل الانسان على ما ذكرته آنفا.. من بركة وحفظ وهداية وأجر وغيرها.

ـ قبل أن أشرح ذلك ألا ينبغي أن تعرف ما هو «ذكر الله»؟.

ـ نعم... توكل على الله واشرح ما تريد...

ـ «ذكر الله»... هو ترديد بعض الألفاظ المشروعة بالقلب واللسان في مدح الله والثناء عليه والتسليم له... وهناك ذكر عام... أي لا مناسبة معينة له... مثل أن تقول «لا إله الا الله»... أو تقول : (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)... أو تقول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)... وغيرها من أذكار عامة...

وهناك ذكر خاص لبعض الأعمال والمناسبات التي يعملها الفرد المسلم . . . مثل ذكر اسم الله عند البدء بالطعام فتقول : «بسم الله» أو إذا نسيت أن تقولها في أول الطعام تقول متى ذكرت أثناء الأكل «بسم الله أوله وآخره». . . وكأن تقول إذا خرجت من المنزل «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله». . وكذلك دعاء المجلس ودعاء ركوب السيارة ودعاء النوم ودعاء انتهاء الصلاة. . . الى آخر هذه الاذكار التي ثبتت في السنة. . .

ـ وهل يجب حفظ هذه الأدعية والأذكار؟ !

ـ الذكر العام لا يحتاج إلى حفظ. . . فعندما تقول «سبحان الله» أو «لا إله الا الله». . . «استغفر الله العظيم» أو «يا حي يا قيوم برحمتك أستجير». . . هذه ألفاظ عامة لا تحتاج إلى حفظ. . . وأما الأذكار الخاصة فالأفضل استخدام الالفاظ التي وردت عن رسول الله بشأنها لأن الأجر والثواب متعلق بها. . .

ـ هلا ذكرت لي بعض أجر وثواب «ذكر الله»؟

ـ كل دعاء وكل ذكر له ثواب. . . فمثلا جاء في الحديث الصحيح في البخاري ومسلم ان رسول الله ﷺ قال : «يقول الله تعالى. . . أنا عند ظن عبدي بي واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منهم». . . وكذلك قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان كمن أعتق أربعة أنفس» ! وطبعا جزاء العتق هو أن يعتق الله المسلم من النار مقابل اعتاقه نفسا واحدة !!! وجاء في الحديث أيضا أنه «إذا ذكر الرجل الله اذا دخل بيته قال الشيطان لاصحابه لا مبيت لكم، فان ذكر الله عند الطعام قال الشيطان لأصحابه : «لا عشاء لكم». . . فان لم يذكر الله عند دخوله البيت قال الشيطان لأصحابه أدركتم المبيت فان لم يذكر الله عند الطعام قال الشيطان لاصحابه ادركتم المبيت والعشاء».

وجاء في الحديث أيضا «إذا قال الرجل عند خروجه من البيت بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله فقد هدي وكفي . . . وتنحى الشيطان عن طريقه»..

وأحاديث أخرى كثيرة :

سأله : متى يوصف المسلم بانه من «الذاكرين الله كثيرا والذاكرات»؟

ـ تعلم ان كل فرد يمكن ان يتميز بشيء ما. . . من الناس من يتميز بالصلاة

ومنهم من يتميز بالانفاق، ومنهم من يتميز بالصيام، ومنهم من يتميز بالعلم . . . وأظن أن أسهل الأشياء التي يمكن لكل أحد أن يتميز بها «ذكر الله» فهذه العبادة لا تحتاج الى شيء وقد جاء رجل الى رسول الله فقال : «لقد كثرت علي شرائع الاسلام فدلني على شيء اتشبث به» . . . فدله الرسول ﷺ قائلا «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله» . . . فمتى كان اللسان رطبا بذكر الله . . . في القيام والجلوس والذهاب والإياب والأكل والشرب والعمل . . . فهذا يرجى أن يكون من الذاكرين الله كثيرا . . . والله اعلم . . .

ـ سؤال أخير . . . هل صحيح ما يفعله بعض الناس من جلوس على شكل حلقة دائرية يرددون «الله . . . الله» . . . أو «هو . . . هو» . . .

ـ هذا العمل لم يثبت عن رسول الله ﷺ وترديد لفظ الجلالة «الله . . . الله . . . الله» . . . أو الضمير «هو . . . هو . . . هو» . . . ليس من الذكر الشرعي ولم يأت في الكتاب أو السنة فهو ليس من الذكر بل من البدع التي ادخلت في الدين .

كفاك ما كان.. يانفس

تلفتت حولها بحذر.. لم ترقب احدا فهمست.. هل استطيع الكلام معك بحرية؟!

نظرت يمنة ويسرة.. قلت بصوت خافت.. اظن ذلك.

قالت : هل استطيع ان اصارحك بكل ما يدور في خلدي..؟

- نعم قولي ما شئت..

انظر يا هذا.. قبل ان ابدا بأي كلمة اريدك ان تعلم انني لست من هواة الكلام ولا من محبي المراوغات.. وكل ما سأقوله.. لم يدفعني لقوله الا حبي لمصلحتك.. وحرصي على راحتك..

- هاتي ما عندك..

- ما الذي تريده من الحياة.. لا تقل انك لا تريد شيئا فانت هنا لتعيش.. ويجب ان تعيش.. كما يعيش الناس..

- انا معك.. انا هنا لاعيش.. وها انا اعيش.. ما الذي تريدين.. افصحي..

- اريد ان تكون كما كنت دائما.. اريد سعيدا.. هشوشا بشوشا.. وكما يقولون بالانجليزية (EASY)..

أريدك أن تتجاوب مع معطيات الحياة.. اريدك ان تشارك.. تعطي وتأخذ..

- قاطعتها بغيظ.. ولكني افعل كل هذا.. واظن انني سعيد كما انا..

- كلا.. كلا.. لست سعيدا انك توهم نفسك انك سعيد.. ولكن انظر.. لاتكاد تتقدم خطوة والا وتسأل الف سؤال.. هل يجوز لي ان اتقدم؟ هل يحل لي ان اخطو؟.

أين (أيام زمان).. عندما كنت لا تفكر في التقدم او عمل أي شيء.. حتى ان وقعت في خطأ فانك لم تكن تهزم!!؟

- أتريدين تفسيرا لهذا؟!!.. كل ما في الامر هو انني غيرت نظرتي للحياة.. وغيرت موازيني للامور.

انك لم تغير موازينك فقط . . انك اصبحت ملكا لوسواس . . وهواجس . . وافكار . . وخزعبلات والله اني لأحبك . . واعزك ولأجل ذلك اتألم . . لما تمر به وما تفعله الان . .

ـ وانا احبك واعزك . . ولكن لا اظنك تفهمين ما اريده انا . . ولا يمكنني ان اطيعك واتبع اوامرك كما كنت سابقا . . نعم مازلت في اخلاصي لك كما كنت . . نعم مازلت في احترامي لآرائك كما كنت . . ولكني لا أظنني أستطيع أن أغمض عيني لا اظنني أستطيع أن أغمض عيني لاكثر مما مضى . . فقد مضت علينا عشرون سنة . . وانت القائدة وانا التابع . . ويكفي . . يكفي ما كان فاسمعي ايتها العزيزة . . اسمعي جيدا واصغي وعي ما اقول . . اني رأيت طريقا مضيئا مستقيما واضح المعالم ولا أظنني سأعرض عنه.

ـ قالت أنا لا أريدك أن تترك الطريق المضيء المستقيم . . بل أريدك أن تفتح عينيك . . وتنظر الى كل شيء حولك . . فمثلا . . انظر الى هذه التفاحة الحمراء . . انظر . . الا تستحق ان تقترب منها . . تلمسها . . تلمعها . . حاول . .

اخذت التفاحة في يدي . .

فقالت . . لم لا تحاول ان تشتم رائحتها الطازجة . . وحاول . . الا ترغب في قطعة . . هيا ما عليك الا ان تضعها بين اسنانك وتتمتع بمذاقها . .

القيت التفاحة من يدي . . وصرخت بها . . كفاك ايتها النفس الخبيثة . . فوالله ان انت الا هادية الى الضلال والعذاب.

الخلــــــوة

كنت على موعد مع أصدقاء الخميس للذهاب إلى الشاليه حيث كان من المقرر أن ادير نقاشا حول المعاملات التجارية المعاصرة وأحكامها الشرعية..

بعد صلاة العصر.. ثبطت عزيمتي عن الذهاب.. وازدادا هذا الشعور مع مرور الوقت.. فإذا لم يبق إلا ربع ساعة على موعد الذهاب قررت انني بحاجة الى ان اخلو بنفسي ولن استطيع الذهاب الى اجتماعنا.. وحاولت الاتصال باحدهم ولكني لم اتمكن ولم يكن مهما ان اخبر احدا..

ذهبت الى احد المساجد.. اديت صلاة المغرب وتنحيت جانبا اريد ان اعيش مع كتاب الله.. اقترب مني أحد المصلين.. وكان أحد أصدقاء الشاليه.. سألني عن عدم ذهابي فاخبرته.. سأل..

- هل الخلوة هذه ضرورية؟

- بعض الاحيان أشعر أني لا أستطيع إلا أن اخلو بنفسي..

- وماذا تفعل واين تذهب..

- أي مكان.. المهم ان يكون بعيدا عن كل شيء.. البحر.. البر.. المسجد.. مع كتاب الله.

- سمعت أن الصوفية يعملون ذلك ايضا.. ابتسمت قليلا..

- لا أدري ما الذي يفعله أهل التصوف.. ولكن إذا خلا الانسان بنفسه فلا ينبغي له إن يتعدى الحدود الشرعية في ذكر الله.. أو التفكير في خلق الله.. فهو - إذا خلا - أما أن يردد اذكارا أو تسابيح ثبتت في الشريعة.. أو يقرأ القرآن.. أو يعتبر مما خلق الله .. ليشعر بالصفاء والنقاء الذي يأتي مع هذا النوع من الخلوات...

- وهل هناك وقت محدد أعني.. ليلا أو نهارا؟!

- هذه قضية ترجع إلى الشخص فالبعض يشعر براحة الخلوة بعد الفجر عند شاطىء البحر أو مع نسيم الفجر البارد في البر.. أو عند الغروب أو في ظلمات الليل.. فالوقت غير مهم ما دام المرء يذكر الله بطريقة مشروعة يدعوه.. يسبحه.. يقرأ كلامه ولا يأتي بأذكار وعبادات لم يشرعها الرسول ﷺ.

ـ هل من الذكر الصحيح أن يردد المرء (الله . . الله . . الله . .) او (هو. . هو. . هو). ؟!

ـ كلا. . . لم يثبت عن الرسول شيء من هذا. . بل هو من ابتداع المتأخرين. . فلا يجوز الذكر باسم الجلالة المجرد. . ولكن نقول (سبحان الله . . الحمد لله سبحان الله . . الله اكبر. .). .

ـ ولكن بعض الناس يصلون إلى حالة من (الصفاء). . . كما يقولون بهذا الذكر؟.

ـ مهما بلغ هؤلاء من حالة (الصفاء). . التي يزعمون. . حتى وان بلغوا ان مشوا على الماء، وطاروا في الهواء فان الذكر غير المشروع لا يثاب عليه الانسان بل يأثم لانه اتى بشيء ليس من الشريعة وادخله في الشريعة. . ويزين لهم الشيطان عملهم هذا فيحسبون انهم بلغوا مرتبة (الذاكرين الله كثيرا والذاكرات). . . أو حتى مرتبة أعلى من مرتبة عامة المسلمين ويدعون انهم من (الخواص) أو (خاصة الخاصة). . وهذه كلها مسميات لا أصل لها في دين الله. . لم يتسم بها خير خلق الله اجمعين محمد بن عبدالله عليه افضل الصلاة واتم التسليم.

وعلى أية حال. . ان المرء ان وقع في معصية يعلم انه في معصية وذنب. . ولكن إذا اتى المرء ببدعة في الدين ومخالفة للشريعة في قضايا العبادات فإنه يقع في معصية وذنب دون ان يعلم بل ويظن انه على خير. . ولذلك كانت البدعة في الدين اشد خطرا من الوقوع في معصية ظاهرة. . نظر صاحبي في ساعته. . قال:

اسف. . اخرتك عن خلوتك. . ثم سلم وانصرف. .

تعظيم شعائر الله

قالت شقيقتي: هل تعلم كم اشعر بالرهبة مع قدوم شهر رمضان.. انه شعور مشابه لما جاءني عندما اعتمرت للمرة الاولى.. فعندما رأيت الكعبة أول مرة اغرورقت عيناي ولم أتماسك نفسي فانهالت دموعي غزيرة.. ولم أشعر إلا لساني يتحرك بكلمات هي مزيج من الدعاء والتسبيح والذكر والاستغفار ورجاء التوبة... انه شعور بأن شيئا عظيما سيحدث...

ـ اجبتها: ولكنك يا اختاه تبالغين احيانا.. فلقد كنت تمتدحين كتابا لما فيه من اذكار... وعندما رأيته اخبرتك ان كثيرا من الاذكار الواردة فيه غير شرعية ولا يجوز التعبد بها.. بل وفي بعضها شيء من الشرك لما فيها من استغاثة بالرسول ﷺ.

قالت منفعلة: إنني أشعر بنفحة ايمانية عندما اقرأ هذه الكتب عموما ولا افكر بمعاني الكلمات التي فيها.. وتترك في نفسي اثارا طيبة.. أشعر بزيادة الايمان.. والتقوى.. والقرب من الله.. فهل هناك شيء أو قاعدة عامة لمثل هذه القضية..

اعتدلت في جلستي وقلت لها..

ـ أحتاج إلى بعض التركيز منك... هناك عدة نقاط في هذه المسألة...

اولا ـ يقول تعالى ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ فإن من التقوى ان يعظم الانسان في قلبه شعائر الله ومناسك الاسلام... وبالطبع أهم شعائر الله.. التوحيد والايمان ثم الفرائض... فالذي يستهزىء بآيات الله أو يسخر من الاحاديث أو من رسول الله ﷺ فهذا كفر بالله... وقد وصف الله المنافقين بذلك فقال في سورة التوبة.. ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾. ثانيا ـ من الناس من يبالغ في مسألة تعظيم شعائر الله فيعظم كل شيء ينسب للدين وإن لم يكن من الدين وهذا يجعله يقع في البدع... فترينه مثلا يعظم كل انواع الذكر وان لم يكن ثبت عن رسول الله ﷺ وترينه يعظم كل الصلوات وان لم تكن مشروعة وترينه يعظم ايام الاسراء والمعراج، ويصوم فيه، وأيام المولد والهجرة ويصوم فيها... وهذا ليس تعظيما لشعائر الله وانما من البدع التي يجب على المسلم ألا يقع فيها... فقبل ان يعظم المسلم ويحترم (الشعائر) الدينية يجب ان يعلم أنها من الشعائر التي شرعها الله أو ثبتت عن رسول

الله ﷺ. فليس من شعائر الله الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا آل بيته ولا أحد من الأئمة بعده..

قاطعتني لتسألني إن كنت أرغب في بعض الشاي فطلبت منها أن تؤجل الأكل والشرب حتى ننتهي من هذه المسألة.

وتابعت حديثي :

❁ ثالثا - تبقى الشعائر الاخرى التي ثبتت في الاسلام فكلما ازداد المسلم تقوى لله ازداد في احترام هذه الشعائر وتعظيمها... فيعظم مناسك الحج مثلا.. من طواف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة ورمي للجمرات وذبح ووقوف بعرفة..

فمع أن في أداء بعضها تعب ومشقة الا أن المسلم يعملها بنفس خاشعة راغبة راهبة.. رجاء رحمة الله ورضاه.. وكذلك بالنسبة للزكاة مثلا.. اعني زكاة الفطر. فلم يحدد الرسول ﷺ مقدارها المادي.. ولكن المسلم يخرجها من اطيب طعامه وأفضل أمواله .. ويدفع أعلى ثمن لأحسن طعام من باب تعظيم هذه الشعيرة ورجاء رحمة الله ورضاه.. وهكذا ينبغي على المسلم ان يكون في هذه القضية..

قالت مستفسرة: ولكن مع حرصي على تعظيم شعائر الله. أنا كما ترى أحب أن ألبس الملابس الجميلة وأضع أنواع (الماكياج)... هززت رأسي مبتسما...

- هكذا أنتن يا بنات حواء.. تصلح إحداكن في ناحية وتبقى ضعيفة في ناحية أخرى... ولكن على أية حال.. يجب على المسلم أن يعظم شعائر الله ويحترمها وإن لم يفعلها جميعها... وفي الجانب الاخر ينبغي ألا يتعدى الحد الأدنى من حدود الله فيقع في المعاصي... فهذه الملابس وهذه الزينة من الامور التي ينبغي إلا تلبسيها إلا في البيت يا أختاه...

ذنوب لا تغفر

لم تكن المرة الأولى التي اشعر فيها اني ضيف ثقيل على هذه المجموعة من الشباب ولكني لم اجد لي خيمة اخرى احتمي بها من الرمال التي بدأت تتطاير مع هبوب الرياح. . .

مرت فترة قصيرة تحدث فيها الجلوس عن مباريات الكرة وانواع السيارات واسعارها. . . ولكن كالعادة لا يشعر السامع بالهدف من الحديث او حتى موضوع الحديث. . اراد صهري ان يدمجني في الحديث فسألني. . .

ـ ما رأيك بتدخل الانسان المتدين في الامور الخاصة؟ بمعني إن كل شخص اسلامه لنفسه. . . ولكن المتدينين يأبون إلا أن يتدخلوا في كل شيء. . .

تعجبت من منطق المتكلم وكنت اكثر تعجبا من طريقة اقحامه هذا الموضوع دونما مناسبة. . . توجهت اليه مجيبا. . .

ـ من الخطأ ان تعتقد أن إسلام الشخص لنفسه فقط. . . فالاسلام عبادات. . وهي الامور التي تكون بين العبد وربه. . . وكذلك معاملات. . وهي التي تكون بين المرء والناس حوله. . . ولا ينبغي ان ينظر أحد إلى هاتين القضيتين على أنهما منفصلتان تماما. . . فلا يكمل ايمان المسلم الا بأداء حقوق الله وحقوق العباد ايضا. . . بدأ الحديث يأخذ صيغة السؤال والجواب. . . سأل احدهم. . .

ـ أظن أن الايمان بالقلب ويكفي أحدنا ان يكون أمينا شريفا صادقا وقلبه صافيا. . . فكم من إنسان مصلي ولكنه من أسوأ خلق الله في التعامل مع البشر. . .

ـ . . . أما في جانب العبادات فلا ينبغي لمسلم ان يتهاون في الفرائض وخاصة الصلاة. . . وباقي القضايا التعبدية قابلة لأن يغفرها الله تعالى للعبد اذا قصر فيها. . . اما في جانب المعاملات ـ اعني التعامل مع البشر ـ فان الله لا يغفر الاساءة الى الناس مهما صغرت هذه الاساءة. . . بل ان اكثر الاعمال التي تزيل الحسنات والثواب يوم القيامة. . . الاساءة الى الناس. . . ففي الحديث (ان الرسول ﷺ سأل اصحابه ذات يوم اتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا دينار له ولا درهم. فقال ﷺ. المفلس من امتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد ضرب هذا وشتم هذا وأكل مال هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا فنيت حسناته اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فطرح في النار). . . .

فمن هذا الحديث وغيره نستخرج ان الله قد يغفر الذنوب ما لم تكن شركا. . . الا الذنوب التي تكون تجاه الاخرين. . . مثل ظلم الناس وغشهم والكيد لهم والحديث عنهم إلى غير ذلك من الذنوب التي يكون فيها شخص اخر هو الضحية. . . فهذه الذنوب لا يغفرها الله تعالى وانما يحكم للمظلوم ويعطيه حقه ممن ظلمه. . . والمشكلة أنه في الاخرة ليس هناك أموال وواسطات ولكن الطريقة الوحيدة لإعطاء حقوق الناس هي إعطاؤهم من الحسنات أو الأخذ من سيئاتهم وكلاهما قد يؤدي الى العذاب في النار. . . كان الجميع مصغيا. . . فسأل احدهم. . .

ـ ولكننا أحيانا. . نتسابب ونتلاعن ويشتم بعضنا بعضا من باب المزاح؟. .

ـ هذا من الاخلاق الرذيلة ولا يقع فيها الا صنف ردىء من الناس ـ واسمحوا لي لهذه الكلمة ـ ولذلك اغلق الاسلام هذا الباب بان جعل سباب المسلم من الذنوب حيث يقول ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) . . . ففضلا عن كون التسابب والتشاتم خلق رديء هو من الذنوب. . . وطبعا تعلمون جميعا ان التلاعن ـ وهو ان تقول لعنك الله ـ اشد من السب والشتيمة وذنبه اكبر. . . ولا يجوز ان يقوله مسلم لا مازحا ولا جادا.

الخطيئـــة

على ارتفاع ثلاثين الف قدم التفت عبدالله الى صاحبه وقد انتهى من تقليب الجريدة..

اتدري انني اشعر براحة عجيبة في السفر.. فاحدنا يستطيع ان يعيش حياة (طبيعية) دون خوف من عادات وتقاليد وكلام الناس ومراقبة المعارف.. وخاصة اذا كان السفر لفترة يومين او ثلاثة او اسبوع على الاكثر..

لم ينظر اليه صاحبه وقال وهو ملق رأسه على الكرسي كأنما يفكر في شيء ما..

ـ ولكن كثيرا من الناس تجعل السفر وسيلة الى الرذيلة.. فهم لا يتخلصون من روتين العادات والتقاليد فحسب بل يعيشون كما يعيش سفلة القوم من اهل البلاد التي يذهبون اليها.. فالسفر عندهم... سهرات وشرب خمر وزني وكل شيء إلا الفضيلة.. بل انهم ان كانوا يصلون في البلد يأخذون (اجازة) حتى من الصلاة.. فلا صلاة الا بعد العودة الى ارض الوطن.

ولكن كيف تريدهم ان يصلوا وهم يرتكبون كل هذه الفواحش؟. التفت جاسم اليه دون ان يرفع رأسه عن الكرسي..

ـ ولم لا.. انني لا ادري لماذا يفهم الناس أن ارتكاب المعاصي معناه ترك الصلاة والتحلل من شرائع الاسلام..

إن المسلم قد يقع في المعاصي مرة ومرة ومرة.. ولكن هذا لا يعني أن يترك الصلاة.. فلو لم يبق لدى المسلم سوى الحرص على الصلاة في وقتها لساعده ذلك على التقليل من المعصية ان لم يتركها.

ـ بصراحة أعتقد أنا وأنه إذا لم يشعر الانسان أنه يرتكب خطيئة وشيئا مخالفا للذوق والاخلاق فإنه لا يمكن أن يتوقف عن الوقوع في أي شيء.

ـ ولكن ما هي الخطيئة.. ما هي مخالفة الذوق والاخلاق؟

ـ كل منا له مفهوم مغاير للخطيئة.. فبعضهم يرى الاتصال الهاتفي بالزملاء من الجنس الاخر خطيئة.. وبعضهم يراه من الادب والذوق وبعضهم يقول.. هذا يتوقف على طبيعة الزمالة والعلاقة ووضع كل من الطرفين.. وفي اوروبا مثلا لا بأس من التقبيل والاحتضان في الاماكن العامة وهذا عمل يخلو من الذوق والادب عندنا.

فما هي الخطيئة.. وما هي الأخلاق والذوق السليم؟
ـ طبعا لكل مجتمع مفهومه بالنسبة لهذه القضايا.. وعلى الانسان الا يشذ عن المجتمع الموجود فيه..
ـ هذا هو الخطأ.. فمعنى كلامك ان ما نستحي من عمله في بلدنا (نتفاخر) بعمله في اوروبا اليس كذلك.. فالمرأة التي لا ترضى لبناتها ان يخرجن الا بالعباءة في بلدنا تسمح لهن بلبس (الجينز) في اوروبا. اسمح لي ان اقول لك انك مخطىء ... فنحن كمسلمين ملزمون بمفهوم محدد للخطيئة.. وهي مخالفة احكام الشريعة.. سواء كان ذلك على شواطىء (كان) أو في قلب المسجد الحرام.. فالخطيئة هي الخطيئة، والعبرة ليست بنظرات الناس وتعليقات المارة.. ولكن العبرة نتيجة الأعمال.. حسنات أو سيئات.. فالمسلم ينبغي أن يعتقد اعتقادا جازما أن مخالفة الاحكام الشرعية هي الخطيئة ـ وان وقع فيها ـ وأن اتباع الأحكام الشرعية هي الفضيلة ـ وان قصر فيها ـ ويجب ألا يظن مسلم أن ارتكاب المعاصي يجب أن يصحبه ترك الواجبات .. بل على المسلم ان يواظب على الطاعات وخاصة الصلاة مهما بدا منه من معاص..
اعتدل عبدالله في جلسته استعدادا لتناول المرطبات وعلق قائلا:
ـ كلامك هذا اشبه الى النظريات والفلسفات منه الى الواقع، انا لا اقول انه خطأ .. بل هو صواب ولكن تعال قل لي من يستطيع تطبيقه أو من الناس يطبقه هذه الايام؟.
ـ إن المفاهيم الخاطئة والعقائد المشوشة في اذهان المسلمين هي التي جعلتك لا ترى من يطبق هذه الامور... واذا كان المسلم عنده بعض التقصير في الطاعات ويقع في المعاصي فإنه لا ينبغي عليه ان يكون لديه تشويش في العقيدة وقضايا الغيب والحسنات والسيئات وغير ذلك من الامور التي ستحكم مصيره عندما يلقى ربه يوم القيامة.. فالعقيدة الصحيحة والافكار الواضحة المستقيمة هي التي تعين المسلم على تخطي العقبات والنجاة من الزلات والسلامة من عذاب النار...

أسباب دخول الجنـــة

أوقف صاحبي سيارته وترجل منها ليزيل صندوقا توسط الشارع . . فقلت له : هل تعلم ان عملك هذا من الايمان؟ ابتسم وقال : ولا أظنني أفهم ما تقصد بكلامك هذا.

ـ أقصد ان ازالة ما يؤذي الناس من الطريق شيء من الايمان.

ـ ولكن أليس الايمان هو الاعتقاد بالقلب . .

ـ الاعتقاد بالقلب جزء من الايمان . . والعمل الصالح ايضا من الايمان . . كما اخبر بذلك الرسول ﷺ (الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان).

ـ ها قد عملنا أدنى اعمال الايمان . .

قالها مستصغراً منزلة ازالة الاذى عن الطريق . . . اجبته بشيء من الجدية .

ـ هل تدري ان إزالة الاذى من الطريق قد يكون سببا في ان يدخل المسلم الجنة . . وقد جاء حديث يبين ذلك حيث يقول الرسول ﷺ ﴿ان رجلا رأى جذع شجرة في طريق المسلمين، فقال أزيلها حتى لا تؤذي المسلمين، ففعل فرضي الله له عمله ذلك فغفر له، فدخل الجنة﴾ او كما جاء في الحديث.

ـ قال متعجبا . . هكذا تبدو المسألة سهلة . .

ـ قلت موضحا! . . قبل كل شيء لا يعلم أحد العمل الذي يكون سببا في ان يدخله الجنة ولا شك أن هناك أعمالا اعظم اجرا من غيرها . . ولكن لا ينبغي للمسلم ان يستصغر عمل الخير مهما ظن أنه لا قيمة له . . حتى الكلمة . . ونقطة ثالثة هي ان الرسول ﷺ اخبر بان هناك بعض الاعمال تعتبر فرصا للانسان ان يدخل بسببها الجنة.

استوقفني قائلا: مهلا . . اشرح لي كل نقطة من هذه النقاط الثلاث؟

ـ اما الاولى: فهي ان لا احد يعلم العمل الذي يؤدي به الى دخول الجنة، وذلك ان عملية موازنة الاعمال يوم القيامة ـ عندما توضع الحسنات والسيئات في الميزان ـ فان الذي يرجح كفة الحسنات قد يكون عملا صغيرا لم يعبأ له الانسان في الدنيا . . ولذلك أي عمل خير، مهما صغر، لا ينبغي الاستهزاء به فكما جاء في الحديث: (إن

الرجل يلقى بالكلمة لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها إلى الدرجات العليا) . . وكذلك (الرجل قد يتصدق بثمرة من كسب طيب لا قيمة لها في الدنيا فيقبلها الله وينميها ويبارك له في اجرها حتى تكون كالجبل يوم القيامة) معنى الحديث ـ وهكذا . . القيمة الحقيقية للاعمال تظهر يوم القيامة . . ولكن لاشك ان أعظم الاعمال هي الفرائض: (الشهادة ، الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج) . . واما النقطة الثالثة . . فهي بعض الفرص التي يهيئها الله للمسلم فتكون سببا في دخوله الجنة . . كمن يرزقه الله أبوين شيخين كبيرين في السن فيقوم بحقهما فيكونان سببا في دخول الجنة او ان يرزق الله المسلم ابنتين اثنتين فيربيهما حتى تتزوجا فتكونان سببا في ان يدخل الجنة . . وهذا وذاك ثابت في احاديث الرسول ﷺ كما جاء عن انس رضي الله عنه قال . . قال رسول الله ﷺ، من عال ابنتين او ثلاثا او اختين او ثلاثا حتى يبن او يموت عنهن كنت انا وهو في الجنة كهاتين.

وشبك الرسول ﷺ بين اصبعيه السبابة والوسطى . .
قال: هذا لا يدخل الجنة وحسب بل يكون مع الرسول ﷺ
قلت: نعم . . ولكن عملية تربية البنات هذه الايام اصعب المهام .

اجاب: والله لا شيء صعب اذا كان هذا ثمنا لصحبة الرسول ﷺ في الجنة . . اللهم ارزقني البنت الثانية قبل الولد.

المسلم الناجي

بعد انقطاع طويل عقدت العزم ان ازور الاخوة الذين يجتمعون مساء الخميس . . تواعدت مع احد زملاء العمل لأرافقه الى الجلسة.

في الطريق تجاذبنا أطراف الحديث . . سألني : أعلم ان حديث الرسول ﷺ «من قال لا اله الا الله دخل الجنة» وحديث «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله دخل النار». أعلم أن هذه أحاديث صحيحة ولكن تساورني تساؤلات كثيرة حول معانيها؟

ـ هذه الاحاديث تحكي المصير النهائي للانسان . . فالمسلم الذي يتوفى على التوحيد الصحيح لا يخلد في النار، وانما يعذب على قدر تقصيره في طاعة الله، أما الانسان الذي يقع في الشرك فانه يخلد في النار وان كانت عنده أعمال وأخلاق فاضلة.

ـ توقف صاحبي وسألني . . ولكن ما هي اقل «متطلبات» دخول الجنة والنجاة من دخول النار.

ـ هذا اجاب عليه الرسول ﷺ، عندما جاءه الأعرابي يسأله عن شرائع الاسلام فاخبره الرسول ﷺ بالشهادتين والصلاة المفروضة فقط والزكاة وصوم رمضان والحج . . اي فرائض الاسلام الخمس فقال الأعرابي «والله لا أزيد عليها ولا أنقص» فشهد له الرسول ﷺ قال: «دخل الجنة ان صدق». . فهذه هي أقل المتطلبات . . . أن يأتي المسلم بالفرائض الخمس كاملة ولا يقع فيما يناقضها فإنه باذن الله يدخل الجنة ولا يعذب في النار.

ـ أرى انك قلت الفرائض الخمس كاملة؟

ـ نعم . . يجب ان تكون كاملة . مثلا الذي يصلي ولكن لا يؤدي حركات الصلاة كما جاءت ولا يقرأ القراءة الواجبة بل ويتلفت في صلاته ويهملها هذا لا تنجيه صلاته من النار . كما جاء في الحديث «لا صلاة لمن لم يقم صلبه». . اي لم يعتدل تماما بعد الركوع . وكذلك من يصوم رمضان ولكن لا يتورع عن الغيبة والغش والنميمة وشهادة الزور هذا لا ينجيه صيامه من النار كما اخبر الرسول ﷺ.

«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه» . . وهكذا في الحج والزكاة . . فالفرائض الخمس تنجي من النار اذا اتى بها الانسان كاملة ولم يأت بما ينقضها.

ـ وما الذي ينقض الفرائض الخمس؟ اريد شرحا اكثر؟

لم يكن صاحبي يعلم الطريق الى المكان الذي نريد فاشرت بيدي ان ينعطف الى الطريق السريع الاخر. . اجبته:

ـ نواقض التوحيد الشرك . . جميع انواعه . . من ذبح لغير الله ونذر لغير الله وارتضاء حكم غير الله وتقديم شريعة على شريعة الله . . وهكذا . . ونواقض الصلاة عدم إتمام ركوعها وسجودها والقراءة فيها وغير ذلك . . ونواقض الزكاة . . الكسب السيء والتعامل بالربا والمن بعد العطاء والاذى وغير ذلك . . ونواقض الصيام . . شهادة الزور والاصرار على المعاصي . وغير ذلك . . ومعنى «نواقض» هنا بمعنى إخلال بكمال العبادة بحيث تصبح العبادة غير كافية لنجاة المسلم من العذاب يوم القيامة فيدخل النار ويعذب على قدر هذا التقصير. .

ـ ولكن ألا ينبغي أن يحرص المسلم على النوافل في الصلاة والصيام والصدقة والعمرة والحج؟

ـ نعم . . ينبغي ذلك. . . ولكن أول ما ينبغي الحرص عليه هو اتمام الفرائض الخمس كما يريد الله ويرضى ثم يأتي المسلم بالنوافل حتى يجبر ويكمل ماقد يكون نقص من الفرائض . . . ولكن يجب أن يتأكد المسلم ألا يؤدي الفرائض بكيفية تضيع فيها الفريضة ولا يبقى من اجرها شيء ويكثر من النوافل بنفس الطريقة المختلة، فان هذا لا ينفع ولا ينجي يوم القيامة . ولكن النجاة بان يأتي المسلم بالنوافل لسد الخلل القليل الذي قد يكون في الفرائض.

الواجب في اعتقاد

- إن أول شيء يفعله المسلم ليدخل في دين الله هو أن ينطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) . . ولكن لا شك ان هذا النطق لا بد ان يصحبه فهم وعلم بالمعنى ويعقبه عمل والتزام بالمقتضى . .
- ماذا تقصد بالعلم والعمل؟
- أقصد . . أنه يجب عليك اذا أردت أن تشهد على أى شيء أن تعلم . . فالشهادة في اي شيء دون علم ليست الا شهادة زور . . اليس كذلك . .
- نعم . . هو كذلك ولكن ما العلم المطلوب هنا؟
- إن العلم المطلوب هناك هو العلم الذي يترتب عليه عمل وتكليف . . وأول هذا العلم . . معنى الشهادة . . فهي إقرار وتسليم بأنه لا يستحق العبادة أحد سوى الله تبارك وتعالى . . فيجب على المسلم أن يعلم معنى العبادة . . وهو أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أعمال القلب والجوارح . . فالدعاء عبادة . . والصلاة عبادة . . والصيام عبادة . . والحلف عبادة . . والحج عبادة . . وتعظيم الله والخوف منه عبادة . . والصدقة عبادة . . وذكر الله عبادة . . وهكذا . .
- قالت : أن الواجب هو تعلم القضايا التي يترتب عليها عمل . . فهل لديك أمثلة للاشياء التي لا يترتب عليها عمل؟ . .
- نعم هناك قضايا في العقيدة لا يترتب عليها عمل ولذلك ليس من الواجب على المسلم أن يتعلمها . . مثلا! . . هل الذين يموتون دون أن يسمعوا بأي دين . . يكونون في الجنة أم النار؟ بالطبع يؤمن المسلم بأن الله لن يظلم احدا، وأنه عادل عدلا مطلقا . . ولكن مصير هؤلاء لا يترتب عليه عمل لدى المسلم . . ومثلا أن يسأل المسلم أين النار الان؟ . . مع أن المسلم يعلم أن الجنة مخلوقة والنار مخلوقة ولكن مكانها . . لا يترتب عليه عمل . . ومثل أن يسأل المسلم متى تقوم الساعة؟

فالمسلم يؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها ولكن زمانها لا يترتب عليه عمل . . . وهكذا . . ولكن بالطبع الأخبار التي جاءت في القرآن وفي السنة الصحيحة نؤمن بها وان كانت مجرد اخبار . . سواء عن الأمم السابقة أو الأحداث اللاحقة . .

ـ وما الفائدة التربوية من هذا النوع من العلم ؟ . .

ـ إن معرفة أمور العقيدة تجعل المسلم يتعامل بصورة صحيحة مع كل شيء في الكون . . . فهو يعلم سبب ابتلائه وسبب نعمته . . يعلم أن هناك ملائكة معه . . تحفظه وتسجل عليه أعماله . . يعلم أن هناك جن وشياطين يوسوسون له . . يعلم أن الله مطلع عليه في تصرفاته كلها بل وفيما يخالج داخل قلبه . . . يعلم أن هناك سؤالا في القبر . . . وهناك بعثا بعد الموت ، وحسابا وجنة ونارا . . . ولا شك أن كل هذه القضايا وغيرها تجعل المسلم ذا شخصية متميزة في نظرته للأمور وتصرفاته مع الناس والحيوان أيضا ، ، تجعله يعرف ما الذي يجب عليه أن يفعل تجاه الله . . حتى اذا هو قصر في حق الله يعرف كيف يرجع لله . . وثواب عمله في كل حال ويعلم مصير حسناته وسيئاته . . ويعلم كيف يجب أن يعتقد في الله . . خوفاً وحباً . . رغبة ورهبة . . وهذه كلها وغيرها فوائد عظيمة لا يعلمها إلا من تعلم العقيدة الصحيحة وآمن بالله الايمان الصحيح . .

البركة

ـ هناك قضية أجد في نفسي شكا منها.. هل حقا هناك شيء اسمه «بركة».. بمعنى أن المال مثلا إذا لم تكن فيه بركة يذهب دون فائدة، وكذلك الوقت الذي لا بركة فيه يذهب دون إنتاج شيء.. هل فعلا في الإسلام شيء بهذا المعنى.؟

بهذا أجبته مبتسما...

ـ بارك الله فيك... الا تسمع هذه العبارة...؟

ـ بالطبع أسمعها كثيرا ولكن هل هي في الدين؟

ـ لا شك أن كلمة «بركة» ومبارك وتبارك مرت عليك كثيرا في القرآن.. فهي بلا شك من الدين.. فمثلا وصف الله تعالى... القرآن بانه مبارك : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ اي ليفكروا في آياته.. ووصف تعالى المطر بانه مبارك : ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ ووصف البقعة التي كلم فيها موسى بأنها مباركة : ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾ ووصف ليلة القدر بأنها مباركة : ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾.. فالبركة موجودة في الدين والعقل والواقع.. ولكن يبقى ان نعرف معناها، وكيف نحصل عليها اليس كذلك...

ـ هل تعني أنه يجب أن نؤمن بوجود «البركة» في عقيدتنا؟

ـ بالطبع فهي ثابتة في القرآن والسنة وإنكار شيء من القرآن كفر مخرج من الملة.. أي يخرج من أنكر شيئا، من القرآن من الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله...

ـ اذن.. ما معنى البركة.. وكيف نحصل عليها؟

ـ (البركة).. هي النماء والزيادة و(التبرك) هو التيمن بمعنى توقع الخير والنماء نتيجة وجود البركة... (وتبارك من معاني التمجيد.. اي تمجد فهو صاحب المجد والبركة، فالله تبارك هو الذي يعطى البركة لمن شاء من مخلوقاته.. فجعل في المطر بركة.. أي الخير الكثير.. وكذلك يجعل البركة فيما شاء من خلقه... وبالطبع يسعى الإنسان أن تكون بركة في ماله ووقته وعياله وصحته... وإلا ذهبت هذه الأشياء دون فائدة... وطريقة الحصول على البركة... ان يبدأ الشيء بطريقة صحيحة... فبالنسبة للمال... تبدأ البركة بكسبه من الطريق الحلال المشروع وإلا فلا بركة في المال مهما زاد... ثم استخدامه في الحلال لأن وضع نعمة الله فيما يغضب الله كفر للنعمة... ثم دعاء الله ان يبارك له في ماله... فالله هو الذي

يعطي البركة ويمنحها. . . وكذلك أن يدعو له اصحابه. بالبركة. . . فقد كان من دعاء الرسول ﷺ لمن أراد الزواج (بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير). . . وكذلك من أحاديث الرسول في بركة التجارة قوله ﷺ : (البيعان بالخيار فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وأخفيا محقت بركة بيعهما). . . ومن الأسباب المزيلة للبركة في التجارة كثرة الحلف على السلعة. . . فلا يكاد يأتي زبون حتى يحلف له أنه اشتراها بكذا وكلفته كذا. . فهذا وإن كان حقا لا ينبغي أن يكثر المسلم من الحلف ليبيع بضاعته. . . والغش ـ في جميع الاشياء ـ مزيل للبركة. . . الغش في العمل أو العلاقات أو النوايا. . . يزيل البركة مباشرة. . .

ـ وهل هناك علامات تدل على أن هذا المال فيه بركة ام لا؟

ـ في الواقع لا أظن أنه يصح للمسلم يستعين بالظواهر ليصل الى الحقائق. . . فالحقائق ثابتة بالأحاديث والآيات والظواهر يمكن تفسيرها تفسيرات متناقضة. . فمثلا إذا ذهب المال فجأة بسبب حادث أو غرامة أو حريق. . . يقول الناس هذا بسبب أن المال من حرام ولا بركة فيه ويمكن ان يقول اخرون هذا ابتلاء من الله لأن هذا الرجل مؤمن !!

فالمسلم يتخذ الأسباب ـ أسباب الوصول إلى البركة ـ ويترك الأسباب المزيلة للبركة فيحصل على رضا الله ولا يهم بعد ذلك ما يحصل من مصائب أو نعم. . ﴿فإن أصابه خير شكر الله فكان خيراً له وإن أصابته مصيبة صبر فكان خيراً الله﴾. . . كما جاء في الحديث. . . أما الإعتماد على المظاهر بأن هذا فيه بركة وهذا لا بركة فيه فهو من باب الكلام فقط ولا يدري أحد إلا صاحب المال إن كان ماله فعلا من حلال خالص أم من مصادر غير مشروعة. . . فالتزام شرع الله والابتعاد عن الغش وعن (مزيلات) البركة ودعاء الله كاف لأن يضع الله البركة في المال والجهد والأولاد.

البـــلاء والابتـــلاء

ـ مع ان الكلمتين قد تحملان نفس المعنى إلا انني اريد أن استخدمهما بمعنيين مختلفين . . البلاء بمعنى المصيبة والعقاب، والابتلاء بمعنى الامتحان والتمحيص. . فهل لك أن تشرح لي تصنيف الحوادث التي تقع للبشر والدول والامم تحت هذين البندين ؟

كنا قد توقفنا على شاطىء البحر أملا في مكان هادىء وهواء طلق إلا ان درجة الحرارة العالية ـ مع ان الوقت كان ليلا ـ منعتنا النزول من السيارة فقررنا البقاء في جو مكيف . . التفت إلى صاحبي بعد ان ارتشفت شيئا من كوبي .

ـ أولا . . لا شك ان ظاهر الابتلاء والبلاء واحد . . كلاهما يقع على شكل مشاكل ومصائب على الفرد أو الامة. . وقد ذكر الله تعالى أن الامتحان والابتلاء لا بد منه . . كما في سورة العنكبوت ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون﴾ .

وكذلك حديث الرسول ﷺ (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ومن وجد في دينه غلظة زيد له في البلاء). . فالمؤمن يبتليه الله. . بمعنى يمتحنه بالسراء والضراء بالرخاء وبالشدة . . وذلك لتنقيته وتزكيته وزيادة منزلته . . ولكن إذا أغضب العبد ربه قد ينزل عليه المصيبة نتيجة معاصيه. . ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير﴾ أي المصائب التي تقع عليكم ليست إلا نتيجة أعمالكم السيئة والله يعفو ويتجاوز عن معاصي اخرى كثيرة . .

وكذلك قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾. . أي لما أغضب اولئك الناس الله انتقم منهم بان عاقبهم . . وهكذا . . قاطعني :

ـ فكيف نفرق بين ما يأتي نتيجة رضا الله وما يأتي نتيجة غضب الله؟

ـ بالنسبة للأفراد . . وقبل أن أكمل يجب أن أوضح أن لجميع الحوادث أسبابا مادية موضوعية دنيوية ـ سمها ما شئت ـ وأسبابا شرعية دينية غيبية ـ وأيضا سمها ما شئت ـ وهذه لا تتعارض مع تلك . . بمعنى : . الطالب مثلا . . إذا كان ممن أرضى

الله ولكنه لم يجتهد في دراسته . . يرسب . . فإذا هو أرضى الله ودرس أيضا ثم رسب فهذا ابتلاء من الله . . وذلك الطالب الذي أغضب الله ودرس فنجح . . فقد نال جزاء اجتهاده . . وقد يكون هذا إملاء من الله له . . أي استدراج . . وامهال . . وكذلك الأمم . . الأمة التي تغضب ربها بأن تحارب شريعته وتنبذ تعاليمه ولا تتحاكم إلى كتابه . . وفي الوقت نفسه . . لا تأخذ باسباب القوة والمنعة ولا باسباب التفوق والتقدم . . فهذه بلا شك لا تستحق إلا العقاب والذل في الدنيا والاخرة . . أما تلك الأمة التي ارضت ربها وارتضت شريعته ومنهاج رسله واخذت باسباب القوة الممكنة . . فهذه أمة ولا شك منصورة . . ولا يخذلها الله مع أعدائها وان كان قد يصيبها بعض الازمات والمشاكل . . قال:

ـ أريد تحديدا أكثر للاسباب الدينية والأسباب الدنيوية . .

ـ أنظر الى المسألة بأن هناك دنيا وآخرة . . النجاح في الدنيا يتحتم الأخذ بالأسباب المادية وإن لم يؤمن بالاخرة . . وينال هذا الذي أخذ بالاسباب المادية النجاح . . قدر ما أخذ من أسباب . . بإذن الله ومشيئته . . وليس له في الاخرة شيء .

أما الذي يأخذ بالأسباب المادية والشرعية فإنه ينال النجاح في الدنيا وله الأجر في الاخرة .

وباختصار لا ينبغي إرجاع فشل الأمة إلى القضاء والقدر فقط . . بل نجاح الأمم وعزها ينال بالأخذ باسباب القوة . . وقد أمر الله المسلمين بذلك . . ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ . . فلا بد من التقدم العلمي والتسلح والتخطيط والحذر . . وكذلك لا بد من الإستعانة بالله والرجوع اليه والاحتكام بشريعته واتباع منهاج رسوله . . وأي تقصير في هذين الجانبين يؤدي إلى المصائب . . وأمم الكفر ظاهرة اليوم وعزيزة لأنها اجتهدت وتقدمت وبذلت الأسباب المادية ولكن ليس لها في الاخرة شيء وما هي فيه الان ليس دليل رضا الله عنها بل نتيجة اجتهادها وتقدمها . . وليس لها في الاخرة من نصيب . . أما «أمم» الاسلام . . فلم تأخذ بالأسباب الشرعية ولا بالأسباب المادية . . لم تأخذ بالأسباب الدينية ولا بالأسباب الدنيوية . . فلذلك ليس لها في الدنيا شيء ولن يكون لها في الاخرة شيء ـ كأمم ـ ما دامت على ما هي عليه من محاربة لله ورسوله واعراض عن شرع الله ونهج رسوله (ﷺ) ونسأل الله العفو والعافية .

الشبهات والفتن

كانا جالسين في السيارة قبالة البحر كما اعتادا كل جمعة بعد العشاء .. قال الاول: عجيب امر هذا البحر .. فهو يعبر عن مشاعر الانسان مهما كانت .. فهذه الامواج مثلا .. يراها بعضهم نوعا من الاضطراب وعدم الاستقرار .. ويراها اخرون .. ابتسامات ودلائل فرح .. وتراها فئات اخرى .. دليل البقاء والاستمرار .. كانا يتناولان عشاء خفيفا .. فاجاب خالد: لقد ضرب الله امثالا كثيرة في القرآن تتعلق بالبحر والسفن والامواج .. انه مخلوق من مخلوقات الله العظيمة .. ويكفينا منه الراحة النفسية التي نشعر بها ونحن نتأمله .. حتى في ليلتنا هذه الباردة العاصفة ..

ـ اتدري يا خالد .. مهما عظمت مخلوقات الله تبقى مخلوقات مسخرة للانسان وخاضعة لاوامر الله لا تحيد ولا تتردد ولا تعصى .. الا الانسان .. هو المخلوق الوحيد ـ مع الجن طبعا ـ القادر على ذلك .. ولو تأمل احدنا في نفسه لرأى فيها العجب العجاب .. من الناحية النفسية او الطبية او الظاهرية حتى ان ايات الله عظيمة في الانسان وصدق الله حيث يقول:

﴿سنريهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾

كان خالد قد انتهى من عشائه فحمد الله وكأنه يريد ان يدخل نقاشا طويلا .. ترى .. ماذا تظن سبب ضلال الناس، بصورة عامة اعني؟

ـ باختصار .. اسباب الضلال ... شبهات وشهوات .. الشبهة في قضايا علمية اعتقادية عقلية والشهوات اتباع رغبات النفس واهوائها .. والاولى سببها الجهل والثانية سببها الضعف.

ـ وماذا عن الفتن التي يتعرض لها الانسان فتكون سببا في ضلاله؟

ـ اسمع يا خالد .. ان الشريعة قد بينت موقف المسلم من الفتن بالتفصيل وذلك حتى يعرف كيف يتعامل معها فمثلا اخبرنا الرسول ﷺ عن فتنة المسيح الدجال وهي فتنة عظيمة يتعرض لها الناس في اخر الزمان قال ﷺ عن هذه الفتنة .. «من سمع بالدجال فلينأ عنه (أي يبعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه بما يبعث به من الشبهات» .. فهذا هو الموقف المبدئي للمسلم تجاه

الفتن . . الإبتعاد عنها . . واما موقف المسلم تجاه الشبهات فعليه التخلص منها اولا بأول . . بمعنى انه اذا طرأت له شبهة في قضية من قضايا الشريعة سواء كانت في العقائد او الاحكام . . فعليه ان يبحث ويسأل ويناقش حتى ترتاح نفسه ولا تبقى فيه شبهة . . وخاصة في العقيدة . . فيكون على يقين من امره ولا يهملها مما يؤدي إلى تراكمها وبالتالي يشعر المرء بأن هناك نقصا ما . . في شيء ما . . ولا يفطن إلى تقصيره في درء الشبهات فيظن ان الدين أو الشريعة فيها نقص . . وهنا تبدأ النفس بإيجاد البدائل الفلسفية للشريعة، وتبدأ النفس بالإبتعاد عن دين الله والخوض في فلسفات ومعتقدات لا علاقة لها بالدين . . كانت نوافذ السيارة محكمة الإغلاق لبرودة الجو . . فأدار أحمد المحرك وفتح النافذة قليلا ثم أعادها مغلقة . .

ـ هل هناك تعريف للفتنة او الفتن؟

ـ لغة . . الفتنة هي الاختبار والامتحان . . تقول (فتن الذهب) أدخله النار لينظر ما جودته . . و(الفاتن) هو المضل عن الحق . وكثر استخدام الفتنة للمعنى الاخير بمعنى الاغواء والاضلال . . ولكن الله تعالى وعد المسلم بانه اذا اتبع الحق واتخذ الاسباب فانه لن يجعل للفتنة عليه سلطانا ولا للشيطان (الذي يسمى الفتان) عليه سلطانا ايضا . . ولكن قليلا من الناس من يفعل ذلك . .

معصية افضل من طاعـــة

كثيرا ما تحدثني نفسي عن مفهوم الطاعات والمعاصي واثرها على النفس البشرية. . اتى رمضان وشعرنا فيه بزيادة ايمان وتقوى. . وغادرنا رمضان. . فهل سنعود الى ما كنا عليه. . هل سنتهاون في قضايا الايمان والتقوى والورع.

نفسي تحدثني بأن لكل انسان مستوى معين من الايمان كلما حاول ان يرتفع عن هذا المستوى يعود ويرجع يرتكب من المعاصي ما يرجعه الى مستواه الايماني. . فاقول لها. . ولكن لا بد وان تكون للانسان القدرة على الارتفاع بايمانه الى مستوى لا يرجع عنه ولكن لا بد ان يتخذ الاسباب.

فتقول. . وهنا الصعوبة. . . اتخاذ الاسباب. . إن الذي يريد أن يرتفع بايمانه. . لا يكفي أن يأتي بالطاعات فقط بل لا بد أن يتجنب المعاصي ايضا. . ولكي يتجنب المعاصي يجب على الانسان أن يبتعد عن مسببات المعاصي: أماكنها الاشخاص الذين يدعون لها. . أجواؤها. . وخاصة تلك المسببات التي يعلم أنها نقاط ضعف عنده. . فمثلا الانسان الذي يعلم أنه لا يستطيع وئن يرد طلب صديق أو دعوة صاحب ينبغي أن يبتعد عن أصحاب السوء ودعاة الهوى. . والانسان الذي يعلم أنه لا يستطيع أن يردع نفسه عن شهواتها ينبغي أن يبتعد عن أماكن الهوى وأوكار الفساد. . أما الذي يذهب بنفسه إلى مراكز الغواية ويهيىء لنفسه أسباب المعصية ثم يقول انه سيمنع نفسه فهذا هو الانسان الذي لا يستطيع زيادة ايمانه. .

أجبتها. . ولكن ايتها النفس. . أنت التي تدعين إلى الهوى وأنت التي تزينين.

قاطعتني. . وما الذي أستطيع ان افعله والانسان هو الذي يعودني على طلب الشهوات وارتكاب المعاصي. . ان النفس المسلمة. . مجبولة على حب الايمان كما قال الله ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾. . الحجرات.

فالمسلم نفسه مجبولة على حب الخيرات والمكرمات وبغض المعاصي ولكن من يعود نفسه على نقيض ذلك تتحول. . فالانسان له القدرة على تزكية نفسه وتطهيرها أو تدسية نفسه وتبخيسها ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾.

قلت : صحيح ما تقولين. . ولكن أراك تحتارين في كثير من الاحيان في نتيجة

العمل الصالح . . أعني . . ألا تتساءلين ان كانت ثمرة العمل الصالح ازالة سيئة أو ذنب أو زيادة حسنة أو ثواب.
ـ إن العمل الصالح متى كتب في السجل الصالح فانه ينفع يوم القيامة حين توزن الاعمال الصالحة والسيئة . . فما زاد من الحسنات على السيئات كان سببا في دخول الجنة والنجاة من النار . . اما اذا قصر وزن الصالحات عن السيئات فهنا المصيبة . . والحقيقة ان العمل الصالح الواحد يختلف ثوابه من شخص الى شخص . .
ـ ماذا تعنين . .
قالت : لو قام شخصان بالعمل نفسه ـ لنفترض الصلاة ـ فان اجرهما قد يختلف بفرق السماء عن الارض . . حسب اخلاص كل منهما واجتهاده في ادائها على الصورة الصحيحة وخشوعه وحضور قلبه ووعيه معه الى اخر هذه الامور . . وبين هذا وهذا درجات كثيرة . . فالاعمال الصالحة لها شطران او ناحيتان . . الناحية الظاهرية . . والناحية الباطنية او المخفية وكلاهما يؤثر في مقدار الاجر الذي يكتب للعمل الصالح هذا.

اردت ان اقاطعها . . فأشارت علي بالصمت قليلا . .
وتابعت تقول :
ـ ولكن أتدري أن الخاسر هو الذي يعمل الأعمال الصالحة فتقلب عليه اثما.
قلت : وكيف ذلك يا نفسي؟
ـ إن العمل الصالح إذا أدى بصاحبه إلى أن يعجب بنفسه ويتفاخر ـ ولو بينه وبين نفسه ـ ويظن أنه قد بلغ الكمال ويشعر بالفوقية عن البشر . . هذا الشعور يجعل العمل الصالح ذنبا . . بل وبعض الأحيان قد تؤدي بعض المعاصي إلى حسنات عظيمة . . وذلك عندما يقع الانسان في معصية فيندم عليها ويرجع إلى الله خائفا راجيا، مستغفرا فهذا تبدل سيئته إلى حسنة أما ذاك فتكون حسنته سيئة عليه . . ولكن . . ها . . انتبه إحذر ان تترك الحبل على الغارب لأن كثرة الوقوع في المعاصي تؤدي إلى ماذا؟

اجبت : اكملي انت.
ـ كثرة المعاصي والاستمرار عليها يؤديان إلى موات القلب كما اخبر الرسول ﷺ في معنى الحديث (إن الفتن تعرض على القلوب . . فمن أشربها وقبلها نكتت فيه نكتة سوداء . . حتى يصبح القلب كالوعاء المقلوب الذي لا يقبل الحق ولا يرد الباطل) . . وكذلك ما دام الانسان ـ عادة ـ يتخفى من الاعين ويبتعد عن الاسماع

اذا كان يرتكب معصية . . فان كثرة ذلك تؤدي الى النفاق حيث انه يظهر امام الناس بمظهر يخالف حقيقة امره.

قلت: حديثك ممتع اليوم. . ولكني أسمع الاذان فاسمحي لي أن استعد للصلاة. .



العلم يورث التقوى

من القضايا الأساسية التي يغفل عنها كثير من طلبة العلم الشرعي، فضلا عن عامة المسلمين، أن هذا العلم لا يكفي للحصول عليه بذل الأسباب المادية فقط . . بمعنى أن قراءة الكتب وحفظ المراجع والتتلمذ على أيدي العلماء لا يكفي للحصول على العلم الشرعي الصحيح . . ولكن لابد من توفر التقوى في القلب حتى يحصل الانسان على العلم الشرعي الصحيح . . ويصل إلى مرتبة العلماء الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بانهم الفئة الوحيدة التي تخشى الله حق الخشية ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وهذا معنى قوله تبارك وتعالى في سورة البقرة ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ . . أي بعد ان تبذلوا الاسباب المادية للحصول على العلم اتقوا الله ليوفقكم الله في هذا العلم . . والتقوى درجة لا يبلغها المسلم ما دام جاهلا باحكام الشرع وبمعاني الشريعة . . بل لا بد من العلم ليصل المسلم الى معرفة ما احل الله وما حرم وما امر الله به وما نهى عنه حتى وصفها احد السلف بقوله ﴿التقوى ان تعبد الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تجتنب نواهي الله على نور من الله تخشى عقاب الله﴾ . . فالقضية تتسلسل كالتالي:

يتعلم الانسان قضايا الاسلام . . يتقي الله تعالى ويعمل بما علم فيوفقه الله الى علم جديد لم يكن يعلمه . . يتفق ومستوى تقواه الذي كان عنده . . فيتعلم مسائل ويتقي الله . . فيلقي الله في قلبه علما لم يكن يعلمه . . وهكذا . . ولكن لا بد من توفر شرطين في كل مرحلة من المراحل . . ﴿الاسباب المادية وتقوى الله﴾ . . فإذا عرفنا هذه القاعدة قد نفهم أسباب الفتاوى التي نسمعها بين الفينة والفينة من اساتذة جامعات شرعيين يحلون بها ما حرم الله أو يحرمون بها ما أحل الله . . فهؤلاء ـ وكما يبدو من مظهرهم ـ بعيدون عن التقوى.

ولسائل أن يقول: ألم يخبر الرسول ﷺ ان التقوى في القلب وليست بالمظهر والشكل؟

ـ والاجابة: أن التقوى إذا دخلت القلب أثرت على ظاهر الانسان . . بل وعلى طريقة مشيته وكلامه وانفعاله مع المؤثرات الخارجية . . وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾. . وايضا ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا﴾. . وايضا ﴿الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾.

فمن كان عنده العلم المادي المجرد عن التقوى فهذا لم ينتفع بعلمه مع انه قد ينفع غيره فمثله كمثل الارض الصلبة تحمل الماء ليستفيد غيرها منه.

عندما تضيق الدنيا

رأيته يطوف حول البيت يحرك شفتيه لا يشعر بمن حوله فقد كان في عالم آخر بعيد عن حرارة الشمس وزحام الطائفين وصراخ المطوفين . . لم ارد ان اقطع عليه خلوته فأتممت الطواف وانتظرت عند المقام . انتهى عند الحجر الاسود. . وتوجه الى الكعبة . . رفع يديه. . اطال الدعاء حدثتني نفسي بالانصراف، لكنني ابيت بعد ان انتهى اتجه الى ماء زمزم . . وقفت قبالته. . ولكنه بقي في عالمه . . حتى ابتدرته السلام فكأنما انتقل من عالم الى عالم اخر . . بعد التحيات والسؤال عن الاحوال!

ـ اشعر وكأنما قطعت عليك خلوتك؟

ـ ابتسم . . نعم . . قد فعلت . . لقد كنت في دنيا ثانية . . رحبة . . واسعة فيها رحمة الله . . وقبوله لعباده.

توقف قليلا حتى نشرب من زمزم وتابع: تعلم يا اخي . . بعض الاحيان تشعر وكأن الدنيا لا تسعك تضيق بك حتى تكون اصغر من مد رجليك . . تلجأ إلى الصديق . . فتراه قد انشغل عنك او قلب لك ظهر المجن . . تلجأ الى القريب فربما استمع إليك يجاملك فان اطلت ثقلت عليه شكواك . . تشعر في تلك اللحظات انك تريد ان «تخرج من نفسك» . . وينسى كثير من الناس ان هناك دائما إله ورب رحيم يمكن للانسان ان يلجأ إليه . . مهما كان الوضع . . ومهما كانت حالة العبد . . فالرب تبارك وتعالى . . يقبل العبد إذا اقبل عليه يشكو أو يستنصر أو يستغفر . . مهما كان عند العبد من ذنوب . . بل جاء في الحديث . .

(ان الله لاشد فرحاً بتوبة العبد من احدكم بفلاة وقد فقد زاده وماءه على راحلته فوضع رأسه تحت شجرة يقول انام هنا حتى اموت ثم فتح عينه فوجد راحلته عند رأسه . . فقال . . اللهم انت عبدي وانا ربك . . اخطأ عن شدة الفرح» . . (معنى الحديث) فالله دائما يقبل العبد . . ودائما يفتح ابوابه لعبيده إذا هم لجأوا اليه.

سألته بعد ان اخذنا مجالسنا في الظل.

ـ ولكن معظم الناس تصيبه المصيبة فيلجأ الى الله فتنكشف المصيبة فيعرض عن الله.

ـ اعلم ذلك . . وقد ذكر الله ذلك في كتابه في مواضع كثيرة منها . . (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)، ومع ذلك فإنه في لحظات الشدة والضيق يلجأ العبد لله بصدق وإخلاص يرجوه أن يكشف عنه مصيبته ويزيل عنه كربه والله يقبل عبده هذا ولا يرده فالله أرحم بالعبد من نفسه . . والله أكثر رأفة بعبيده من الأم بولدها الرضيع . . ولا يرد الله عبدا إذا هو أقبل عليه . . مهما كان هذا العبد.

ـ أليس الواجب على العبد أن يتعظ من المصيبة الأولى أو الثانية أو الثالثة؟

ـ نعم ينبغي على الإنسان أن يتعظ . . ولكن إذا هو نسي ثم رجع إلى الله . . فإن الله لن يرده . . وإذا اتعظ الإنسان فهذا لاجل نجاته وفوزه فإن الله لا تنفعه توبة عبيده كما لا يضره اعراضهم عن دينه . . وكلما وقعت مصيبة على الإنسان فلجأ إلى الله فزالت فتلك حجة على هذا الانسان وتذكرة له وإشارة حمراء تنبه إلى الطريق الصحيح . . أردت أن أنهي هذا الموضوع لنتحدث في قضية اخرى . قلت . .

ـ لو اتعظ الانسان بالمصائب التي تنزل عليه او تنزل على من يعرف لما بقي ضال على هذه الارض ولكن معظم الناس يرى الموت رأي العين ثم ينسى ذلك ويتصرف وكأنما سيخلد في هذه الدنيا . . فأين هؤلاء من رحمة الله قاطعني . .

ـ اتق الله يا اخي . . فليس لك أن تحجر رحمة الله . . والله . . حتى لو وقع المرء في الكفر ثم رجع إلى الله يتوب ويستغفر فانه سينال رحمة الله . . ومهما كان عند المرء من معاص فإنه في اللحظة التي يقبل فيها على الله فإن الله يقبله على قدر صدقه وإخلاصه . . ولكن الخوف كل الخوف أن يموت الإنسان فجأة وهو في غير طاعة . . فإن موت الفجأة هذا لا يعطي فرصة للانسان ان يرجع . . . فيخشى على من مات مرتكبا لمعصية ان يبعث يوم القيامة على معصيته والعياذ بالله.

الفتنـــــة

ـ سألني : وردت كلمة «فتنة» في مواضع متعددة من القرآن فهل كلها لها نفس المعنى؟

ـ «الفتنة» في اللغة الاختبار والامتحان . . والمعاني التي جاءت في القرآن تدور حول هذا المعنى اما سبب الاختبار أو نتيجة الاختبار أو حال الاختبار . . فمثلا قوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي أحرقوهم بالنار وتقول العرب فتن الذهب . . أدخله النار ليختبر جودته . . وقول الله تعالى : ﴿ والفتنة أكبر من القتل﴾ . . اي اختبار المؤمن وابتلاؤه بالمصائب فيكون سبب ذلك ان يرجع عن دينه فيكفر . . هذا الذنب أكبر من ذنب قتل المؤمن . . وقوله تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ أي يحرقون . . ولكن أغلب المعاني إذا هي أطلقت تعني . . «الاختبار والامتحان» . . مثل قول الرسول ﷺ «ما تركت فتنة أشد على الرجال من النساء» . . أي سببا واختبارا يؤدي إلى ضلال الرجال واغوائهم .

ـ سأل . . من هذا اذن اكتسبت الفتنة معنى الإضلال . .

نعم . . والله تبارك وتعالى وصف المال بأنه فتنة ووصف الابناء بأنهم فتنة . . أي إختبار ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ . . وجاء في الحديث أن الرسول ﷺ كان يستعيذ في صلاته بعد التشهد الاخير يقول: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ومن فتنة القبر ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات) . . وجاء في بعض الآثار . . «وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» .

ـ نرجع لمسألة الأموال والاولاد . . فقد وصفهما الله بأنهما زينة الحياة الدنيا ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ فكيف يكونان فتنة؟!

ـ إن جميع ما في الحياة فتنة بمعنى إختبار . . الصحة . . والمال . . والعقل . . والمركز . . والجمال . . والزوجة . . والأبناء . . كلها اختبارات . . اي فتن . . ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ والانسان يسعى في هذه الحياة الدنيا للحصول على هذه الأشياء والإستزادة منها ولكن ينبغي ألا تكون سببا في ان يبيح لنفسه الوصول إليها بالطرق المحرمة اللامشروعة كما ينبغي ألا تلهيه عن واجباته الشرعية كالصلاة والزكاة والجهاد والحج . . ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ . . فمتى وقع المسلم في أحد هذين الأمرين :

الحصول على هذه الأشياء عن طريق غير مشروع أو ألهته هذه الأشياء عن أمور واجبة عليه فإنه يكون قد افتتن بهذه الامور .

- سأل . . بعض الأحيان يشعر المرء بانه قوي متمكن بحيث لا تؤثر به هذه الأشياء . . فهل يجوز للمسلم ان يتمنى الفتنة . . أو أن «يذهب» اليها ؟

- بالطبع لا . . فالمسلم يجب عليه ان يستعيذ بالله من الفتن . . ما ظهر منها وما بطن . . والأماكن التي توجد فيها هذه الفتن ينبغي على المسلم ان يبتعد عنها ولا يذهب إليها برجليه . . بل ينبغي ألا يأمن على نفسه الفتنة فيظن انه «فوق الفتن» بل الجميع قابل لأن يفتن والمسلم يخشى أن يقع في الفتنة من حيث لا يدري فيستعين على دفع الفتن بكافة الأسباب المادية والشرعية . . فهو يبتعد عن أماكن الفتن ومواضع الشبهات . . ويدعو الله ألا يفتتن . . ويصاحب من الناس من يعينه على اجتناب الفتن ومواجهتها اذا هي وقعت له أو وقع فيها . . هكذا ينبغي أن يكون موقف المسلم تجاه الفتنة .

أعظم الذنوب

قال مستنكرا : مالى اراك تحمل على اهل الصلاح والتقوى اكثر مما تتكلم عن اصحاب الهوى والشهوات. . الذين لا يكادون يتقربون الى الله الا في رمضان؟!

ـ اجبته : قبل ان تنكر علي طريقتي هل تساءلت عن اعظم الذنوب واشدها عقوبة عند الله : «انا الشرك بالله» اتدري ما الشرك بالله. . .

سكت ولم يجب فتابعت كلامي :

ـ إن الشرك أعظم ذنب، واذا مات المرء مشركا بالله خلد في النار. . أما إذا مات المرء مرتكبا للمعاصي كشرب الخمر فإنه لا يخلد في النار إذا كان غير مشرك بالله. . . ولذلك يجب ان يعلم المسلم الشرك تمام العلم حتى لا يقع فيه. .

قال : هل تريد أن تقول أن هؤلاء المشايخ وأهل الصلاة يقع منهم الشرك بالله؟. . .

ـ لا أريد أن أحكم على أحد. . . ولكن تعال نتعرف على الشرك ثم أحكم أنت بنفسك. . . إن الشرك هو صرف شيء مما لا ينبغي إلا لله لغيره عز وجل. . . مثلا. . . الدعاء لا ينبغي إلا لله فمن صرفه لغير الله. . . فقد أشرك. . . ومثلا النذر لا ينبغي إلا لله. . . فمن نذر لغير الله فقد أشرك. . . ومثلا الذبح. . . لا ينبغي إلا لله فمن ذبح لغير الله فقد أشرك. . . وهكذا. . .

فهذا جانب من التوحيد يسمى «توحيد العبادة» أو (توحيد الالوهية). . وإذا لم يقع هؤلاء الناس في هذه الأعمال التي ذكرت لك فانهم يقرون من يقع فيها من العامة والجهلة. . وكذلك يدخل هؤلاء (اصحاب العمائم) في الدين ما ليس منه. . . فيقعون في البدع وهذا من اعظم الذنوب بعد الشرك. . .

قاطعني : هل تعني ان الوقوع في البدع، اعظم من شرب الخمر؟

ـ بالطبع. . . هذا ما أعنيه. . . وهذا ما كان عليه السلف الصالح والبدعة كما تعلم هي ان يتقرب المرء الى الله بغير ما شرع، وقد كان السلف يشبهون صاحب البدعة بالنصارى واليهود ويسفهونهم ويحاربونهم بالحجة والنقاش والكتاب. . وذلك ان صاحب البدعة يظن أنه يتقرب إلى الله ويفتن الناس ببدعته ويضلهم. .

وفي مثل هذا يقول الله تعالى : ﴿قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾، فشارب الخمر يعلم

انه مقصر مذنب.. ويعلم جميع الناس أنه مقصر مذنب... أما صاحب البدعة فيظن أنه يتعبد الله ويظن الناس أنه من أهل الصلاح فيتبعونه وهو في ضلال عن دين الله.. فمصيبته أشد وأنكى...

وما يفعله هؤلاء الناس لا يخرج عن أن يكون شركا بالله أو بدعا في دين الله... ولذلك تراني أحمل عليهم أكثر مما أحمل على أهل الفسوق والمعاصي..

ـ ولكن أليس لهؤلاء فهمهم الخاص لكتاب الله... وتفسيراتهم لأحاديث رسول الله ﷺ؟

ـ اسمع يا هذا... هؤلاء أتوا كتاب الله فحرفوا معانيه عن المعاني التي كان عليها الصحابة والتابعون... وأتوا إلى أحاديث رسول الله فأدخلوا فيها ما شاءوا... ومن المعلوم في آداب النقاش انه اذا اختلفت الافهام وتعارضت المعاني فان الجميع يلتزم باللفظ الظاهر بمعناه العربي الاصيل... وهذا ما أمر الله به رسوله ﷺ عندما اراد اليهود جداله حيث قال:

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.. على أية حال لدى قناعة أنه لا فائدة ولا طائل من نقاش هؤلاء الذين يتلبسون زي العلماء... ولكن الهم الاكبر هو هؤلاء العوام الذين يركضون وراء كل ناعق ويقعون في أمور لا يعلم إثمها إلا الله تعالى.. فكثيرا ما يصنع الناس أشياء لغير الله ويحسبون أنهم يحسنون صنعا... أليس الذي يعرف توحيد الله ولا يشرك به ويصلي أفضل من هؤلاء وإن كان يقع في بعض المعاصي الظاهرة كشرب الخمر...

ـ أظنك مصيبا في هذا...

بيت العنكبوت

كان الهدوء يحيط بالمكان بعد ان انتهى وقت الدوام الرسمي وغادر الجميع. . قررت ان ابقى إلى صلاة العصر. . تجولت بنظري على الطاولة. . هل أقرأ شيئا أم أحضر لمادة الغد أم أكتب التقرير المطلوب مني؟!. وأخيرا استقر رأيي على تلاوة شيء من كتاب الله خاصة واني كنت متأخرا في قراءتي الرمضانية. .

لم تمض دقائق حتى سمعت أحدهم يدخل المكتب. . . فإذا به أحد الإخوة المدرسين في القسم المجاور. . . سلم. . وجلس واستأذن في أن يبقي معي بعض الوقت. . .

سألته. . كيف حالك مع الصيام؟

ـ بخير والحمدالله معظم الايام مرت دون جوع أو عطش. . ولكن البارحة تسحرت سمكا. . . وأحس بعطش شديد الان خاصة وانني كنت في محاضرة قبل قليل. . .

سألته : ولكنك لم تجبني بعد؟

ـ ماذا تعني !

اعني انه ينبغي على أحدنا إذا اراد أن يجيب عن هذا السؤال (عن وضعه من الصيام)؟ أن يبحث في نفسه هل حقق غاية الصيام والهدف من هذه العبادة؟ هل أثر فيه الصيام وزاده التزاما بالاسلام وبعدا عن المعاصي. . . ام أنه يمتنع عن الطعام والشراب و(المعاصي) أثناء النهار ثم يرجع بالليل إلى سابق عهده. . . وما ان ينقضي رمضان إلا والحال كما كانت قبل رمضان. . . فهذا صراحة ينبغي أن تكون إجابته عن (كيف حالك مع الصيام؟). . . إنها حالة سيئة ومؤلمة حيث إنه لم يجن من صيامه إلا الجوع والعطش. .

قال صاحبي :ـ ولكن من الصعب أن يجاهد المرء نفسه لدرجة أن يشعر إنه ازداد ايمانا وتقوى. . . نعم احدنا يزداد قراءة لكتاب الله. . . ويكثر من الصلاة. . ويمتنع عن بعض المعاصي وهو صائم. . ولكن الشعور بزيادة الايمان وبالتقوى. . . هذه قضية ـ أظنها ـ صعبة.

ـ لعلك تعلم إن الوصول الى التقوى هو غاية الصيام وهدفه كما قال تعالى ﴿يأيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

ونتيجة هذا الصيام هو : ﴿ان يغفر له ما تقدم من ذنبه﴾ ﴿وان يدخل من باب الريان﴾ و﴿ان الله يعطيه على صيامه بغير حساب﴾.

ولكن للاسف كثير من المسلمين يصوم صياما فقهيا فقط اي يمتنع عن المفطرات الحسية فقط...

قاطعني : ولكنك بذلك تقطع أمل كثير من الناس... فالأغلب يصومون بهذه الطريقة.. بل ان منهم من يصوم دون صلاة..

قلت له : اذن.. ما الفرق بين الصيام ونظام قاس للرجيم؟

إن مثل الذي يمتنع عن الطعام والشراب ويظن انه سيغفر له كل ذنوبه ويدخل الجنة... هذا يعطي نفسه أملا أكثر مما يستحق.. كالعنكبوت تشعر بالامان في بيتها وتأوى اليه ليحيمها وهو أوهن البيوت..

قال : لقد ذكر الله هذا المثل في كتابه اليس كذلك؟

ـ نعم لقد ذكر الله مثل (بيت العنكبوت) حيث قال.. بعد أن ذكر تكذيب الامم السابقة لرسلها قال تعالى : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعملون﴾ فمثل الذي يلجأ إلى غير الله بالرجاء والنصرة والرزق والتوفيق أو أي شيء اخر مما اختص الله به مثله كمثل إلا العاملون) أي أن هذه الأمثلة الذي هو اوهن البيوت كما قال الله تعالى... والواقع إن كثيراً من المسلمين إتخذوا بيوتات (عنكبوتية) وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا.

ـ قاطعني... جميل هذا التعبير (بيوتات عنكبوتية)...

اجبته ـ صحيح ما اقول.. فهل من تعلق قلبه بشعارات القومية والناصرية والتقدمية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والـ (كل شيئية) عدا الاسلامية... هل هذا متعلق بشيء اقوى من بيت العنكبوت.. ولا والله.

وكذلك من تعلق قلبه... بالقبور والاضرحة والمقامات والزيـارات وغيرها.. هل هذا متعلق بشيء اقوى من بيت العنكبوت كلا والله... ولكن اسمع ما يقوله الله بعد تلك الآية : ﴿وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا االعالمون﴾ أي أن هذه الأمثلة والتشبيهاتِ والبيانات لا يفهمها ولا يعقلها ولا يعتبر منها الا العالمون... ولما كان اكثر الناس (جاهلون)... فانهم يقرأون هذه الاية وغيرها ولا يتفكرون... وعلى فكرة... يجب ان تعرف (العالمون) و(الجاهلون) في هذا المكان بان العالم هو كما ذكر الله... وليس بتعريفنا الأكاديمي الدنيوي...

اختبار التقوى

كنت وصاحبي نتذاكر سورة البقرة في المسجد بين صلاة المغرب والعشاء. . . بلغنا الحزب الثالث من الجزء الثاني وكنت أنا الذي يقرأ وصاحبي هو الذي يتابع. . . استوقفني منبها : الا تلاحظ ان هذه الآيات ـ اعني آيات الطلاق ـ كلها تتحدث عن تقوى الله في الطلاق وتنتهي هذه الآيات بمثل قوله تعالى : ﴿واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾. وكذلك قوله تعالى : ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا ونعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾. وكذلك قوله تعالى : ﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون﴾.

اجبت صاحبي مؤيدا كلامه : هذه ملاحظة صحيحة . . . ونستطيع ان نسجل الملاحظة نفسها في الآيات الواردة في سورة الطلاق التي مطلعها : ﴿يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم﴾ وقوله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾. . وفي الواقع يستطيع المرء أن يستنتج أن أحد المواقع او الحالات التي يمكن استخدامها لفحص التقوى هي «المشكلات الزوجية» ووقوع حالة الطلاق. . . فالمطلوب من المسلم ـ رجلا كان أو امرأة ـ في هذه الحالة أن يتقي الله ولا يسعى لاستغلال الظروف للاضرار بالطرف الاخر. . .

سألني : أليس هناك تلك الآية التي تحمل هذا المعنى نفسه؟!

ـ نعم. . . قوله تعالى ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ اي لا ينبغي أن يستغل الأبناء للإضرار بالطرف الاخر. . . بل إن الأمر الالهي للمسلمين ـ رجالا ونساء ـ أن يكون التسريح بإحسان. . . أي إذا وقع الطلاق فإنه ينبغي أن يكون بطريقة حسنة تحفظ لكل طرف كرامته وحقوقه الانسانية والنفسية والمادية والاجتماعية وإلا فإن فشل المسلم في أن يكون طلاقه «باحسان» دليل على فشله في إمتحان التقوى هذا. . .

هز صاحبي رأسه متعجبا : سبحان الله. . . ومن منا اليوم «يطلق بإحسان» أن الطلاق هذه الايام «معركة» يخسر فيها الجميع الزوج ـ الزوجة ـ الابناء ـ الاهل. . . لا لشيء إلا لفقدان المسلمين حقيقة التقوى.

ـ صدقت يا هذا . . . يظن كثير من الناس أن التقوى هي التأثر بآيات الله في المساجد أو التفاعل مع الخطب الحماسية، أو قيام الليل في رمضان، أو الحرص على جماعة المسجد . . . ومع أن كل هذه الامور وغيرها لازمة للحصول على التقوى إلا أن اختبار التقوى الحقيقي هو عند وقوع الأزمات وحدوث المشكلات الإجتماعية خاصة . . . فالرجل التقي هو الذي «يمسك بمعروف أو يسرح بإحسان» . . . بل إن الله جعل الاحسان للمطلقة من علامات التقوى بقوله ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ .

ـ ولكن هذه قضية صعبة . . . وعادة يفقد المرء زمام الامور في مسألة الطلاق ويشعر الزوج أنه خدع وتشعر المرأة أنها أهينت ويستنفر كل طرف «قواته» لإسترجاع كرامته . . .

ـ ولذلك كان الذي يتصرف بحكمة ووفق شرع الله في هذه الظروف هو الذي يستحق وصف «تقي» . . ولو تمعنا قليلا في شريعة الله لعرفنا ان قضايا كثيرة تحتاج الى تمرن وترويض . . . فالصبر لا يكون بعد زوال المصيبة بل (الصبر عند الصدمة الاولى) . . . والذي يزعم حب الله امتحنه الله بقوله ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ . . . وهكذا العفو والتنازل والتقوى والكرم . . . كلها اخلاق وضعت لها اختبارات وليست مجرد كلمات وألفاظ لا اختبار لها في واقع الانسان . . . واختبار التقوى يكون في المعاملات الاجتماعية والمالية . .

ولعلنا نتحدث مرة اخرى عن التقوى في المعاملات المالية . . .

رباه توبة

بعد عناء يوم طويل في العمل ثم في زيارات واجتماعات دخل عبدالله بيته وقد تجاوزت الحادية عشرة ليلا . . كان الهدوء مخيما . . فالأطفال يأوون قبل العاشرة . . فلم يطلق تحيته المعتادة . . وإنما صعد بهدوء إلى غرف النوم . . رأى زوجته أمينة ساجدة وقد اشتملت بثوبها الابيضِ . . . ظنها تصلي . . فلم يحدث ضجيجا . . ولم يسلم . . وإنما جلس بهدوء متكئاً على إحدى الفرش . . طال سجودها . . ولكنه تصبر . . فأخذ النعاس يتسلل إلى عينه . . ولكنه رفع حاجبيه ليطرد النوم .

رفعت أمينة من السجود . . ثم رفعت يديها الى السماء :

ـ رباه . . إنك تعلم ذنبي كله . . فاغفره لي كله . . صغيرة وجله . . رباه . . إنني أمتك ـ بتخفيف الميم ـ اللهم انت ربي . . خلقتني وأنا امتك . . وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وابوء لك بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت . . تطاع فتشكر . . وتعصى فتغفر . . أنت الأول فلا شيء قبلك وأنت الأخر فلا شيء بعدك . . وأنت الظاهر فلا شيء فوقك وأنت الباطن فلا شيء دونك . . الجهر والسر عندك سواء . . لا تطاع الا بفضلك ولا تعصى الا بإذنك . . أحاط علمك بالسماوات والارض . . اللهم اغفر لي . . اللهم اغفر لي.

ـ أحست امينة بوجود عبدالله . . فقطعت دعاءها . . وسلمت عليه وبعد ان سألته عن سبب تأخره . . لتعلم لا لتعاتب . . سألها:

ـ لماذا كنت ساجدة . . حسبتك في صلاة؟

ـ قرأت حديثا (إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) فأحببت أن أدعو الله وأنا أقرب ما أكون منه . . بجانب الخشوع والذل الذي أشعر به في السجود.

ـ ولكن الحديث هذا لبيان أقرب المواضع في الصلاة . . ولا يعني أنه إذا أراد الإنسان الدعاء أن يسجد فيدعو . . كما أنه ثبت عن الرسولﷺ أنه كان يرفع يديه في الدعاء ولم يثبت انه كان يسجد للدعاء في غير الصلاة .

ـ والله اني لأرتاح أن أسجد فأناجي ربي . . وأبوح بأسراري راجية عفوه ومغفرته . . خاصة ايامنا هذه مع قرب رمضان فإنني اشعر برغبة في الإكثار من الطاعات فقد قصرت طوال العام .

ابتسم منكرا . .

ـ إذا كنت أنت المصليه . . المتحجبة ـ الجالسة في البيت ـ القائمة على زوجك وابنائك تشعرين بالتقصير . . فكيف بحالي انا . . وكل يوم اقع في الآف المعاصي وارتكب آلاف الذنوب .

ـ انت تخرج لتكسب لنا . . وهذا عبادة . . وتخرج إلى صلاة الجماعة وهذا عبادة . . وتحضر الدروس . . وهذا عبادة . . وتنظم الجلسات النافعة في الديوانية وهذا عبادة . . تزور اصدقاءك وهذا عبادة . . وكلها مكفرات للذنوب . .

ـ أتدرين . . . إني (أحسدك) على هذا الوقت الذي تجدينه للقراءة والاطلاع . . وأنا لا أكاد أجد متسعا من الوقت حتى لرؤية الاطفال .

قالت بابتسامة تحد . .

ـ لا حسد الا في اثنتين . . (رجلا آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار ورجلا آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه) .

ـ لا والله . . إن نعمة الوقت . . أقصد الفراغ نعمة مغبون بها كثير من الناس كما اخبر الرسول ﷺ (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) .

ـ لديك الان بعض الوقت . . قم تبرد قليلا . . فتنشط وخذ المصحف فاقرأ حزبك الذي اعتدت ان تقرأه كل ليلة . . ثم صل الوتر . . فتكون اديت واجبك . . قام متثاقلا . . وقال :

ـ وهل ستنتظريني افعل كل هذا؟

ـ اجابت اشعر بنفحة ايمانية هذه الليلة . . وليتنا نقيمها . . ما رأيك يا عبدالله .

ـ أنا بالكاد استطيع ان افتح عيني . . سيكفيني ان اركع ثلاث ركعات للوتر . . والا فلن نستيقظ لصلاة الفجر . .

الاعتراف

قالت لزميلتها بينما كانتا تتمشيان في ساحة الجامعة:

ـ ترى كم من المبادىء يستطيع الإنسان أن يتبع دون أن يكسرها؟

ـ لا اظنني فهمت سؤالك . .

ـ يقولون . . إن يصحاب المبادىء أي مبادىء متى نقضوا شيئا منها فمن السهل أن يخرقوها كلها .

ـ هذه إحدى النظريات في العلوم الانسانية . . وأنا شخصيا لا أؤمن بهذه النظريات . . فإذا أخذنا الإسلام مثلا . . من الممكن أن يكون المسلم قويا في ناحية وضعيفا في ناحية أخرى فتقع منه تجاوزات في أمور بينما تجدينه من أقوى الناس في أمور اخرى .

ـ ولكن اليس هذا تناقضا بالنسبة للمسلم الملتزم شرع الله؟

ـ كلا . . فقضايا الاسلام نستطيع ان نقسمها إلى قضايا من تعداها أو لم يحققها يخرج من دائرة الإسلام . . وهذه تتضمن قضايا الاعتقاد كتوحيد الله والقضاء والقدر والإعتقاد بالرسول والكتاب إلى آخر هذه الأمور ولعل الصلاة في هذا الباب أيضا . . أما القضايا الاخرى إذا تجاوزها المسلم أو قصر في تحقيقها فهي لا تخرجه من دائرة الاسلام .

قالت مستزيدة . .

ـ تقصدين الذنوب التي يرتكبها المسلم . ؟

ـ نعم سواء وقع في معصية أو قصر في واجب . . فالمسلم معرض لمثل هذا وما عليه إلا أن يرجع إلى الله ويتوب فيغفر له وكأن شيئا لم يكن . .

ـ ولكني اشعر أنني شديدة التقصير . . وإنني (اخدع) نفسي والناس بهذا الحجاب الذي أغطي به رأسي . . أحس انني بعيدة عن الإلتزام وأنني لا أستحق أن ينظر المجتمع لي أني ملتزمة . . بل بصراحة ـ فكرت كثيرا أن أترك الحجاب ومظاهر الالتزام نتيجة الذنوب التي اقع فيها .

ـ هذا الشعور ينتاب كل مسلم مخلص . . حتى خيرة الناس . . الصحابة كان ينتابهم شعور بالتقصير . . ففي البخاري أن أحد التابعين يقول (ادركت ثلاثين صحابيا كلهم يخشى على نفسه النفاق) . . وعمر رضي الله عنه كان يسأل حذيفة (هل سماني لك رسول الله مع المنافقين) فقال له حذيفة . . كلا ولا أقولها لأحد بعدك .

قاطعتها:
ـ ولكن اولئك الصحابة كان شعورهم هذا نتيجة زيادة الايمان والخوف من الله أما أنا فلكثرة ذنوبي . . ذنوب حقيقية أقع فيها . . تريدين ان اسرد لك .
ـ ليس هذا هو المهم . . ولكن اعلمي أننا جميعا نقع في ذنوب (حقيقية) ونقصر تقصيرا شديدا في حق الله ومن ادعى غير ذلك فهو كاذب ولكن تعالي اسمعي حديث الرسولﷺ .
«أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال الله تعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي قال تعالى: اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: اي رب اغفر لي ذنبي قال تعالى: اذب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي» .
وفي الحديث الاخر: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم» .
فعند وقوع الذنب لا ينبغي (الاستسلام) للشيطان والوقوع ضحية مكره وشهوات نفسه . . ولكن (الاعتراف) بالذنب والرجوع الى الله وطلب المغفرة والعون . . وفي ديننا والحمد لله . . لسنا بحاجة لأن نذهب إلى (شيخ) او (راهب) او (ملا) لنعترف بذنوبنا ونحصل على صكوك المغفرة منه كما يفعل النصارى . . بل هذه قضية تكون بين المسلم وربه ولا يعلم بها أحد . . بل يجب على المسلم ألا يجاهر بمعصيته بل يسترها ويرجع إلى الله . . ويتوب . .
ـ ولكني أحس أنني أنافق بعض الأحيان . .
ـ إدفعي عنك هذه الشكوك واعلمي أننا جميعا نذنب ولكن لنا رب رحيم . . رب يجب ان نرفع ايدينا اليه . . راجين مغفرته معترفين بذنوبنا اليه . . راجين مغفرته معترفين بذنوبنا . . آملين رحمته طالبين هدايته وعونه . . وهو رب يحبنا . . ويريدنا ان نرجع اليه . . فلماذا نيأس وابواب الرحمة مفتوحة ودعوة الله لنا بالتوجه اليه مستمرة .

أدخل الجنة... لا أدخل !!

قالت : بعض الاحيان اشعر وكأن لا شيء بيني وبين دخول الجنة الا الموت.. فما اموت الا وأدخل الجنة... وأحيانا اخرى اشعر انه لا فرصة لي ان ادخل الجنة بل انا هالكة في النار لا محالة... وأعرف أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤيد شعوري الاول... كما ان عندي احاديث عن رسول الله ﷺ تؤيد شعوري الثاني...

اجابتها صاحبتها... اظن ان المسألة اوضح مما تظنين.. فلو جمعنا الاحاديث التي تخبر عن دخول الجنة لعرفنا ان هناك فئات ثلاث من الناس.. فئة تدخل الجنة دون ان تعذب في النار... وفئة تعذب في النار ثم تدخل الجنة... وفئة لا تدخل الجنة مطلقا.. ولنبدأ بالفئة الاخيرة فهذه الفئة هي التي اشركت بالله او كفرت بشيء من اركان الايمان... كمن ينكر اليوم الاخر أو الجنة أو نبوة أي من الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن او ينكر وجوب شيء من أحكام الدين كالصلاة أو تحريم الربا... إلى آخر هذه المسائل التي تخرج المرء من الإسلام إلى الكفر... فهذا يدخل النار ويخلد فيها ولا يدخل الجنة مطلقا...

قاطعتها خالدة... ولكن هل من يفعل ذلك جاهلا... او بسبب عدم بلوغ العلم له يصير من هذه الفئة؟

ـ كلا... بالطبع.. فالله تعالي يقول ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.. فمن لم تقم عليه الحجة يمتحنه الله يوم القيامة امتحانا يناسب ذلك الموقف...

اما الفئة الثانية فهي الفئة المسلمة التي لم تحقق الايمان الواجب.. فالمسلم الذي يقصر في الواجبات ويقع في المحظورات فتغلب سيئاته حسناته يدخل النار ـ ان لم يغفر الله له ـ على قدر سيئاته ثم يخرج منها... وهنا قاعدة لاهل السنة والجماعة وهي : لا يخلد في النار من مات مؤمنا بأن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ولم يأت بما ينقض هذه الشهادة من المكفرات التي ذكر امثلة لها سابقا..

اما الفئة الثالثة فهي التي تدخل الجنة دون ان تعذب في النار وهي الفئة التي حققت الايمان الواجب فلم يفرط في الواجبات والفرائض... ولم تقع في المحظورات والمحرمات.. فهذه الفئة تدخل الجنة باذن الله دون ان تعذب في النار..

سألتها. . . اذن ما معنى حديث الرسول ﷺ. . . (لا يدخل الجنة نمام)
- (النمام). . هو الذي يمشي بالنميمة بين الناس فينقل كلام هذا الى ذاك وكلام ذاك الى غيره وهكذا مهنته التنقل بين الناس ونقل الكلام بينهم. . . وقد يكون من يفعل هذا الفعل السيىء من الذين يشهدون (ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله). . . ومن الذين يصلون. . . فمعنى الحديث ليس انه لا يدخل الجنة اطلاقا. . . وانما لن يدخلها مع الفئة الاولى التي تدخل الجنة. . . بل يتأخر دخوله وقد يعذب في النار نتيجة عمله المسيىء هذا إلى ان ينال العذاب الكافي ثم يدخل الجنة. . . وهذا الحديث يدل على عظم (النميمة) حتى لا يستهين بها الناس. . . وعلى النمط نفسه نستطيع شرح حديث الرسول ﷺ الاخر : (لا يدخل الجنة قتات) اي بخيل. . . وكذلك قوله ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). . . وكذلك الحديث : (من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام). . . وهكذا. . جميع هذه الاحاديث تبين عظم هذه الذنوب التي قد يستهين بها بعض الناس ويظنون انها من الصغائر فينبه لها النبي ﷺ ويحذر منها ويبين انه قد تكون سببا في ان المسلم لا يدخل الجنة مع اهل الايمان أهل الفئة الاولى وانما قد يدخل النار بسبب هذا الذنب. . .

قالت : اظن ان هناك احاديث اخرى كثيرة تحمل نفس المعنى. . . اليس كذلك؟

همت لترد على الهاتف. . . نعم هناك أحاديث كثيرة. . . رجعت بعد أن أجابت الهاتف. . . واكملت. . . مثل حديث (من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة). . . و(عرف الجنة). . . رائحتها. . .

قالت مازحة. . . بعض الناس يظن ان دخول الجنة مثل قطف اوراق زهرة. . ادخل الجنة. . . لا ادخل الجنة. . . على طريقة. . . (يحبني. . . ما يحبنيش)،، ويريدون أن يدخلوا الجنة بالحظ. . . وهذا والله من جهل الكثيرين بأمور الدين والشريعة. . فطريق الجنة واضحة جلية. . . ولكن اين الذي يسلكها. . .

حق تقاته

قال صاحبي : كنت اقرأ في كتاب ـ لا اذكر اسمه الآن ـ أنه لا يستطيع أحد ان يعرف قدر ذات الله ولا يعظمه حق تعظيمه . . وقرأت في التفسير أن الكفار هم الذين لا يقدرون الله حق قدره. . فكيف يمكن توضيح ذلك؟

ـ لا شك ان جميع المخلوقات لا تستطيع ان تعرف قدر ذات الله تبارك وتعالى . . ولكن هذا ليس مطلوبا منا كبشر . . . بل المطلوب منا هو معرفة قدر الله وتعظيمه فيما اخبرنا به عن نفسه وفيما كلفنا به من تعاليم . . . فعندما نزل قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ . . فهم بعض الناس أن المطلوب هو الصفة المطلقة للتقوى، وهذا غير ممكن . . . بل الممكن تقوى الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه قدر الإستطاعة بدليل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ . . . بافتراض الصدق مع الله طبعا . . . إستدرك قائلا : هذا بالنسبة لتقوى الله . . . فماذا عن قدر الله وعظمته؟

ـ عندما وصف الله الكفار بقوله ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ . . . أي انهم ما عظموا الله حق تعظيمه بزعمهم أن الله لم ينزل اي كتاب من عنده على رسله . . . فمن تعظيم الله أن يعتقد المسلم أن الله هو الذي انزل الكتاب الذي جاء به موسى والكتاب الذي جاء به عيسى والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ، فهذا هو التعظيم المطلوب في هذا الموضع وبقية الآية السابقة هي ﴿قل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ .

وجاء هذا الوصف في موضع آخر حيث يقول الله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ . أي أن الكفار ما عظموا الله التعظيم الذى يستحق ولا قدروا الله التقدير الذي يستحقه عندما عبدوا معه غيره وجعلوا له شركاء يعبدونهم مع الله او من دون الله . . مع أن المستحق للعبادة بحق هو الله وحده لا أحد سواه . . .

ولبيان عظمة الله تعالى يخبر الرب أن الارض في قبضته وكذلك السماوات يوم القيامة . . . كما جاء في الحديث : (قال رسول الله ﷺ) «يقبض الله تعالى الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك : أنا الملك أين ملوك الارض ؟» . . فالله

تبارك وتعالى يمجد نفسه : أنا الجبار. . . أنا المتكبر. . . أنا الملك. . أنا العزيز. . أنا الكريم. . ولا احد يشاركه ذلك أبدا فالذي يظن أن هناك من يستحق التقرب او العبادة أو الخوف منه سوى الله فإنه لم يعظم الله حق تعظيمه ولم يقدره حق قدره. . .

نظرت في ساعتي. . .

ـ لا تنظر في الساعة بل اكمل الموضوع ثم غادر ان شئت.

قلت : اظن ان الموضوع اكتمل. . ونستطيع ان نتطرق الى جوانب اخرى منه للتأكيد على ان تعظيم الله وتقديره حق قدره بالنسبة لنا نحن البشر إنما تكون بعبادة الله وحده لا شريك له. . .

كما جاء في حديث معاذ. . . عندما سأله الرسول ﷺ : «يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال : الله ورسوله أعلم. . قال رسول الله ﷺ حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا. . وحق العباد على الله ألا يعذب من عبده لا يشرك به شيئا. . » أو كما قال ﷺ : وبالطبع العبادة هنا بمعناها الشامل. . العبادة القلبية كالخوف والرجاء والتعظيم والتبجيل والتوكل والعبادة الفعلية كالصلاة والدعاء والذبح والنذر والاستعاذة والاستعاذة والحلف وغيرها.

فإذا حقق المسلم ذلك فقد اتقى الله حق تقاته كما هو مطلوب منه وعلى قدر تقصيره في هذا يكون تقصيره في تقوى الله.

الجزاء من جنس العمل

كان الوقت لا يزال عصرا إلا أن السحاب الأسود الذي حجب الشمس جعل الشعور بقدوم المساء دافعا لنا لبدء رحلة العودة بعد ان قضينا يومنا بعيدا عن ضوضاء المدينة. . .

سألني صاحبي :ـ ما معنى القاعدة التي تقول «إن الجزاء من جنس العمل». . فكثيرا ما أسمعها ولا أظنني أعرف معناها إلى الأن. .

هذه قاعدة عامة في تصنيف انواع الثواب والعقاب الذي يحصل عليه الانسان يوم القيامة. فمثلا يخبر الرسول ﷺ أن من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. . . فالذي يعين الناس ويحل مشكلاتهم الدنيوية يفرج الله عنه من كربات ومصائب يوم القيامة. . . وكذلك قوله ﷺ (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة). . وكذلك قوله ﷺ : «الظلم ظلمات يوم القيامة» أي أن ظلم الناس في الدنيا مع أنه شيء معنوي سينال الظالم جزاءه ظلمات. . أي هو ظلام حسي يوم القيامة سواء في النار أو في أي موقفٍ من مواقف الاخرة. . وهكذا. . . جميع الأعمال الصالحة والسيئة يكون جزاؤها من جنسها يوم القيامة مع الفارق العظيم سواء بالثواب أو العقاب. . .

ـ ولكن هناك أعمالا في الدنيا ليس له مثيل في الاخرة. . . مثل الكفر والنفاق؟ . .

ـ قبل أن أجيبك عن هذه النقطة ينبغي أن تعلم أن العقاب في الآخرة ليس على جميع الذنوب فقد يغفر الله الذنب ويتجاوز عن الخطيئة فلا يعاقب عليها. . . أما الثواب فإنه يكون على جميع الأعمال الصالحة وبأجر مضاعف أحيانا إلى أضعاف كثيرة. . . وأما عن النقطة التي أثرتها فالكفر درجات والنفاق درجات. . أما الكفر الاعتقادي والنفاق الاعتقادي فهذا أخبر الله أنه لا ذنب بعدهما والنفاق أشد من الكفر ولذلك كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار. . . وهكذا النار درجات من يخلد فيها يعذب على حسب كفره. . . ولكن بالإضافة إلى عذاب النار هناك أنواع أخرى من العذاب في النار. . . فالكافر الذي يأكل أموال اليتامى أخبرا الله عن عذابه بالإضافة إلى عذاب النار. . . ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ وأخبر الرسول عن الرجل ذي الوجهين حيث قال ﷺ . . . «ذو الوجهين ليس عند الله وجيها». . . وبالمقابل : من يبني بيتا

لله يبني الله له بيتا في الجنة . . . ومن يسقي عبدالله يسقيه الله يوم الظمأ يوم القيامة . . . ومن يطعم عبدالله يطعمه الله يوم القيامة . . .

وهكذا لو قرأت في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ لعرفت ان جميع انواع العذاب في الآخرة تقابل أنواع المعاصي والذنوب في الدنيا ـ إن لم يغفر الله الذنب ـ وكذلك جميع انواع الثواب في الآخرة تقابل أنواع الطاعات التي عملها العبد في الدنيا . . .

توقفنا عند بقالة صغيرة . . وبعد ان تابعنا المسير سألني صاحبي : ـ هناك مثل في القرآن لم أفهمه . . . في سورة النور يشبه الله أعمال الكفار بـ (ظلمات بعضها فوق بعض) . . . هل تشرح لي هذا المثل؟ . . .

ـ هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ .

فليس هناك ذنب أعظم من الكفر وليست هناك ظلمة أشد من ظلمة البحر الهائج في الليل المغيم حيث تلتقي ظلمة البحر بظلمة الموج بظلمة الليل بظلمة السحاب . . . بحيث إذا أخرج الإنسان يده ووضعها أمامه لم يستطع رؤيتها . . . وهي بجانب معناها الحي تبعث الخوف والرهبة وعدم التمييز في النفوس . . فهذا مثل الكافر الذي لا يعلم شرع الله ولا يريد اتباع نهج الرسول ﷺ والله اعلم .

اعمال القلب والجوارح

في ندوة مصغرة حول المشكلات التي يواجهها الشباب عند عزمهم الاقبال على شرع الله وتعلم مسائل العقيدة والعبادة، سأله شاب لم يسود شعر وجهه بعد : لقد حاولت ان اقرأ في العقيدة... والواقع أنني كدت أن أضيع في مسألة واحدة... وهي مسألة (الايمان).. هل هو التصديق بالقلب فقط، ام التصديق والعمل، ام أنه التلفظ بالشهادتين.. إلى آخر مجموعة لا تحصى من الأقوال... فلماذا كل هذا الاختلاف في قضية أساسية مثل قضية (الإيمان)...

أبدى اهتماما بالسائل والسؤال وبعد أن توجه انتباه الحضور إليه قال : هذا مثال جيد لما أردت أن أبينه لكم.. ففي قضية الايمان من الفرق من قال ان الايمان هو مجرد معرفة القلب... كالجهمية (اتباع جهم بن صفوان)... وانتهوا إلى القول بأن فرعون وابليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم، وجحدوا بالسنتهم، فقد كانوا مؤمنين... ومن الفرق من قال أن الإيمان قول اللسان فقط دون تصديق القلب مع قولهم إن مثل هذا يعذب في الأخرة ويخلد في النار، ومثال هؤلاء (الكرامية) ومنهم من قال : أن الايمان في القلب والقول الظاهر شرط في ثبوت احكام الدنيا مثل اتباع ابي منصور الماتريدي (الماتريدية)... وعلى العموم اكثر الفرق تقول بالاتي:

- الخوارج والمعتزلة قالوا ان الطاعات كلها من الايمان فاذا ذهب بعضها، ذهب بعض الايمان فذهب سائره فحكموا بان صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الايمان...

- المرجئة والجهمية قالوا الايمان شيء واحد لا يتجزأ إما مجرد تصديق القلب او تصديق القلب واللسان.

- أهل السنة والجماعة... قالوا أن الايمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح... وأعمال القلب مثل : حب الله، وخشية الله، والتوكل على الله، ونحو ذلك تدخل في الايمان كما تدخل العبادات الظاهرة كالصلاة والحج وغيرهما فيه.

والواقع أن اختلاف الفرق في قضية الإيمان يرجع إلى المسلك والطريق الذي تبنته كل جماعة لفهم عقيدة المسلمين فكل الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة... اتخذوا مناهج فلسفية كلامية للتوصل إلى حقيقة العقيدة

الإسلامية... أما أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث فإنهم اعتمدوا على الكتاب والسنة مقرونة باقوال وشرح الصحابة والتابعين لها فنجوا وسلموا من الزيغ في قضايا العقيدة.... مثلا... قال الخوارج والمعتزلة إن (الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض اجزائها) كالرقم عشرة إذا زال بعضه لم يصبح (عشرة) واستمروا على هذه الطريقة الفلسفية، حتى وصلوا إلى أنه لا يمكن قيام الطاعة والمعصية في الشخص الواحد... وبالطبع قام علماء الاسلام أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره بالرد على هؤلاء وغيرهم ردا فلسفيا وردا من الكتاب والسنة وأقاموا الحجة الواضحة عليهم...

قال أحد الجلوس...

- كيف رد عليهم هذه الشبهة الفلسفية؟

- قال شيخ الاسلام... (إن الحقيقة الجامعة لأمور إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها... فمثلا إذا زال واحد من العشرة لم يلزم زوال التسعة) بل تبقى التسعة وهي رقم كما أن العشرة كانت رقما...

وقد بين الرسول ﷺ (أن الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان) فإذا زال جزء من الايمان كاماطة الاذى او الصلاة النافلة او غيرها فهذا لا يلزم زوال باقي الشعب... ولا زوال الاسم حتى... مثل البحر إذا زال بعض مائه يبقى اسمه بحرا والشجرة إذا سقطت بعض أغصانها يبقى أسمها شجرة... وهكذا...

وبالطبع هناك شعب رئيسية إذا زالت زال المسمى... كأن تكسر الشجرة وتقطع أخشابا لتحرق فانها لا تسمى شجرة وإنما تسمى حطبا... وكذلك إذا زالت أركان الايمان أو ركن واحد من أركانه (كالإيمان بالله والملائكة) فإن الإيمان ينتقض ولا يسمى المرء مسلما بل يخرج من دائرة الاسلام إلى الكفر...

وهنا أدرك المتحدث أنه أطال في شرح هذه القضية فاستدرك قائلا :

- ونحن لا نريد هنا ان نخوض في نقاش المناهج الفلسفية الكلامية، ولكن نقول : ان منهج السلف في العقيدة هو اتباع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين بلا فلسفة كلامية... والايمان عندهم عمل بالقلب وقول باللسان وامتثال بالجوارح والناس يتفاضلون بالايمان فإيمان الرسول ﷺ افضل من إيمان الامة مجتمعة، وبعده إيمان ابي بكر، وبعده إيمان عمر وعثمان وعلي ثم الصحابة والتابعين وزيادة الإيمان تكون بالعلم الصحيح والقلب الصحيح والعمل الصحيح، ونقصه بالجهل والمعاصي الظاهرة والباطنة. والله اعلم.

يوم بلا معصية

القى بثقله على السرير مستقبلا هواء المكيف البارد. . وشبك اصابعه خلف رأسه وبدا وكأنه يحملق في السقف. . . قال لزوجته بعد ان اطلق آهة تعب كبيرة ! . . . أتدرين. . . اني اشعر بالسعادة اليوم. . فقد عملت كل ما اردت عمله. . وكل أمر تناولته انتجت منه شيئا. . وكل هذا مع انشغالي في طاعات الله طوال اليوم. . . فمنذ الصباح الباكر. . . صليت الفجر جماعة. .
وافطرت مع الاطفال. . وقرأت الصحف. . واشتريت الاغراض من السوق وفي الطريق مررت على عمي في دكانه، ثم صليت الجمعة، وقرأت سورة الكهف. . وجلست مع الاطفال بعد الغذاء، ثم صليت العصر جماعة. . . وحفظت عشر ايات جديدة. . . وقرأت فصلا من كتاب «الفتاوي». . وصليت المغرب جماعة. . وذهبنا نتمشى مع الاطفال. . . واتصلت بوالدتي. . . وصليت العشاء جماعة. . . وما هي الا ساعة ونخلد الى النوم. . ما رأيك.

كانت زوجته لا تزال في موضعها امام المرآة تصلح حالها. . سألته وهي تنظر اليه في المرآة :

ـ اظنك تشعر بالراحة لأنه يوم جمعة ليس يوم عمل. . . وليس لمجرد انك «لم تقع في معصية». . . ولو كانت كل الايام «جمعة» لما شعرت بما تجد.

رفع رأسه مستندا على راحتيه واصابعه المتشابكة.

ـ هذا الشعور لا يأتيني ايام «الاجازة» وذلك لانني اقع في معاص خلالها. . اظن انه «الشعور بالطاعة» هو الذي يريحني. . انه شعور بانني قمت بما يجب علي عمله تجاه الله.

استدارت على مقعدها الدوار. . . ولكن إياك أن تشعر بالأمان من العذاب والثقة بالرحمة. . وعلى أية حال هذا الشعور الذي نتكلم عنه لا اجده انا وخاصة وانا اقضي يومي كله مع الاطفال. . اصرخ. . واضرب. . وأسب احيانا. . وفلانة تتصل وتتحدث عن علانة. . وهكذا.

نصب أحد ذراعيه ووضع رأسه عليها مواجها لها : لقد قرأت كلاماً عجيباً اليوم. . بعض المسلمين يعتقدون أن الله قد يعذب إنسانا وان كان من اكثر أهل الأرض تقوى. . وقد يغفر لانسان وهو شر أهل الأرض. . . وهكذا دون مقدمات ولا مبررات.

ـ لعلهم يعنون أن الله قادر على ذلك . .
ـ كلا بل يريدون ان الله يفعل ذلك وبالطبع رد عليهم شيخ الاسلام (ابن تيمية) مبينا ان الله يغفر للعبد ان هو تاب من المعصية وان من لم يتب ومات على العقيدة الصحيحة قد يعذبه الله وقد يغفر الله . . ولكنه مطالب ومحاسب على معاصيه يوم القيامة . . وذكر شيخ الاسلام ان من المسلمين من يعتقد ان الله قد يعذب من لم يقع في معصية قط كالاطفال وغير المكلفين كالمجانين وغيرهم . . وهذا خلاف عقيدة اهل السنة والجامعة . . . الذين يعتقدون ان الله لا يعذب أحدا إلا بعد ان تبلغه الرسالة ويفقهها . . كما قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ . . ومن مات دون ان تبلغه الرسالة أو مات في فترة انقطاع الرسالات فان الله (يمتحنه) يوم القيامة بتكاليف وأوامر يظهر فيها إخلاصه وايمانه او كفره . . .

وقد ذكر الله في آياته ان جميع من يدخل النار قد بلغته الرسالة كما قال في سورة تبارك ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ .

سألته مستفسرة : هل نستطيع ان نقول أن الله لا يعذب من كان لا يدري لانه لم يأته (النذير) او لم يبلغه امر الرسالة واوامر الله ونواهيه؟

ـ بالطبع . . هذا معتقد اهل السنة والجامعة . . فمن الظلم ان يعذب من كان طائعا في دنياه او ان ينعم من كان عاصيا في دنياه وتعالى الله عن الظلم علوا كبيرا .

قالت : وماذا عن الاوامر التي يعلمها الانسان ولكن يعجز عن تطبيقها او يتساهل فيها؟

ـ هل تتكلمين عن نفسك؟! عندما أمر الله الناس بتقواه قال : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ . . فالتقوى على قدر الاستطاعة ما لم يتعد المسلم الحد الادنى من الاوامر . . اي الخط الاحمر الذي يفصل الاسلام عن الكفر . . وهي قضايا الشرك والتوحيد وقضية الصلاة من العبادات . . هل اطمأننت الان . . .

ـ بل كنت مطمئنة من قبل . . هيا اكمل يومك بلا معصية .

النفاق

دخل علينا الديوانية وتوجه رأسا إلى أحد الوزراء صافحه واستأذن في الجلوس بجانبه... لم يمكث طويلا حتى غادر المجلس.

همس صاحبي... أتعرف هذا؟

ـ كلا.. ولكنك تعلم أنني لست من رواد هذه الديوانية.

ـ هذا فلان... وخير ما تصفه به أنه منافق...

ـ أتدري أنك بهذا الوصف اتهمته بأكبر جريمة على وجه الارض.

سأل متعجبا.

ـ النفاق؟

ـ نعم النفاق.. اسوأ جريمة يمكن ان يقع فيها اي انسان هي النفاق...

ـ إذن لماذا لم يحكم على المنافق بالقتل كجزاء الكفر مثلا؟

ـ إن النفاق اسوأ من الكفر.. وذلك لقوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾.. فهم أشد عذابا يوم القيامة من الكافرين أما في الدنيا فليس لهم حد معين لأنه لم يظهر عداؤهم وأذاهم للناس.. ويجب ايضا ان نفرق بين النفاق العملي والنفاق الاعتقادي.

ـ هيا فصل هذه الكلمات.

ـ إن النفاق العملي هو أن يصدر عن الإنسان شيء من أعمال المنافقين... في تعامله وتصرفاته... كأن يخلف المواعيد ويكذب في الحديث أو يغدر بالعهود... وهذا النوع من النفاق ليس أسوأ من الكفر.. لأنه معصية.. وجميع المعاصي ـ دون الشرك ـ قد يغفرها الله تبارك وتعالى ـ أما النفاق الاعتقادي.. فهو إظهار الايمان وإبطان الكفر.. كما قال تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ فهذا النفاق هو الذي يؤدي بصاحبه إلى اسوأ عاقبة في الدرك ـ أي المنزلة السفلى ـ في النار.

وماذا تسمي ذلك الانسان ـ الزائف ـ الذي يبتسم لك وتعلم انها ابتسامة زائفة ويضحك معك وتعلم انه يكرهك و(يحش) فيك.. ويدعوك إلى غداء أو عشاء ويتمنى أنك ترفض الدعوة؟!..

ـ هذا صديق الحاجة وصاحب المصلحة... ولكن لا نسميه منافقا... اللهم إلا إذا أردنا تعبيرا مجازيا ولكن لا ينبغي أن نتهم بالنفاق هذا النوع من الناس

وضرر هؤلاء محدود لأن الإنسان الواعي يستطيع تمييزهم وبالتالي تجنب شرهم . .
قاطعني . .
ـ إن بعضهم احترف هذه المهنة، حتى انك لا تكتشفه إلا في الأزمات وبعد أن تكون قد صادقته لفترة طويلة.
ـ على أية حال . . . هؤلاء الناس في كل زمان ومكان . . . ولكن المنافقين فئة تريد هدم الأسلام وتخطط لذلك وتسعى له . . ومع خطورتهم لم يجعل الله لأحد القدرة على معرفتهم إلا بوحي من عنده . . . فالرسول ﷺ لم يكن يعرفهم حتى اوحى إليه الله باسمائهم فكان لا يصلي عليهم بعد ذلك امتثالا لامر الله تعالى : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ . . . فمعرفة النفاق قضية غيبية اختص بها الله تبارك وتعالى لحكمة أرادها . . . ولا يمكننا أن نحكم بالنفاق على اشخاص لمجرد بعض التصرفات صدرت منهم . . نعم لنا الحق كل الحق ان نتجنب صحبتهم أو التعامل معهم ولكن أن نقول عنهم منافقين فهذا فيه شيء من التعدي لحدودنا.
ـ اليس هناك سورة في القرآن كاملة بشأن المنافقين؟
ـ نعم واسمها سورة (المنافقون) . . . كلها وصف لهذه الفئة من الناس . . تبدأ بقوله تعالى : ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ . . فهم شهدوا بألسنتهم ألا إله ألا الله وأن محمدا رسول الله . . ولكن الله رفض هذه الكلمات منهم لأنها كانت من أفواههم ولم تنطلق من قلوبهم . . لأنهم لم يؤمنوا بمعنى الشهادتين ولم يعملوا بمقتضاها.
ثم ذكر الله تعالى في تلك السورة بعض صفاتهم . . . وقد كان الصحابة يعتبرون بعض الذين يعيشون معهم منافقين ولكنهم لا يخصصون فيقولون فلان منافق وحتى إن قالوها في بعض المواقف فإنهم لم يستطيعوا عقوبتهم كما حصل عندما كان الرسول ﷺ يوزع غنائم إحدى المعارك فاعطى اناسا، ومنع آخرين فقال أحد الحضور : «والله إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله» فقال عمر رضي الله عنه «دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله» فمنعه الرسول ﷺ وكان الصحابة يقولون : «لقد رأيتنا نحضر الجماعة مع رسول الله ﷺ ولا يتخلف عنا إلا منافق معلوم النفاق» ولكنهم لا يملكون أن يفعلوا لهم شيئا.
ـ ولكن خطر هؤلاء عظيم على الأمة.
ـ ولذلك ينبغي التنبه لهم والحذر منهم والتأكد أنهم لن يصلوا إلى مراكز

حساسة في أمن الدولة أو اقتصادها أو أي مركز آخر. . أما إقامة حدود عليهم وتقتيلهم فانه يسبب فتنة عظيمة لا يعلم مداها إلا الله.

كراهــة النــذر

ـ قال بحدة . . ما هذا الذي تقول . . والله ما سمعت أحداً قبلك يقول قولك . . كيف يكون النذر مكروها والله تعالى يقول ﴿يوفون بالنذر﴾ . .

وهكذا هو دائما في نقاشه معي . . حاد . . رفيع الصوت . . كثير الانفعال . .

ـ قلت بهدوء . . اسمع يا محمد . . هل تريد ان نصل إلى الحق في هذه القضية ؟ . .

سكت ولم يجب . . فتابعت . .

ـ أولا . . ما هو النذر؟ أليس هو ان يفرض الانسان على نفسه عمل شيء لله ان حصل له مطلوب أو نال على مرغوب ؟

ـ نعم . .

ـ بهذا المنطق يتعامل الانسان مع الله بمنطق البخيل فإذا هو لم يحصل على المطلوب لم يفعل الطاعة أو الخير . . ولذلك عندما سئل الرسولﷺ عن النذر قال: (انه لايأت بخير) . . وفي موضع اخر اجاب بقولهﷺ : (انما يستخرج من مال البخيل) . . بمعنى ان هذا الانسان امتنع ان يدفع ماله لوجه الله الا بحصوله على شيء فحصل الشيء ودفع المال بعد ذلك . .

ـ اريد شرحا اكثر . . قالها بهدوء هذه المرة . .

ـ ينبغي على المسلم ان يتعامل مع العبادات على انه هو الذي يحتاج إليها لا أن الله يحتاج إلى شيء منه سواء كان هذا الشيء عبادة أو مالا أو عمل خير . . وفي النذر يلزم الإنسان نفسه بأشياء ليست مفروضة عليه فالأولى بالانسان أن يقوم بالواجبات والسنن المشروعة لا ان يفرض على نفسه شيئا جديدا وبالنسبة لحصول الأشياء والوصول إلى الغايات يكفيه فيها (الدعاء) واتخاذ الاسباب المادية . . أما النذر فانه لا يقدم ولا يؤخر . . أي أن الأشياء لا تحصل بسبب النذر أو عدمه . .

ثم يقع كثير من الناس في مخالفات ـ قد تصل إلى الشرك بالله ـ في مسألة النذر . . كمن ينذر لضريح ولي أو امام .

وهناك من ينذر فيما لا يملك كمن ينذر أن يدفع من أموال زوجته . . وهناك من ينذر ان يعصي الله . . بمعنى ان يقوم باعمال غير شرعية أن هو حصل على شيء

.. وهذه كلها نذور باطلة لقوله: (من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه) .. وكذلك قوله ﷺ..

(لا نذر فيما لا يملك المرء ولا نذر في معصية) .. فهذه النذور باطلة .. قاطعني ..

- ولكنك قلت ان الرسول ﷺ قال: «من نذر ان يطيع الله فليطعه» أليس فس هذا ترغيب بالنذر؟

اجبته: كلا .. ليس فيه ترغيب بالنذر ولكن من ألزم نفسه بطاعة فيجب عليه أداؤها لله وهي دين في عنقه فالنذر دين لله على الانسان .. فلماذا يراكم الانسان على نفسه الديون؟! ثم يقول الله في سورة النور .. ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون﴾ ومعنى هذه الآية أنه لا ينبغي للانسان أن يحلف ويقسم وينذر أن يطيع الله .. وإنما يطيعه ويتبع أوامره كما كان يفعل الرسول ﷺ والصحابة دون كلام وحلف .. وذلك لأن الله اخبر بالنوايا والأعمال وأعلم بها .. وقال العلماء هذه الآية مع الاحاديث التي ذكرت لك آنفا دليل على ان النذر مكروه .. ولكن من نذر نذرا صحيحا شرعيا فيجب عليه اداؤه وإلا وقع في الاثم ..

قال: كلامك يبدو منطقيا .. ولكن لا زلت اجد في نفسي شيئا وذلك لأننا تعودنا على ان ننذر ان نصوم أو نصلي صلاة زائدة أو نتصدق ببعض النقود إذا حصلنا على اشياء كنا نأمل الحصول عليها .. ولكن لن انذر بعد اليوم فكما قلت .. يكفينا من العبادات والاوامر الشرعية ما فرضه الله علينا فلماذا نفرض على انفسنا عبادات جديدة زائدة؟!

اللعنة

قالت لصاحبتها. . . اشعر احيانا ان الشرع لم ينصفنا نحن النساء. . وخاصة عندما اقرأ عن حق الرجل في الزواج باربع وحقه في أن يخير امرأته بان تعيش معه دون أي حق من حقوق الزوجية وبين أن يطلقها، وكذلك عندما يقال أننا «قاصرات عقل ودين». . وكذلك عندما يحرم علينا السفر إلا مع محرم وكذلك وجوب تلبية رغبة الرجل متى شاء وكذلك اننا : «اكثر اهل النار» !!

قاطعتها صاحبتها : . . . هوني عليك. . . كيف استطعت سرد كل هذه القضايا دون ورقة ولا كتابة. . . ام تراك حفظتها عن ظهر قلب. . .

ـ بل. . . من كثرة ما أرددها. . وأناقشها مع زوجي واخواني الرجال. . . ولكني اعتقد واؤمن ان الله لم يظلمنا نحن النساء بل انصفنا ورحمنا بشريعته وقوانينه. . ولكن يدخل نفسي شيء، كلما تذكرت هذه القضايا. . .

ـ هل تريدين أن نناقش إحداها. . . مثلا : «أن النساء أكثر أهل النار»؟

ـ لا بأس.

ـ تعرفين تمام الحديث : «اطلعت على النار فوجدت أكثر أهلها النساء» قلن. . وفيم يا رسول الله؟ قال : «تكفرن العشير وتكثرن اللعن. لو أحسن أحدهم إلى احداكن الدهر ثم رأت منه شيئا قالت والله ما رأيت منه خيرا قط». . . واللعن لا يجوز قطعا. . . والنساء لا يتوقفن عن قول. . . . «الله يلعنك». . . جدا وهزلا. .

ـ ولكن الرسول ﷺ. . . لعن اشخاصا كثيرين. . . «لعن آكل الربا» ولعن المصورين، ولعن من غير حدود الأرض ليغتصب من ارض غيره، ولعن السارق، ولعن اليهود، ولعن المتشبهين من الرجال والنساء، والمتشبهات من النساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، ولعن الواصلة، (التي تلبس الباروكة) والمستوصلة، والنامصة، (التي تنتف شعر الحاجب) والمتنمصة. . هذا كله في الاحاديث الصحيحة. . . فكيف التوفيق بين هذا وهذا؟

ـ كل ما قلته صحيح. . ولكن نهى الاسلام عن لعن شخص على وجه التخصيص. . . مثل أن تقولي (يلعنك الله). . «لعن الله فلانا» فهذا حرام. . . والرسول ﷺ قال : «لعن المسلم كقتله» ليبين عظم هذا الفعل. . ولكن يلعن الانسان اصناف غير مخصصة. . مثل (لعن الله الظالمين). . فهذه لعنة غير محددة على شخص بذاته. . . ولكن عامة لوصف (الظالمين). . .

ـ سمعت أن اللعنة ترجع على صاحبها أليس كذلك؟..
ـ هناك حديث للرسول ﷺ يقول فيه : (إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض. فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي (قيلت له) فإن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلى قائلها)... وبالطبع اللعنة شيء عظيم لأن معناها (الدعاء بالإخراج عن رحمة الله) وهذا الأمر لا يملكه أحد من البشر... بأن يقول ان الله يطرد فلان من رحمته.
ـ وماذا عن لعن الحيوانات والسيارة والخياط والسائق والصبي؟
ـ الحديث السابق عام في النهي عن لعن أي شيء حيوان أو جماد أو أي شيء بل المسلم عموما لا يستخدم كلمة (لعن)، وجاء في الحديث : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»... وذات مرة لعنت احدى النساء ناقة كانت تركبها. فامر الرسول ﷺ بترك هذه الناقة وقال : «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»..
ـ اقتنعت بحرمة اللعنة... هل تناقش موضوعا اخر... مثلا : لماذا نحن «قاصرات عقل ودين»...
ـ لقد شرح الرسول ﷺ.. مراده بهذه الكلمات... ليس معناها أن عقل الرجل أفضل من عقل المرأة ولكن (شهادة الرجل بشهادة امرأتين)... وكذلك نقصان الدين بمعنى «أن احدانا لا تصلي فترات من حياتها دون أن يكون لها أي دور في ذلك ولكن لمجرد أنها أمرأة»... ولكن اسمعي يا اختي كيف كرمنا الله في كتابه... فعندما أراد أن يضرب مثلا للمؤمنين رجالا ونساء ذكر امرأتين : ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾... ثم (ومريم ابنة عمران)... فمثال المؤمنين رجال ونساء في الايمان امرأتان... وهذا دائم على مر العصور حتى قيام الساعة...
هل رضيت؟

الطاعة العمياء

مرة اخرى يتنافس المسلمون في قتل اكبر عدد ممكن من أبناء فلسطين في قتل العزل والنساء والاطفال والشيوخ.. في قتل المرضى الذين ظنوا انهم في امان ما داموا يعالجون في المستشفيات.. إن المرء قد يجد مبررا عندما يقتحم اليهود هذه المخيمات.. وقد يجد مبررا عندما يقتل النصارى العزل من المسلمين.. أما ان يرفع مسلم رشاشا في وجه امرأة مسلمة وان يقتحم مسلم مستشفى ليقتل الجرحى.. وهم المسلمون او ان يهدم مسلم البيوت على أهلها المسلمين.. فهذا والله اعظم الذنوب وأكبر الكبائر بعد الشرك وأفسد الفساد في الارض... ويجتهد علماء السياسة وخبراء النظم وجهابذة الفلسفة في تحليل ما يجري في لبنان وفي المخيمات الفلسطينية.. ولكن تبقى حقيقة واحدة لا تتغير ولا تتبدل.. ان هؤلاء الذين يقتلون العزل من المسلمين يقاتلون ولاء لقادتهم يقاتلون ولاء لأحزابهم.. يقاتلون ولاء لاعداء الاسلام.. وكذبوا والله يزعمهم الولاء للاسلام.. ان ولاءهم لرموز داخل وخارج لبنان.. ان ولاءهم لمخططات وضعتها اصابه تريد ضرب الاسلام.. علموا ذلك ام لم يعلموه..

ان هؤلاء الجنود اعطوا الولاء كله لقيادتهم.. فهم يضربون بأمر القيادات.. ويتوقفون بأمر القيادات.. والضحية شعب سلب الارض والسلاح والارادة.. ووضع في زاوية لا يصل فيها ولا حتى الى «حجارة» يقذف بها المعتدين..

إن الاسلام يعلمنا أن نطيع القادة فيما يرضي الله أما في معصية الله وأي معصية اكبر من قتل النفس المسلمة - فلا سمع ولا طاعة.. لعل هؤلاء الجنود يجهلون أنهم يسألون يوم القيامة عن الأنفس التي قتلوها والبيوت التي هدموها والاطفال الذين روعوهم.. ولكن جهلهم بذلك أن يعفيهم من المحاسبة والسؤال بين يدي الرب تبارك وتعالى..

إن المرء ليحزن لما وصل اليه حال المسلمين اليوم.. فالغالبية العظمى منهم اتخذ رموزا قيادات أو أحزابا - وأعطاها ولاءه ورأى الحق من خلالها.. فهو يرى اتجاها واحد ولونا واحدا وطريقا واحدة وهذا هو الحق عنده... وهذا لعمري فساد ما بعده فساد فهؤلاء الذين اعتقدوا في قيادتهم (ومشايخهم وائمتهم) ياتمرون بامرهم وينتهون بنهيهم سرعان ما يبلغون درجة الولاء العظمى التي لا تسأل القائد أو الرمز

(لماذا افعل هذا)؟ (ولاي مصلحة افعل ذلك)... ان تربية النشيء المسلم على غير الولاء لله وللرسول.. وعلى الطاعة المطلقة لغير الله ورسوله.. وعلى السمع دون نقاش... كل هذا يؤدي بالشباب الى ان يتحولوا الى ادوات في ايدي القادة والرموز.. وبالتالي يقدمون على عمل كل شيء دون تفكير ودون تعقل ودون تساؤل عن مدى ملائمة ما يفعلونه لشرع الله وتطابقه مع مرضاة الله تعالى.. فغالب المتلزمين اليوم بين خادع ومخدوع.. خادع يستغل الشباب لتحقيق مصالحه ومآربه ولخدمة ال بيته... ومخدوع يظن ان الطاعة المطلقة ينبغي ان تكون للقيادات وان خدمة المشايخ والرموز قربة الى الله، وان السعادة كل السعادة في تنفيذ اوامر القادة دون تفكير او تردد او مساءلة واذا كانت الساحة اللبنانية هي المشتعلة اليوم فان الايام ستنقل هذه النار الى ساحة اخرى وساحة ثالثة وهكذا ما دام زعماؤنا وحكمانا وقادتنا لا يحكمون بشرع الله.. هذا ما اخبر عنه الرسول ﷺ حين قال.. (وما لم تحكم ائمتهم بشرع الله الا جعل الله بأسهم بينهم).. فلنتوقع المزيد من (ساحات لبنانية) وسنريح اسرائيل لفترة حيث ستبقى (متفرجة) على المسلمين وهم يقتتلون وينفون بعضهم البعض.. والى ان تزول هذه الغمة ليس لنا الا ان ندعو الله ان يعجل زوالها.

السحر والعمل

كان يوما شاقا عليها حيث كان عليها الاشراف على خدمة جميع أهلها وأهل زوجها الذين أتوا لزيارتها . . ما أن غادروا . . وخلا البيت حتى ألقت بثقلها على أحد (الفرش) في الصالة . . كانت أختها جالسة في الطرف الثاني بانتظار زوجها . . اطلقت آهة تعب كبيرة فقالت اختها مشفقة: أعانك الله . . ولكن كانت جلسة ممتازة . . الأكل والسوالف والضحك وكل شيء . . حتى الأطفال (استأنسوا) .

اركنت رأسها على كفها . . وقالت بارتياح . .

ـ الحمد لله . . .

وبعد سكتة خفيفة . . تابعت . . ما أخبار محمد ؟

ـ والله كما اخبرتك آخر مرة . . لا ادري أشعر وكأن أحدا سحره أو عمل له «عمل» . . والله أظن أن هذه علته . . فقد فكرت في كل شيء وجربت كل شيء ولم يفد . . أظن (عاملين له عمل) . . ولازم (افكه) .

قالت بشيء من الجدية . . اتق الله . . أي عمل؟! حرام عليك . . وبعدين هل تصدقين أن هناك شيئا اسمه سحر أو عمل؟!

عجبت نوال من تعليق أختها . . سألت مستنكرة . . ألا تؤمنين بالسحر . .

ـ كلا . . ربما بالقصص والخيال . . اما كحقيقة فلا . .

قالتها . . دون مبالاة . . اقتربت منها نوال قليلا . . يبدو ان علي ان اعطيك درسا في العقيدة ؟

ـ وما المناسبة . .

ـ قولك عن السحر أنه ليس حقيقة . .

ـ وما علاقة السحر بالعقيدة ؟

ـ اسمعي يا فاطمة . . إن السحر موجود وقد ذكره الله في القرآن في مواضيع كثيرة منها قوله في سورة البقرة عن بني اسرائيل . . ﴿يعلمون الناس السحر﴾ . . وكذلك عن سحرة موسى في سورة الاعراف ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ .

فيجب على المسلم أن يؤمن أن السحر موجود وله تأثير على الناس . . قالت نوال بامتعاض . . أليس في الاسلام «لكل داء دواء» . . فما دواء السحر ان كان موجودا؟ . .

ـ أولا . . آمنت أن السحر موجود لأن الله ذكره بالقرآن؟
ـ نعم آمنت . .
ـ ولقد أنزل الله تعالى القرآن يحفظنا به من بعض الأمور التي قد لا نراها ولا نحسها مثل العين والسحر والعمل . . ففي سورة الفلق . . ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ يقول تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ في بعض التفاسير هن الساحرات ينفخن في ما يعقدن من عقد . . فمن قرأها سلم من شر السحر . . وكذلك ذكر الله كما جاء في الحديث انه من قال عندما يصبح (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء) فإنه لا يضره شيء من هذه الاشياء . . وعموما ذكر الله والتعلق بكتاب الله والأذكار والادعية تحفظ الانسان من أشياء كثيرة . . ولكن ينبغي ان يصحب ذلك العمل الصحيح . . وكذلك الاعتقاد الصحيح وعدم (اختراع) ادعية واذكار من عند انفسنا .
ـ آمنا بالله . . ولكن قولي لي بالله كيف اصنع مع زوجي الذي اظن انه عمل له عمل ؟
ـ تريدين ان تعملي عملا ليفك السحر . .
ـ نعم . . عند احدى صديقاتي قريبة عجوز تعرف هذه الاشياء .
ـ اسمعي يا اختاه . . إن تعلم السحر من الأمور غير المشروعة في الاسلام . . ولا يجوز لمسلم أن يذهب إلى ساحر ليتخلص من السحر ولكن له ان يسترشد بشخص يعرف اسباب السحر ليزيل عنه سببه فقط وبالطرق المشروعة دون شعوذات وكلام لا يوافق الشريعة . . فاذا كانت هذه العجوز تقرأ القرآن واضحا او تدعو بادعية مفهومة فلا بأس أما أن تفعل أشياء غير معقولة وتتلفظ بادعية غير مفهومة . . فهذا مما لا يجوز .
ـ سؤال أخير . . هل السحر يؤدي الى تغير طبيعة الاشياء . . بمعنى عندما القى سحرة فرعون العصي والحبال . . هل فعلا انقلبت إلى أفاعي؟
ـ لقد وصف الله فعل سحرة فرعون بقوله : ﴿وسحروا اعين الناس﴾ . . أي أنهم لم يغيروا طبيعة العصي والحبال وإنما خيل للناس بفعل سحرهم أنها صارت حيات . . وأما عصي موسى فقد انقلبت طبيعتها ـ بقدرة الله ـ إلى أفعى حقيقية التهمت العصي والحبال . .
ولكن الأهم الآن هو ان تفكري في أمرك وأمر زوجك حتى تصلي الى حل للمشكلة .

العرافون .. دجالون

كانت تلك «المسبحة» من اعز الاشياء إلى نفسه فهي إلى جانب ثمنها الغالي وشكلها المميز كانت ترتبط بأحداث عزيزة عليه . . افتقدها ذات مرة . . بحث عنها في كل مكان . . وأغرى أبناءه بأنه من وجدها فله مكافأة «عشرة دنانير» . . ولكن كل ذلك لم يجد . .

مرت الايام . . بل والاشهر . . وفي خضم بعض مشكلاته العائلية قالت له زوجه . .

ـ لقد اخبروني بان مسبحتك «مسحورة» . .

ـ اي مسبحة ؟

ـ تلك المسبحة التي كنت تبحث عنها والتي قلبت البيت رأسا على عقب بحثا عنها .

جن جنونه . . لم يصدق ما سمع . . «ما هذه العقلية التي تخاطبني» . . «هل من الممكن ان تكون الشعوذة والسحر في بيته» .

نسي مشكلته واخذ يسأل عن تفاصيل «المسبحة» .

ـ ولماذا لن تخبريني ؟

ـ لم تكن لتصدقني . .

ـ وهل اخذت خاتمي الفضي ايضا إلى تلك الدجالة ؟

ـ وما اهمية الخاتم ؟

ـ هل اخذتيه لها ؟

ـ نعم . .

هز رأسه . . وضع جبهته بين يديه . . تعوذ من الشيطان . . واسترجع «انا لله وانا اليه راجعون» .

ـ ومنذ متى ونحن نتعامل مع الدجالين . . الا تعلمين انه لا يجوز شرعا ولا عقلا ولا منطقا ولا بأي شكل من الاشكال ـ عندي انا ـ ان يتعامل الإنسان مع هؤلاء الدجالين . . ألم تعرفي الحديث . . (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة اربعين يوما) . . بدت ضعيفة الحجة ولكن قوية الموقف .

ـ انا لم اصدقها . . بل ولم اذهب اليها ولكن بعثت اليها من يسألها . . .

ـ يا (بنت الحلال) . . مجرد السؤال سؤال مباشرة أو بالهاتف . . أو بواسطة شخص لا تجوز شرعا أما الذي يصدق العرافين ففيه حديث الرسولﷺ، «من أتى عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» . . فتصديق هؤلاء نوع من انواع الشرك . .

ـ لم تكن امامي حيلة حتى افهم سبب اعراضك عني؟

لم يستطع جاسم ان يتخلص من غضبه ورفضه لما كان يحدث ويقال . . اجاب . . لقد صدق فيكن حديث الرسول ﷺ (انهن ناقصات عقل ودين) . . لا تعرف احداكن كيف تتعامل مع زوجها في تفكيره وتصرفاته وعقله فيعرض عنها . . فتذهب إلى المنجمات أو العرافات أو الساحرات . . لتسمع ان («زوجك مسحور في مسبحته أو دشداشته أو غترته أو تحت مخدته) . . بل وبعضكن تعمل لزوجها شيئا من هذا الجنون بحجة أنها تريد أن (تفك عنه السحر) . . ولو أنها جلست لتفك القصور والعقد التي في ذهنها وعقلها لكان اجدى لها . .

اجابته بثبات :

ـ كيف تفسر وجود مسبحتك ومعها دبوسان تحت السجاد عند مدخل البيت ! !

هز رأسه غاضبا مستهزءا . .

ـ افسره بانني سأتزوج ثانية . . فالدبوس الاول انت والدبوس الثاني الزوجة الاخرى والمسبحة انا . . وهكذا يسعى الرجل منا يجمع (دبابيس) يوجع بها قلبه . .

اتق الله يا (بنت الحلال) . . واتركي عنك هذا الهراء . . وارجو ـ بصدق ـ ان تسترجعي مسبحتي فقيمتها خمسمائة دينار . . واظن ان تلك المشعوذة باعتها واخذت ثمنها ! !

الحجاب والصلاة

دخل المنزل تعلو وجهه صفرة الهم والانشغال . . حيا زوجته تحية باردة فردت دون ان تنتبه الى تغير حاله . . دخل غرفته كالمعتاد وذهبت هي تجهز سفرة الغداء .

بدأ تناول الطعام في جو طفي فيه سكون غير مرغوب خاصة وان الصغار كانوا في زيارة لجدتهم . . وسألته عن الذهاب للشاليه وشراء اغراض المدرسة وموعد سفره . . . ولم تكن اجاباته تتعدى الايجاب أو النفى أو كلمة واحدة توضيحية . . فابتدرته باهتمام :

ـ خير . . ما الأمر اراك مهموما على غير عادتك يوم الجمعة . . سكت قليلا . . . تنهد . . . لوى شفتيه كانه يريد ان يقول شيئا ولكنه متردد . . فقال :

ـ كلا . . لا شيء . . .

ـ بل هناك شيء . . هل ضايقك احد في طريقك للصلاة . . هل قابلت احدا في المسجد فتضايقت .

ـ رفع رأسه وكأنه اكتفى من الطعام . . وقال الصراحة . . لقد أهمني ما سمعت اليوم من خطيب الجمعة . . تكلم عن مسؤولية الرجل عن زوجته . . ثم بين الزوج ينبغي أن يحرص على أن تصلي زوجته أكثر من حرصه على أن يراها محجبة .

ظهرت عليها علامات الحرج ولكنها أخفتها بذكاء . . وقالت :

ـ لعل ما ضايقك هو وضعي أنا . . كوني غير محجبة . . وكوني لا أواظب على الصلاة دائما أليس كذلك . . على أية حال أنا أعتقد أن هذه الأشياء قناعات شخصية ينبغي أن يفعلها الانسان إذا اقتنع بها . . ثم ما الضرر من عدم الصلاة أو عدم الحجاب ما دامت المرأة منا قائمة بحق زوجها وابنائها وبيتها . .

كانت تتكلم بثقة . . . بينما كان الضيق يظهر اكثر واكثر على وجهه وتصرفاته .

ـ المشكلة . . أن الذي سمعته اليوم كلام لم أسمعه من قبل . . قال الخطيب إن الرجل إذا فشل في إقناع زوجته بالصلاة فإنه يجب عليه طلاقها وذكر عدة احاديث لا احفاظها الأن ولكن معناها (إن الفرق بين المسلم والكافر الصلاة . . ومن تركها فقد كفر) . . ولذلك لا يجوز لرجل مصلي أن يعيش مع امرأة لا تصلي . . هذه واحدة . . والمشكلة الثانية أنني أنا شخصياً أريد منك أن تتحجبي أكثر مما أريد أن تصلي . . فأنت وصلاتك مع ربك . . . أما أنا فأريد أن تظهري معي محجبة لابسة

الثياب الطويلة والحجاب على رأسك. . والخطيب ذكر أن الرجل يجب ان يحرص على صلاة زوجته لأن ترك الصلاة أعظم من ترك الحجاب. . . تضايقت من كثرة استشهاده بكلام الخطيب. . .

أي خطيب هذا الذي صليت خلفه. . . وعلى أية حال أرى أنك تبحث هذه القضية وتستوثق منها. . لأنه لا يعقل ان كل رجل عنده امرأة لا تصلي يطلقها. . فهذا هدم لاكثر من نصف البيوت. . وماذا عن المرأة التي تصلي وزوجها لا يصلي.

قاطعها قائلا :

ـ قال الخطيب أنه يجب عليها أن تطلب طلاقها منه إذا هو أصر على ترك الصلاة.

ـ أووه. . ما هذا الخطيب أسهل ما على لسانه الطلاق. . . والله لا أظنه يقول هذا الكلام أو يفعل هذا الشيء لو كان هو واقع فيها يتكلم عنه. . ولكن ما يهمنا الآن. . فأنا غير مقتنعة بمسألة الحجاب. . . أقصد أنه من الدين وأنه يستر المرأة وانه جيد. . إلا أنني أجد في نفسي ضعفا يمنعني من قبول لبس الحجاب. . هذه واحدة. . ثم إنني لا أعتقد أن علاقة الزوج بزوجته ينبغي أن تنبني على الحجاب واللاحجاب. . فها قد مر على زواجنا سبع سنوات، وبيننا ما بيننا من حب وتفاهم. . فلا أظن أن مسألة الحجاب ستغير من طبيعة علاقتنا.

والثالثة مسألة الصلاة وبصراحة أنا اشعر بالتقصير لعدم مواظبتي على الصلاة ولكن أشعر أن ظروف عملي وخروجي لقضاء الحوائج ثم ضرورة الحرص على وقت معين للصلاة والوضوء لها أشعر أن هذا كله يشكل عائقا بيني وبين الصلاة ولكن أعدك أن أحرص أن أوظب عليها وأستمر دون إنقطاع. . ليس لأجل كلام الخطيب هذا ولكن لأجل ارتباطي بربي وديني. . . فإني أشعر أني مقصرة تجاه ربي وسأحاول أن أصلح ما بيني وبين ربي. . ومع ذلك فعلاقتنا ستبقى غير متأثرة بهذا أو ذاك. .

انفرجت أساريره قليلا وقال : في الواقع كلامك هذا يريحني. . على الأقل في هذه اللحظة. . ولكن لا أظنني سأتوقف على إلحاحي عليك بالحجاب ومع ذلك فإني سأقتنع ـ لفترة ما ـ بأن اراك تصلين. . . هذا يكفي الان.

خامسا ـ قضايا عامة

الكعبة والحجر الأسود

كان أحد أهداف زيارتي الأخيرة لمكة المكرمة والمدينة المنورة هي اطلاع الابناء على المناسك المتعلقة بالحج والعمرة . . فبعد ان تناولنا طعام الافطار ـ وكان الوقت ضحى ـ اخذتهم الى الكعبة، وفي الطريق . . سألني معاذ :

● لماذا نسمي هذا «بيت الله»؟ أليس الله في السماء ؟

ـ نعم . . ان الله فوق السماوات السبع، ولكن نسمي الكعبة (بيت الله) لأنها عظيمة ومشرفة يجب على المسلم ان يحترمها ويوقرها . .

● كيف يحترمها ويوقرها؟

ـ لقد حرم الله على المسلم ان يؤذي فيها أحداً فلا يعتدي على احد، ولا ينتهك حرمة أحد . . بل لا يفكر حتى في أن يفعل شيئا فيها تعظيما لها وإجلالا لمكانها .

● هل الكعبة أكثر الاشياء شرفا وحرمة عند الله ؟

ـ الكعبة (بيت الله) . . أشرف الأماكن وأقدسها عندالله، وقد أمر الله نبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه اسماعيل ببنائها، وحدد الله لهما مكان البناء: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل﴾ ولكنها مع كل هذا الشرف، وهذه الحرمة، ليست أعظم من دم المسلم. . بمعنى أن حرمة دم المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة .

دخلنا المسجد من (باب الملك). . تلونا دعاء الدخول . . «اللهم افتح لي ابواب رحمتك» . .

سألت كبراهن: لماذا هذا اللون الاسود لستار الكعبة؟ . . هل وضعه سيدنا ابراهيم :

ـ هذا كساء الكعبة . . وهو يغطي الحجر الذي يتكون منه البناء ، وطبعا هذا ليس البناء الاصلي الذي بناه ابراهيم عليه السلام فقد تم اعادة بناء الكعبة اكثر من مرة، وهو الآن ليس مبنى على القواعد التي بناها ابراهيم عليه السلام في البداية، وانما ازيح قليلا في عمليات البناء المتتالية، ولذلك وضعوا هذا القوس الهلالي الرخامي، لان هذا ضمن القواعد الاولى التي بنى عليها ابراهيم الكعبة .

● وماذا يوجد داخل الكعبة؟!

ـ في عهد الرسول ﷺ . . كانت الكعبة مكانا للاصنام، بداخلها، وحولها،

وعندما فتح الله لرسولنا الكريم مكة، هدم الاصنام، وكسرها، وطهر الكعبة منها. . والآن لا اظن ان في داخلها شيئا .

● لماذا لا ندخلها؟

ـ غير مسموح لنا بالدخول . . انظروا هناك . . هذا هو الحجر الاسود . .

وقفنا ننتظر ان يقل الزحام لنصل الى الحجر . . وفعلا سهل الله لنا ذلك ، فقبلوا جميعا الحجر الاسود . .

● لماذا نقبل الحجر الاسود ؟

ـ لأن الرسولﷺ فعل ذلك، وأمرنا نفعل ذلك، ولولا أنه جاء في الاسلام أمر من الرسول بتقبيل الحجر ، أو لمسه باليد، لما فعلنا ذلك، فهو حجر لا يضر ولا ينفع . .

● من أين أتوا بالحجر الاسود ؟

ـ هو حجر من أحجار الجنة كان شديد البياض ثم اسود بسبب ذنوب الناس، وهو جزء من الكعبة أمر الله ان يوضع حيث هو . . وامر المسلمين بتقبيله اذا استطاعوا او مجرد الإشارة اليه اذا اشتد الزحام . . وفي كل ذلك يقول المسلم: «الله اكبر» . . حتى لا يظن أحد أن لهذا الحجر أي عظمة أو رفعة ، وانما جاءت مكانته ان الرسول ﷺ شرع لنا تقبيله .

● والذي لا يحب ان يقبله؟

ـ لا ينبغي لمسلم ألا يحب شيئا فعله الرسولﷺ . . بل يجب على المسلم اتباع الرسول والتزام اوامره، لانها من عند الله فيقبل المسلم الحجر الاسود، وهو راغب في ذلك، محب له متبع للرسولﷺ راجيا الأجر من الله تعالى، اما الذي يكره هذا العمل أو يرى أنه غير منطقي ولا يعمله احتجاجا عليه أو اعتراضا عليه، مع علمه انه جاء من عند الله فهذا قد لا يكون مسلما بهذه العقيدة وهذه الآراء والافكار . .

اتجهنا بعد ذلك الى المقام، وبئر زمزم . . .



الكعبة

كانت في حيرة من امرها كيف ستتحمل اطفالها طول اليوم ولمدة ثلاثة اشهر هذا الصيف . . وبعد تفكير واستشارة زوجها قررت أن تعلمهم قراءة القرآن من المصحف وحفظ بعض السور الجديدة وتقص عليهم بعض القصص الدينية . . الى جانب التحاقهم باحد النوادي . .

بدأت سلسلة قصصها بقصة الكعبة :

ـ الكعبة . . هي تلك الغرفة الكبيرة التي تغطىٰ بالقماش الأسود ويذهب المسلمون اليها ويطوفون حولها في الحج والعمرة . . ونحن اذا صلينا اتجهنا اليها . . بناها ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل بأمر من الله تعالى . . وهي أول بيت يبنى لعبادة الله . . وتسمى لذلك بيت الله لتعظيمها وتشريفها فقط . . والمساجد كلها تسمى بيوت الله ولكن اشهر بيت لله هو الكعبة وتسمى بيت الله الحرام .

ـ قاطعتها ابنتها قائلة : المدرسة قالت ان قريشا بنت البيت واختلفوا في وضع الحجر الاسود فاحتكموا الى الرسولﷺ حيث بسط ثوبه وجعل كل زعيم قبيلة يأخذ بطرف الثوب لحمل الحجر الاسود حتى ثبت في مكانه . . فكيف بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام ؟ .

ـ أول من بناها إبراهيم واسماعيل عليهما السلام بوحي من الله حيث أن إبراهيم خرج من الشام مع زوجته وابنه اسماعيل وكان رضيعا حتى إذا وصلا الى مكة ـ وكانت واديا صحراويا لا شيء فيها ـ ترك إبراهيم زوجته هاجر وابنه وانطلق . . فلحقته زوجته تقول لمن تتركنا ولا يجيبها فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال نعم . . فرجعت قائلة لن يضيعنا الله . . ثم نفذ الماء الذي معها فاخذت تسعى بين الصفا والمروة بحثا عن ماء أو أحد . . فلم تجد حتى سمعت صوتا وكان جبريل حيث ضرب الارض فظهر الماء من موضع زمزم الان . .

سألها ابنها ابراهيم :

ـ زمزم منذ عهد سيدنا ابراهيم إلى الآن لم ينفد ماؤه . . أجابت:

ـ نعم هو هو . . لم ينفد ماؤه ولن ينفد الى يوم القيامة ان شاء الله . . مع ان الملايين يشربون منه كل عام . . ولما كبر اسماعيل ساعد اباه ابراهيم في بناء البيت العتيق ومن العجائب والايات التي لا تزال الى اليوم اثار ابراهيم عليه السلام حيث

انه وهو يبني البيت كان واقفا على حجر أو رخام انحفر ليبقى اثر قدمه . . وهو الذي نسميه اليوم مقام ابراهيم . . اي المكان الذي كان قائما فيه .

سألها ابنها ابراهيم:

ـ وما قصة الحجر الاسود . . ولماذا لونه اسود؟

ـ اجابت: الحجر الاسود . . من أحجار الجنة أنزله الله الى الارض واسود بذنوب الناس . . وسيبقى الى يوم القيامة . . ونحن نعتقد ان الكعبة والحجر الاسود والاماكن المقدسة غيرها لا تنفع ولا تضر . . فهي احجار وجمادات . . ولكننا نعظمها كشعائر لله ونحترمها لانها من شعائر الاسلام ولكننا لا نعتقد ان احجار الكعبة أو الحجر الاسود أو احجار جبل عرفات تنفع أو تضر . . بل هي مجرد احجار والتشريف اتاها من عند الله فنحن نحترم اوامر الله ونعظم شعائره لا الاحجار والاماكن بحد ذاتها . .

سألتها ابنتها سناء:

ـ هل صحيح ان ماء زمزم يشفي من الامراض؟

ـ اخبر الرسولﷺ ان ماء زمزم لما شرب له فهو يفيد وهو يغني عن الطعام ولكن هذا لا يعني ان نترك ما وصل اليه العلم من ادوية فالرسولﷺ أيضا أمرنا بالتداوي والتطبب ولكن ماء زمزم له بعض الخاصيات التي لا توجد في المياه الاخرى . . مع أنه في تركيبه الكيماوي لا يختلف عن مياه أخرى جوفية شيئا كثيرا . .

وعلى أية حال نكمل قصة الكعبة . . فبعد أن بناها سيدنا إبراهيم بأمر الله وقضى على الاصنام التي كانت تعبد من دون الله حول الكعبة وعندها . . اصبحت الكعبة رمز توحيد الله والناس منذ ذلك الحين يعظمونها ويطوفون حولها . . وشريعة الاسلام اتت لتبين كم مرة يطوف المسلم حولها وماذا يقول وماذا يفعل . . فالطواف حولها يلزمه ان يكون المسلم على وضوء ولا يطوف على غير حالة الوضوء ويدعو بما شاء وهو يطوف سبع مرات .

ثم بعد فترة رأت قريش ان تعيد ترميم الكعبة وترفع جدرانها وتسقفها من الاعلى ولعل الكعبة تعرضت لعوامل هدم اكثر من مرة ولكن بقي مكانها هو الذي اوحى به الله الى سيدنا ابراهيم (عليه السلام) لم يتغير . . ثم تأتي قصة نبينا محمدﷺ مع قريش في بناء الكعبة التي تعرفونها جميعا .

سأل إبراهيم: هل صحيح ان للملائكة كعبة مثل هذه الكعبة ؟ .

اجابت: في تفسير قوله تعالى في سورة الطور «والبيت المعمور» هو بيت في السماء السابعة يمر عليه كل يوم سبعون ألف ملك ومن دخله لا يرجع اليه ثانية .

وقبل ان اختم حديثي عن الكعبة يجب ان نعلم انه مهما بلغت مكانة هذا البيت فان دم الانسان المسلم أعظم عند الله من البيت الحرام فالرسولﷺ بين ان مكانة الكعبة كبيرة ولكنه قال: «وإن دم المسلم أعظم عند الله» .

قصة الخلق

عند عودتنا من نزهة برية قالت احداهن. . .

ـ أبي نريدك أن تقص علينا قصة نعيم وسعد. .

ـ ما هي قصة نعيم وسعد؟!

اجابت الثانية :

القصة التي حكيتها لنا منذ فترة. .

لم أتذكر القصة التي يعنونها لأنني (أؤلف) القصص لهم وقت سردها. . فتهربت قائلا.

ـ عندي قصة أخرى أحسن من تلك القصة. . .

واقتنعوا جميعا بأن (القصة الجديدة) أحسن. . .

وبعد الإنتهاء من العشاء طلبت منهم ان يجلسوا هادئين حتى نبدأ القصة. . القصة يا اطفال. . هي قصة الخلق. . كيف خلق الله السماوات والأرض والناس والحيوانات من البداية إلى يوم القيامة. .

قال أصغرهم : كم يوما ستقص علينا القصة !؟

ـ الليلة تنتهي واذا لم تنته نكملها غدا. . . إن شاء الله. . . أول شيء. . كان الله ولم يكن شيء معه. . فخلق الماء وخلق العرش. . وكان عرشه على الماء. .

ـ ما هو العرش بابا؟!!

ـ العرش هو المكان الذي يجلس عليه الملك. . وعرش الله اكبر من الارض ومن السماء. . هو كبير جدا أكبر من كل الأشياء التي نعرفها. . وبعد أن خلق الله العرش. . خلق القلم وأما السماء والارض فخلقهما الله من بخار الماء (مثل الدخان).

ـ كيف خلق الله السماء والارض؟!

ـ إذا أراد الله أن يخلق شيئا يقول له كن فيكون. . . وهناك أشياء خلقها الله بيديه. . فهو سبحانه وتعالى خلق آدم بيديه وغرس الجنة بيديه (تبارك وتعالى). . وخلق الله السماوات السبع والارض في ستة ايام. . أربعة ايام خلق فيها الأرض وقدر فيها كل شيء ويومان خلق فيهما السماوات السبع. . وخلق الأرض قبل

السماوات.. وجعل في كل سماء من السماوات السبع أمرا.. ثم خلق الله الملائكة.. وجعل لكل ملك مهمة ووظيفة معينة.. وخلق الله الجن.. وخلق الجنة وخلق النار.. ثم خلق الله آدم وحواء.. وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا جميعا.. الا ابليس، قاطعني احدهم.. ابليس الشيطان؟

- نعم ابليس الشيطان.. كان مع الملائكة في السماوات فعندما أمرهم الله جميعا أن يسجدوا لآدم قال إبليس: ﴿انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ يعني أنه أحسن من آدم.. فتكبر ولم يسمع كلام الله.. فطرده الله من الجنة فقال ابليس.. يا رب اجعلني اعيش الى يوم القيامة.. فرضي الله بذلك.

- فقال إبليس لله: إنني سأغوي آدم وجميع أبنائه وسوف ترى أنهم لن يعبدوك.. فأجابه الله أنه لن يستطيع أن يغوي الناس الصالحين المخصلين.. وطرده الله من الجنة..

وقال الله لآدم.. ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة﴾.. يعني أن الشيطان سوف يحاول أن يخدعكما فلا تسمعا كلامه.. وأمرهما الله أن يعيشا في الجنة ويأكلا من أي شيء إلا شجرة واحدة.. أمرهما ألا يقتربا منها، لاحظت أن الأطفال اندمجوا بهذا السرد.. فتابعت.

- وبينما آدم وحواء في الجنة وسوس لهما الشيطان وقال لهما: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ يعني إذا أكلتما من هذه الشجرة تصيران خالدين.. وأقسم لهما أنه لا يقول ذلك إلا نصحا لهما وانه لا يريد إلا ما فيه مصلحتهما وما زال بهما حتى نسيا أنه عدو لهما فأكلا من الشجرة.. فقال لهما الله ﴿ألم أنهكما عن هذه الشجرة﴾.. وعاتب الله سبحانه وتعالى آدم فاستغفر آدم وتاب الله عليه وغفر له وسامحه ولكنه أمره بالنزول من الجنة إلى الأرض وقال له ما معناه ان الله سيبعث لآدم وذريته أوامر فيها صلاحهم وهدايتهم فمن اتبعها واطاع الله تعالى يدخله الجنة ومن رفضها يعاقبه الله على قدر ذنوبه وهكذا نزل آدم وحواء إلى الارض وحملت حواء فولدت ولدين اثنين هما قابيل وهابيل وولدت مع كل منها بنت لا أعرف اسماءهن.

والان ما رأيكم نتوقف هنا.

صاحوا جميعا بالرفض فتعذرت.. ووعدتهم باكمال القصة في اليوم التالي.

قصة الاصنام

الخميس الماضي قررت أن أبقى في البيت أقرأ وأقوم ببعض الاعمال المنزلية . .

رجعت ابنتي . . . فوجدتني في البيت ـ على غير العادة ـ فسألتني بعد ان ألقت تحية خفيفة : ـ هل يوجد الآن كفار يعبدون الاصنام؟

استغربت سؤالها وقلت : لم هذا السؤال يا ابنتي؟

ـ لأن المدرسة قالت لنا اليوم أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام واليوم لا أحد يعبد الاصنام .

ـ قولي للمدرسة . . هناك في بلاد شرق اسيا أناس كثيرون يعبدون اصنام (بوذا) وأصنام (ميرا) وغيرها . . من التماثيل الحجرية التي تعبر عن آلهة لهم . . .

ـ هؤلاء غير عرب أليس كذلك؟ . .

ـ نعم . . . إنهم ليسو عربا . .

ـ كيف عبد العرب الأصنام اذن؟

ـ كان العرب الذين سكنوا الجزيرة العربية لا يعبدون الأصنام وكان فيهم احد (الرووساء) اسمه عمرو بن لحي الخزاعي ـ خرج ذات مرة إلى بلاد الشام اما لانه مرض او لحاجة اخرى . . وهناك رأى سكان الشام يعبدون الأصنام ويعظمونها فاعجبه امرهم . . فطلب منهم ان يهبوه احدها فاعطوه هبلاً فلما رجع إلى مكة وضع هذا الصنم عند الكعبة واضاف عليه من العظمة والهيبة . . فلما رأى الناس منه ذلك وهو زعيم عظموا تلك الحجارة . . . ويقال ايضا بان عمرو بن لحي خرج الى جدة ووجد اصناما تعبد فأتى ببعضها ونصبها حول الكعبة ودعا الناس الى عبادتها . . .

ـ وماذا عن (اللات) و(العزى) و(مناة)؟ .

ـ اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له ستار وحراس وخدم وكان معظماً عند أهل الطائف و(العزى) شجرة عليها (بناء) واستار بين مكة والطائف و(مناة) كانت بين مكة والمدينة وكان أهل الجاهلية يحرمون منها للحج .

ـ ولكن كيف يعبد الانسان العاقل حجارة لا تنفع ولا تضر؟

ـ الناس لم يعبدوا الحجارة على أنها حجارة ولكن كانت هذه الحجارة تمثل شيئا اخر . . . فبعض الأحيان كانت تمثل الآلهة كمن يعبد (بوذا) وبعض الاحيان تمثل

قدرة الإله وبعض الاحيان تمثل أناسا صالحين مثل (ود) و(سواع) و(يغوث). . .
فكان الناس بعد موت أولئك الصالحين يبنون على قبورهم ويعظمون القبور ويحترمونها لأنهم يتذكرون الأفعال الحسنة والفضائل الكثيرة لاولئك الصالحين. . .
ثم تتعاقب الأجيال ويأتي أناس لا يحترمون تلك القبور فقط بل يلجأون لها لكشف ملماتهم ودفع الاضرار وجلب الحاجات لهم ويسافرون المسافات الطويلة لهم وهكذا يتحول (الاحترام) الى (عبادة) وشرك بالله تبارك وتعالى. . .

همت ابنتي بالقيام لتغيير ملابسها. . قالت :ـ وهل من العرب من يعبد أصناما اليوم؟!

ـ ليست بهذا المعنى. . ولكن البعض يسافر لزيارة القبور ويدعو عندها ويذبح عندها. . وأكثر المسلمين يفعل ذلك جهلا. . . فهذه الامور منتشرة في مصر وفي السودان وفي الهند وفي بلاد الشام وفي العراق. . وغيرها من بلاد المسلمين.

فأغلب المسلمين يفعل هذه الامور وهو يظن إنه يتقرب إلى الله مع أنه شرك بالله. . .

هزت رأسها مستغربة ما سمعت وقالت :ـ الحمدالله. . ليس عندنا في الكويت شيء من هذا. .

ـ بل كان عندنا مكان في جزيرة فيلكا اسمه (الخضر) وكان كثير من الناس ينذرون عنده ويذبحون ولكن ـ ولله الحمد ـ أزيل ذلك المكان وتطهرت بلادنا من هذا البلاء.

أحب الأسماء وأبغضها

نظر في قائمة أسماء الطلبة الذين سيقوم بتدرسيهم خلال الفصل المقبل وقال لصاحبه :ـ انظر عبد الرسول.. عبدالكعبة.. عبد النبي.. !!

ـ وماذا في ذلك ..

ـ لا يجوز ان يتسمى المرء بانه «عبد» لشيء الا الله.

ـ ولكن القصد هنا ليس عبد ـ بمعنى العبودية أو العبادة... وانما عبد بمعنى خادم.

ـ أولا.. هذا ليس في لغة العرب.. فالعبد مشتق من العبودية والعبادة ومادة (عبد) ثم... حتى بافتراض ذلك نهي الرسول ﷺ ان يسمى العبد والأمة بتخفيف الميم ـ بهذين الاسم فقال : (لا يقل أحدكم عبدي وأمتي بل فتاي وفتاتي)....

ـ لقد قرأت في حديث أن الرسول ﷺ دعا على (عبد الدرهم)... و(عبد الخميصه)... وفي الواقع لا أعرف معنى هذه المصطلحات..

ـ الحديث هو.. (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضي وان لم يعط لم يرض).. رواه البخاري...

وفيه دعاء من الرسول ﷺ على من كان أكبر همه الدينار والدرهم بحيث يصير عبداً لهما.. فحيثما كانا كان، وكيفما جاءا سعى لهما بحلال أو حرام بعدل أو ظلم.. الوسيلة غير مهمة... الغاية هي الدينار والدرهم..، والقطيفة والخمصية من أنواع الثياب والقماش التي تدل على الترف في الدنيا... فهذا من حرصه على الدنيا أصبحت همه وغايته في كل شيء سواء في مظهره أو مسعاه أو جهده... (اذا اعطى من الدنيا) رضي عن الله أو عن الناس الذين يعطونه وإن لم يعط من الدنيا سخط على الله وتضايق، كيف فلان عنده وانا لا شيء عندي... كيف فلان يملك ويملك، وانا لا شيء املك وهكذا يسخط على رزق الله وعطائه وتوزيعه للارزاق والمناصب والمراكز ...

ـ هل نفهم من هذا الحديث أن هذا الانسان (كافر) لانه (عبدالدينار)..؟

ـ كلا هذا لا يفهم على إطلاقه... فالناس درجات في الحرص في على الدنيا منهم من تلهيه الدنيا عن الأركان كالصلاة مثلا.. ومنهم من يؤدي به حرصه إلى إنكار أحكام القرآن.. كتحريم الربا أو الغش في التجارة.. فهذا اشد الأنواع وقد

يؤدي بالإنسان إلى الكفر. . . أما الذي ينشغل بالدنيا ويقع بالمعاصي فهذا يحاسب على قدر تقصيره مع ربه. . ولكن ينبغي ان يحرص المسلم ألا يكون فيمن دعا. عليه الرسول ﷺ بهذه الدعوة. . . بل يردد الدعاء (اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا). .

ـ وهل اتباع الموضة والاعراف من هذا الباب؟

ـ ربما. . إذا كان في هذا الإتباع مخالفة للشريعة فبعض الناس ـ وخاصة النساء ـ تتبع الأعراف شبرا بشبر. . . وإن خالفت الشريعة. . وبعضهن صرن (إماء) لدور الأزياء في باريس ولندن وروما. . . ذا أطال أولئك الثياب أطلنها وإذا قصروا الثياب قصرنها. . . دون مراعاة لشريعة الله أو للواجب عليهن أرتداءه حيث أنهن مسلمات. . . فهؤلاء النساء كل على حسب تقصيرها. . . منهن من تترك الصلاة والسبب الموضة. . . . أو تنكر حكم الحجاب والسبب والموضة بدلا من أن تكون (أمة الله). . .

الذبائح

ـ وهل الطعام يدخل في العقيدة؟ قال مستنكرا.. مظهرا عدم قناعته.. اجابه :

ـ إن صيغة العبارة هذه تجعل الموضوع يبدو فوق المناقشة فلماذا لا نحاول تفصيله لنصل إلى الحق فيه...

ـ تفضل بالتفصيل... وسوف انصت

ـ أولا.. ألا تعلم أن من عقيدة المسلم الا يذبح لغير الله.. بمعنى ألا يذبح تقربا لأي من الأولياء أو الأنبياء أو الأضرحة.. وأظنك تعلم أن كثيرا من عامة المسلمين يجتهد في أن يأخذ الذبائح عند مقابر الأولياء والصالحين وأضرحتهم فيذبح عندها... وهذا لا يجوز شرعا وإن ذبح تقربا لصاحب الضريح فهذا من الشرك...

ـ نعم هذا واضح ومعلوم.. أكمل التفصيل..

ـ ثم تعلم ان الله حرم بعض الاطعمة.. بل إن الله قال في كتابه أنه فصل الأطعمة التي حرمها فقال : ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾.. فالطعام المحرم على المسلم أكله مفصل.. ذكره الله في كتابه والرسول ﷺ في سنته مثل : الموقوذة والمتردية والنطيحة ولحم الخنزير والدم السائل.. فمن اعتقد عدم حرمة هذه الأنواع من الطعام فقد كفر..

ـ هذا معلوم أيضا.. هل لديك مزيد تفصيل؟..

ـ نعم.. في سورة الانعام يقول الله تعالى ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشروكون﴾.. وهذه الآية نزلت ردا على المشركين الذين عندما بلغهم تحريم المتردية التي تموت نتيجة سقوطها من علو، والنطيحة، التي تموت نتيجة النطح من دابة اخرى،.. قال هؤلاء.. نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله؟! فقال الله تعالى : ان هذه المناقشة من وحي الشياطين لأوليائهم المشركين لمجرد جدال المسلمين، ولا ينبغي لمسلم أن يسمع لهم وإلا وقع في الشرك.. فالمسلم لا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح بشرط ألا يكون قد ذبح تقربا لأحد ولا لأجل أحد سوى الله تبارك وتعالى.

ـ وإذا لم يذكر اسم الله على الذبيحة لا يأكلها.؟ وهل يذكر المسيحيون اسم الله مع العلم أن طعامهم حلال على المسلمين؟!

ـ هنا لا بد من التأني والروية . . . أولا . . . لا يجوز أكل اللحم المقتول سواء كان من قتل الدابة مسلما أم يهوديا أم نصرانيا أم غير ذلك . . . بمعنى إذا أتى مسلم وقتل شاة بضربة حديدة على الرأس، فلا يجوز أكل هذه الشاة لأنها ميتة . . وحرمة هذه الشاة كحرمة الخنزير . .

ثانيا . . إذا ذبحت الشاة بالطريقة الشرعية، بإن قطعت اوردتها (من الوريد إلى الوريد) . . وسال الدم، فإنه يجوز أكلها سواء كان الذابح يهوديا أو نصرانيا او مسلما . . أما إذا كان الذابح مشركا لا يؤمن بكتاب فلا يجوز أكل هذه الذبيحة .

ثانيا . . اذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله على الذبيحة فهناك خلاف حول جواز أكلها والأقرب أنه يجوز أكلها مع تقصير الذابح في عملية الذبح . . هل اتضحت المسألة . .

ـ ولكن إذا كنا لا نعلم . . ان كانت الشاة ذبيحة أم قتيلة؟

ـ دائما تحمل المسائل هذه على غالب الحال . . فاذا كان الغالب الذبح . . تسمي بالله وتأكل . . وإذا كان الغالب الصعق أو القتل بالحديدة أو الرصاص فهي ميتة لا يجوز أكلها . . وألتحقق على قدر الاستطاعة وكما قال الله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ .

وهنا نقطة أخيرة قد تدور في الاذهان . . . ما الغاية من كل هذا التدقيق في (مسألة اللحوم) . . . والواقع أن المسلم يؤمن بان هذا التشريع هو الأكمل، وفيه منافع قد لا تظهر للناس ولكن ما دام التشريع من عند الله ففيه حكمة . . والمطلوب منا تقوى الله وطاعته وليس مساءلته . . والله لن ينفعه شيء من هذا ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ .

عقائد الأطفال

كانت وفاء حديثة عهد بحياة المدارس حيث انها قضت السنوات العشر الأخيرة كباحثة اجتماعية في إحدى الوزارات وقررت أخيرا أن تدخل عالم الأطفال، فالتحقت كمشرفة إجتماعية لإحدى المدارس . .

بادرتها جليستها سائلة :

ـ هل من الصحيح معاملة الاطفال بأسلوب الثواب والعقاب . . أعني . . هل من القواعد الصحيحة أن يذكر للطفل إن هو عمل عملا أو عقاب إن هو قصر في عمل؟

ـ في الواقع أنا من المؤمنات بأن أسلوب القرآن في التربية هو أفضل أسلوب . . وهذا الايمان تأكد وازداد بعد نقاشات مع الباحثين وحملة الدكتوراه في مجال التربية . . وفي القرآن استخدم الرب تبارك وتعالى اسلوب الثواب والعقاب . . ولكن ينبغي أن أفصل لك بعض الشيء . . هناك أسلوب الثواب الايجابي . . بمعنى أن الاعمال التي تريدين أن يقوم بها طفلك او الاشياء التي تريدينه أن يحققها عديه بالمكافأة . . مثل ان تقولي . . إذا أنت حصلت على امتياز لك عشرة دنانير . . وفي حال عدم حصوله عليها، لا يكافأ . .

سألتها: وماذا عن العقاب ؟

ـ العقاب كلمة يسيء فهمها كثير من الناس . . وباختصار هي إشعار المرء بذنبه . . وقد يكون ذلك بنظرة أو كلمة . . ومع ذلك فبعض الحالات البشرية لا ينفع معها أي عقاب ولذلك وجب إيقاف أذاها بحيث لا تتعدى إلى الآخرين فالطفل إذا كان يعلم صدق أبويه وإخلاصهما في التعامل معه، فإنه يشعر بالمسؤولية تجاه تصرفاته، ويتقبل العقاب ويكون رادعا له عن الوقوع في اخطاء مرة ثانية . .

ـ وهل من المستحسن تعريف الاطفال بالامور الغيبية . . مثل الملائكة والجنة والنار وغيرها ؟

لم تكن وفاء تود الاستمرار في هذا النقاش وكأنها متخصصة في علم نفس الاطفال . . ولكنها رأت فائدة لزميلتها الجديدة فأجابتها مستفيدة من علمها بالشريعة . . قالت: كثير من الذين يتحاملون على الدين الإسلامي يزعمون أن من الخطأ التحدث في القضايا الغيبية مع الأطفال . . وهذا من الخطأ . . لأن الطفل

عندما يقرأ سورة قصيرة مثل ﴿قل اعوذ برب الناس﴾ . . فإنه لا بد أن يسأل ما هو ﴿الوسواس الخناس﴾ . . ما هي ﴿الجنة والناس﴾ وكذلك عندما يقرأ ﴿تبت يدا ابي لهب وتب﴾ . . لا بد أن يسأل عن ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ . . وكذلك عندما يقرأ ﴿انا انزلناه في ليلة القدر﴾ . . فسيسأل عن : ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ ولا بد ان يعرف معاني هذه الأشياء وغيرها . . فيعلم قدر ما يستوعب عن الجنة والنار والملائكة والجن والشيطان ويوم القيامة والموت والبعث وغيرها من أمور الآخرة . . طبعا بقدر من التفصيل يتناسب واستيعابه . . ولكن يجب ألا نعتقد أن هذه الامور ستجعل الطفل يستيقظ من نومه مفزوعا . . أو يتخيل أمورا غير حقيقية . . فالرب تبارك وتعالى أخبر بما يصلح عباده جميعا . . صغيرهم وكبيرهم . . فنشرح للاطفال هذه القضايا وأظن أننا بذلك نعطي لعقل الطفل الابعاد الحقيقية لهذه الحياة حيث اننا لا نحصره بما يرى ويلمس فقط بل يفكر أبعد من ذلك . .

ـ وهل نخبر الطفل عن الملائكة الذين يسجلون الأعمال وعن أنواع العذاب يوم القيامة وعن الملائكة خلقهم وكيفية اشكالهم؟!

ـ قبل ان نخوض في هذا . . أود ان اذكر أن كثيرا من الناس يختلفون في تعريف (الطفل) فبعضهم يرى الطفل هو دون العاشرة والبعض الآخر يراه دون سن البلوغ والبعض يتعامل مع ابنائه ابناء الخامسة عشرة والسادسة عشرة على انهم (اطفال) . .

وفي الواقع هذه النظرة للابناء قد تكون سببا في افسادهم فالمعلومات التي ينبغي ان يتعلمها الطفل عن عقيدته هي تلك التي يمر عليها في قراءته للقرآن في تعلمه للصلاة وهذه القضية قد بينها الرسول ﷺ حين ارشدنا إلى تعليم أبنائنا الصلاة وهم في سن السابعة . . فما دام أحدنا يلتزم نهج الله في تربية ابنائه التي فإنه لن يخشى عليهم هذه الأمور السلبية ذكرت، فقط يجب ان يراعي طريقة إعطائه المعلومات لهم . . دون تهويل ولا مبالغة ولا تحريف . . ولا كذب . . فلا داعي ولا مكان لهذه الاشياء في التربية الصحيحة للابناء .

النوروز

ما زلت أذكر كيف كان هذا اليوم ذا نكهة خاصة في بيتنا . . كانت والدتي تحرص أن يجتمع أخواني وأخواتي المتزوجين في بيتها أمسية الحادي والعشرين من مارس. . حيث كانت تفرش غطاء جديدا على طاولتي الطعام اللتين تلصقهما بعناية . . وتملأ المائدة بأنواع خاصة من الحلوى لا تعدها إلا لهذه المناسبة . . وكانت تحرص أن تضيء الشموع التي توزعها في أماكن تختارها بعناية بين أطباق الحلوى وزوايا غرفة الاستقبال . . سألتها ذات مرة:

ـ لماذا نحتفل بهذا اليوم ؟

فأجابت أختي بسرعة :

ـ اليوم عيد الأم ألا تعرف ذلك؟

تبسمت والدتي وبدت وكأنها شابة في أوائل الثلاثين من كثرة ما اعتنت بمظهرها ذلك اليوم . .

ـ اليوم عيد الأم . . وعيد الأسرة . . وعيد نوروز . . لم أفهم آخر كلمة قالتها . . فرددتها ضاحكا :

ـ نوروز ؟

ـ نعم . . يعنى رأس السنة الجديدة في التقويم الشمسي .

ومرت السنون وانقطعت احتفالاتنا في النوروز . . ولكن بقي ٢١ مارس عيد الأسرة .

وذات مرة كنت أقلب أحد الكتب التي تتكلم عن الطوائف غير الإسلامية . . فاذا بصاحب الكتاب وهو شيخ الاسلام ابن تيمية . . يذكر: ان مخالفة اليهود والنصارى والمجوس أصل من أصول الدين الاسلامي وأنه في القضايا التي لا يرد فيها نص شرعي من كتاب أو سنة صحيحة أو اجماع للأمة فان مخالفة أهل الشرك واليهود والنصارى والمجوس وأهل البدع هي الأولى والأبدي لكل مسلم . . ثم ذكر أعياد اليهود والنصارى وقال أنه لا يجوز التشبه بهم بموافقتهم في أعيادهم أوعباداتهم ثم قال: (ومن أعياد المجوس النوروز أو النيروز وأصله عند أؤلئك الذين كانوا يعبدون الشمس ثم عبدوا النار وهو أول أيام العام عندهم) ولا يجوز التشبه بهم ومشاركتهم أعيادهم بل الأولى مخالفتهم في كل شيء لم يرد فيه نص شرعي . .

في الاسبوع الماضي سألني صاحبي مداعبا . .
ـ ما رأيك نجتمع في عيد الأسرة ونحتفل جميعا . . أم تزال تعتبر هذا العمل بدعة ولا يجوز وغير ذلك من قائمة الأحكام التي تحفظها ؟
أجبته بطريقته :
ـ بل سأحتفل بطريقتي الخاصة . . وليس معك أنت . .
ـ هل ستشتري هدية للزوجة العزيزة والأم الحنونة . . أم الميزانية لا تسمح . ؟
ـ لا أظن ان الزوجة العزيز بحاجة إلى هدية بقدر ما هي بحاجة الى بعض الوقت أقضيه معها وبعض المشاعر تحيطها بها وبعض المشاركة تشعرها بها . . أما الوالدة . . فأظن أنها يكفيها مني أن أبرها وأصلها وأزورها وأسأل عنها وأقبل رأسها كلما رأيتها . . فأنا معها في احتفال طول العام وليس في ٢١ مارس فقط . .
تبسم ضاحكا من قولي :
ـ بخيل . . كما كنت دائما أقول عنك . . ما المانع ان تشتري هدية صغيرة . . فمهما أتيت من أمور معنوية وعواطف ومشاعر تبقى الهدية المادية لها تأثيرها في تأكيد العلاقات وتأصيل الروابط وزيادة المحبة .
ـ أنا لم أنكر ذلك . . بل أزيدك بحديث عن الرسول ﷺ يقول فيه (تهادوا تحابوا) . . وكلما زادت قرابة الانسان كان أولى بالمحبة والتقدير والتهادي . . ولكني لن أفعل ذلك في ٢١ مارس . . بل لعلي أؤخرها الى شهر مايو أو يونيو . .
ـ أنا أعلم لماذا شهر يونيو وأؤكد لك أنه لن يكون مايو ؟
ـ لماذا شهر يونيو ؟ !
ـ لأنك تقبض راتب ثلاثة أشهر في يونيو أليس كذلك يا حريص ولن أقول بخيل هذه المرة ؟

ليس من الدين

سألني صاحبي : لقد ذكرت في مقالك السابق ان سبب دخول الجنة قد يكون عملا صغيرا لا يهتم له الانسان مثل اماطة الاذى عن الطريق، أو الكلمة الطيبة، أو قضاء حاجة لمسلم. . هل يمكن تطبيق نفس الشيء بالصورة المعاكسة؟

ـ تعني ان يكون ارتكاب اعمال صغيرة سيئة سببا في دخول النار؟

ـ نعم هذا ما اردت

ـ قد يكون ذلك . . وفي الواقع ينبغي أن يكون واضحا ان الأعمال الخيرة مصيرها دائما إلى الزيادة والمضاعفة بمقادير يعلمها الله، والاعمال السيئة مصيرها إما ألى مغفرة من الله أو أن تبقى مثل ما هي يوم القيامة . .

قاطعني :

ـ لكن يقول الله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ فكيف تكفر الذنوب ويرى الانسان جميع أعماله يوم القيامة .

ـ لا تعارض . . الانسان يرى جميع الأعمال ـ صغيرة أو كبيرة ـ ثم الله يغفر ما يشاء ويتجاوز عما يشاء ويكفر ما يشاء من ذنوب ويضاعف ما يشاء من حسنات . . ويكون مصير الانسان بعد «تصفية جميع الحسابات». . ثم إلى الجنة مباشرة أو إلى النار فترة ثم الجنة . . أو إلى النار دائما. .

ـ لنرجع إلى موضوع السيئات الصغيرة . .

ـ إن تصنيف الذنوب صغائر وكبائر لا ينبغي أن يكون وسيلة ليتهاون المسلم بالذنوب ويضعها درجات . . وإنما ذكرها الله في قوله ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ وكذلك في وصفه للمؤمنين ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم﴾ ـ اي صغائر الذنوب ـ حتى لا ييأس الإنسان ويعيش في عقدة «الشعور بالذنب» . . فالمسلم يتجنب الذنوب ولكن إذا وقع في شيء منها فالخروج من الذنب وتكفيره معلوم واضح . . إما التوبة أو الكفارة أو كلاهما أو الاستغفار والأعمال الصالحة . .

وحتى أوضح ذلك . . جاء في الحديث أن الرسولﷺ قال «دخلت امرأة النار في هرة ـ أي قطة ـ حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض» . . فهذه المرأة تعذب في النار بسبب انها حبست قطة حتى ماتت . . وبعض الناس يرى هذا العمل شيئا صغيرا . . وجاء أيضا في الحديث أن

الرسولﷺ مر على قبرين فقال: (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يتنزه من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) . . فهذان الرجلان كانا يظنان أن عملهما صغير ولكنه كان سببا في حصول العذاب لهما .

سألني: إذن الانسان لا يضمن المغفرة وزوال الاثم ؟

ـ نعم . . إذا تاب توبة حقيقية صادقة مع الله يغفر الله ذنبه وإذا لم يتب قد يغفر الله ذنبه وقد يعذبه كما يشاء الله تبارك وتعالى.

ـ مهما كان الذنب كبيرا ؟.

ـ ليس هناك ذنب أكبر من الشرك . . ومن يتب من الشرك والكفر بالله ويؤمن بالله يكفر الله له ذنبه ويزيل ما كان من إثم عليه . . وهكذا سائر الذنوب . . إذا تاب منها الإنسان يغفرها الله . . اللهم إلا الذنوب التي فيها حقوق للناس . . مثل غش الناس أو ظلمهم أو سبهم أو سرقتهم . . فهذه تحتاج بالإضافة إلى التوبة تحتاج إلى رد حقوق البشر. .

ـ قبل ان ارجع سؤال اخير . . ما معنى لا صغيرة مع تكرار ولا كبيرة مع استغفار؟

ـ معناه . . أن الاستمرار في الوقوع بالذنوب «الصغيرة» والإصرار على ذلك والاستهانة بها يجعلها غير قابلة للمغفرة فتكون سببا في دخول النار . . وأن الذنوب الكبيرة إذا لحقتها توبة صادقة فإنها تزول وكأن لم تكن ويغفرها الله .

عقائد في الحج

ـ لي أخت تستطيع الحج ولكن لا محرم لها سواي . . . وأنا بصراحة أديت فريضة الحج . . وكنت أنوي أن اسافر الى اوروبا للراحة والاستجمام . . والآن أنا محتار اخشى أن آثم إن أنا سافرت ولم تتمكن اختي من الحج بسببي . .

كان فؤاد وعبدالله راجعين من صلاة الجمعة . . وكان عبدالله متأثرا بالخطبة ـ كعادته كل مرة ـ وكان موضوعها حول الحج . .

ـ اسمع يا عبدالله . . لا شك أن ذهابك للحج مع أختك أعظم أجرا من الذهاب إلى اوروبا . . ولا شك أن عدم ذهابك معها تقصير في حقها كونك المحرم الوحيد لها . . فتوكل على الله واعزم الحج ولن يضيع الله لك تضحيتك هذه .

ـ لا أدري . .

ـ هل تعرف بعض العقائد المتعلقة بالحج .

ـ أعلم قول الله تعالى . . ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ إلى آخر هذه الآية . . ولكن بصراحة لا أعرف معناها .

ـ أول بيت وضع للناس . . . معناه أن أول بيت للعبادة وضع للناس على وجه الارض هو البيت الحرام (الكعبة) الذي في مكة . . وفي هذا البيت علامات (آيات) واضحات . . من هذه الايات . . مقام ابراهيم . . حيث أن ابراهيم (عليه السلام) أوحى اليه الله أن يبني الكعبة واوحى إليه بالمكان بالضبط . . فامتثل إبراهيم للأمر وبنى البيت ومقام إبراهيم عبارة عن صخرة صلبة يظهر فيها اثر قدم نبي الله إبراهيم حيث كان قائما يبني البيت . . وهذه آيات من عند الله كيف تشكلت هذه الصخرة الصلبة وانحفرت على شكل قدم رسول الله إبراهيم . .

وهناك آيات أخرى مثل قصة اصحاب الفيل وكيف أن الله ارسل عليهم الطير ترميهم بالحجارة الطينية حتى ماتوا عندما اتوا لهدم الكعبة . .

وكذلك من الايات (الحجر الاسود) الذي هو من أحجار الجنة أنزله الله الى الارض واسود بسبب ذنوب الناس . . وكذلك من الآيات (بئر زمزم) التي هي بئر لا تنضب أبدا وهو يغني عن الطعام بمعنى أن الانسان يستطيع أن يعيش صحيحا معافى بالشرب من ماء زمزم فقط . .

ـ وماذا عن عرفات والمزدلفة والمرجم الذي يسميه عامة الناس (الشيطان)؟ . .

ـ لا شك أن عبادة الحج من العبادات التي تظهر للمسلم جليا كيف يجب عليه اتباع أوامر الله أولا بأول إذا هو أراد أن يرضي الله . . فالحج منذ ابتدائه إلى انتهائه إعمال تؤدى في إوقات محددة وإماكن محددة وبطريقة محددة حتى يقبلها الله . . وهذا تحقيق لمعنى العبودية . . فالمسلم يعلم كما اخبر عمر بن الخطاب (رض) حين قال عن الحجر الاسود (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما فعلت) . . . فلا ينبغي أن يعتقد في الاشياء والجمادات والحجارة أنها تنفع أو تضر فيتبارك بالتمسح بها والاقتناء منتها . . وانما يعلم أن عليه أن يفعل مثل ما أمر الله به لا أكثر ولا أقل . . فعن عرفات مثلا . . لا يعتقد المسلم أن لحجارته ميزة خاصة أو تأثير سحري . . بل يعتقد المسلم أن الوقوف في ذلك المكان يوم التاسع من ذي الحجة عبادة عظيمة لله ينبغي عليه خلالها الدعاء والتقرب الى الله بالقرآن رجاء الأجر والثواب والنجاة من النار . . . وهكذا في المواقف الاخرى مثل المزدلفة ومنى وغيرها . .

ـ وماذا عن قصة ابراهيم وابنه اسماعيل وزوجته هاجر ؟ .

ـ ان القصة هذه ذكرت في كتاب الله وفصلت في كتب التفسير وهي أن الله أمر إبراهيم(ﷺ) أن يسكن زوجته وإبنه الرضيع اسماعيل في مكان محدد . . (عند بئر زمزم الان) . . . ولم يكن في هذا المكان شجر ولا ماء ولا شيء . . مجرد واد صحراوي وسط مجموعة من الجبال . . وفعل إبراهيم(ﷺ) ذلك ممتثلا يمر الله . . وترك زوجته وابنه الرضيع وذهب عنهما ثم حصل أن تفجر ماء زمزم وعاشت الزوجة وأتت القبيلة عند منبع الماء وتكونت الحياة هناك . . وعندما كبر اسماعيل وبدأ المشي أمر الله رسوله ابراهيم أن يذبح وحيده . . . وامتثل إبراهيم لأمر ربه وكذلك ابنه اسماعيل امتثل للامر وعندما حانت ساعة التنفيذ فداه الله بكبش عظيم . . ثم بنى ابراهيم البيت الحرام وساعده في البناء ابنه اسماعيل .

ـ وماذا عن المراجم ؟!

ـ هي الأماكن التي تمثل فيها الشيطان لنبي الله إبراهيم فأخذ الحجارة ورماه بها ثلاث مرات سبع حصيات كل مرة . . .

وعلى أية حال فرحلة الحج من أفضل العبادات بل هي أفضل الجهاد بالنسبة للنساء . . وأعظم ما في الحج امتثال أوامر الله واتباع رسول الله في كل عمل . . فالمسلم يلبس الإحرام ويظل فترة من الزمن وينتقل من مكان إلى آخر ويعمل هناك

عملا وهناك عملا آخر بترتيب معين وبكيفية معينة وهذا هو الغاية والهدف: تحقيق الطاعة والعبودية .

والآن هل قررت الذهاب لاجل أن تتمكن اختك من الحج ؟.

ـ والله لا أدري . . . أحج أم اذهب إلى اوروبا!!!!

نداء الصلاة

أردت ذلك اليوم أن أغير شيئا من الروتين اليومي . . . فانطلقت إلى المسجد ماشيا قبل ان ينطلق أذان المغرب بدقائق . . بدأ الاذان قبل أن أصل إلى المسجد . . وبجوار مسجدنا يوجد ملعب لكرة القدم يزدحم بالشباب في نهاية الأسبوع . . لم يتوقف اللعب اثناء الأذان ولا بعده . . انتظرت قليلا عند باب المسجد آملا أن يترك أحدهم اللعب ليدرك صلاة المغرب ولكن . . .

بعد الصلاة عقدت العزم أن أتحدث إلى بعض أولئك الشباب حول عدم استجابتهم لنداء الصلاة وانشغالهم عن الصلاة بلعب الكرة . . . قبل أن أغادر المسجد رأيت احدهم يدخل مكان الوضوء . . . فاستبشرت خيرا . . انتظرت عند الباب قليلا وكان احد زملائه ينزع حذاءه في الخارج . . خرج ذاك الذي دخل مكان الوضوء بعد أن غسل وجهه وتوجه إلى الخارج دون أن يدخل مكان الصلاة . . . سلمت عليهما . . وبعد ان لطفت الجو . . . سألتهما :ـ هل استطيع ان أسألكما سؤالا؟

ـ تفضل . . قالها أحدهما بشيء من الخجل .

ـ بصراحة . . . لست ادري كيف تشعران عندما تسمعان نداء الصلاة ولا تلبيان النداء وتنشغلون جميعا بلعب الكرة مع أن المسجد ملتصق بالملعب . . .

ـ في الواقع . . . نحن لا نسمع الاذان على انه نداء للصلاة . . . بل اعتدنا على سماع الاذان فهو لا يذكرنا بشيء وأظن أن معظمنا لا يفكر في معنى كلمات الاذان .

ـ بل إن الأذان كله نداء للصلاة . . . إبتداء بـ «الله اكبر» وانتهاء بـ«لا اله الا الله» . . . فالله تبارك وتعالى يذكرنا ابتداء ألا شيء أكبر من الله . . . لا لعب الكرة . . ولا العمل . . ولا الدنيا جميعها . . . ولا شيء . . . فمن آمن بذلك نطق بالوحدانية لله . . . «أشهد ألا إله إلا الله» . . . ذلك على منهاج رسول الله ﷺ . . «أشهد ان محمدا رسول الله» . . . ويترجم انقياده لأوامر الله باستجابة الدعوة إلى الصلاة «حي على الصلاة» والصلاة هي سبيل الفلاح في الدنيا والاخرة «حي على الفلاح» ومن غير الصلاة يكاد الإنسان ان يقع في الكفر . . . كما أخبر الرسول ﷺ . . «العهد بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر» . . .

ويختم الأذان بإقرار الوحدانية الله . . فلا أدري كيف يسمع المسلم نداء

الصلاة وهو بقرب المسجد وتقام الصلاة. . . وهو يسمع الأذان والاقامة والدعوة إلى ما فيه خيره في الدنيا والاخرة ثم لا يستجيب.

- ولكن نحن نبدأ المباريات الساعة الرابعة والنصف ولا ننتهي الا الساعة السادسة والربع هذا في احسن الحالات، وبالطبع لا نستطيع ان نبدأ قبل هذا الوقت لان الجو حار. . .

- قاطعته : اقتصر الشوط على نصف ساعة. . ولست هنا لأضع لكم ارشادات المباريات والمسابقات ولكن أرى من الواجب على أن أنبهكم الى هذه القضية واظن كل من يعبر من هذا الطريق ويراكم تلعبون هنا والناس يصلون في الداخل تخطر في باله أفكار كثيرة عنكم. .

- هل صحيح ما قلته عن أن ترك الصلاة كفر؟!

- ما ذكرته «العهد بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر» حديث صحيح عن رسول الله ﷺ. . وهناك حديث اخر صحيح يقول فيه الرسول ﷺ. . . «بين المرء والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر». . .

وهناك اقوال كثيرة للصحابة والتابعين في شأن ترك الصلاة حيث يقول احدهم : «ما كنا نرى ذنبا عمله كفر إلا ترك الصلاة». . . والصلاة هي مفتاح الإعمال وأول شيء يحاسب عليه الانسان يوم القيامة. . كما جاء في الحديث. . «اول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله». . . فلا ينبغي لشباب مسلم في مثل سنكم ومستواكم من الوعي والرجولة ان يتهاون في الصلاة ويهملها مع انه يسمع الاذان والاقامة والمسجد لا يبعد عنه إلا خطوات. . . وفي الأذان أجر عظيم لا يفوته مسلم حريص فقد جاء في الحديث أنه من سمع الأذان فاخذ يردد ما يقول المؤذن ثم دعا «اللهم رب هذه الدعوة التامة. . الخ» فإن هذا يرجى أن يشفع له الرسول ﷺ يوم القيامة. . ولا يتضايق عند سماع الأذان أحد مثل الشيطان فإنه إذا بدأ المؤذن بالأذان يهرب إلى اقصى ما يستطيع حتى لا يسمع الاذان. . . وأخيراً. . . ارجو ألا يكون في كلامي هذا تجريح لاحد منكم إنما اردت أن انبهكم وأبرىء ذمتي والأمر بينكم وبين ربكم. . .

الحلف ١

كنا نقضي بعض حاجاتنا من السوق . . توقفنا عند احد باعة الذهب . . وفي سبيل اقناعنا بشراء قطعة اخذ يحلف بالله وبالشرف ان نظيراتها في السوق اغلى إلا إذا كانت غير اصلية . . تمهله صاحبي . . قائلا :

ـ سنشتري هذه القطعة إن شاء الله . . ولكن لا داعي لكل هذه الايمان والحلف . . وخاصة الحلف (بالشرف) . . لا ينبغي ان تعود لسانك على هذا الحلف . .

غادرنا المحل بعد ان تمت الصفقة فسألت صاحبي . .

ـ هل هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم﴾ .

اجاب :

ـ أولا . . تكملة الآية هي ﴿ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ .

وهي الآية (٢٢٥) من سورة البقرة ومعناها: لا تجعلوا ايمانكم وحلفكم بالله مانعة لكم عن البر والاصلاح بين الناس . .

وهذا المعنى يؤيده حديث الرسول ﷺ : «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها» بمعنى كفرت عن يميني . .

قلت مستغربا . .

ـ لقد كنت دائما أظن أن المعنى لا تكثروا الحلف الله . .

ـ إن كثرة الحلف ليست من الخصال الحميدة . .

ـ اذن ما معنى الآية الأخرى ﴿لا يؤاخذكم باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ .

ـ هناك نوعان من اليمين . . يمين اللغو . . واليمين المغلظة أو المعقدة . . والأولى هي التي لا يقصد الانسان الحلف بها . . مثل أن أعزم عليك فتقول لا والله . . أو أي والله . . فهذا يمين اللغو الذي لا نؤاخذ عليه واليمين الثانية هي الحلف الذي يقسم به الانسان بالله أنه فعل أو رأي . . يقصد الحلف لتأكيد صدقه أو لتأكيد عزمه . . وهذه هي التي يحاسبنا الله عليها وهي إن كانت كاذبة ـ اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار . .

كنا قد وصلنا إلى السيارة فركبنا وتابعنا الحديث فسألت صاحبي . .
ـ هناك حديث بان الحلف بغير الله شرك؟
ـ نعم الحديث يقول: (من حلف بِغير الله فقد كفر أو أشرك) . . رواه الترمذي . . والمعنى من حلف بشيء معتقداً تعظيم هذا الشيء وتقديسه . . فهذا شرك . . ولذلك جاء النهي عن الحلف بغير الله بصورة عامة . . حيث قال رسول ﷺ (لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم) . . وفي رواية اخر: (من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت) . . متفق عليه .

وبعض الناس يحلف بأشياء لا تعظيماً لها ولكن تعودا وهذا حاله مثل أولئك حيث كانوا في العهد الأول من الإسلام حيث تعودوا الحلف باللات والعزى . . فقال فيهم الرسول ﷺ: (من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) . . أي يذكر نفسه بالله وانه لا شيء يستحق الحلف به غير الله تبارك وتعالى . . فلا ينبغي الحلف بالشرف او الأمانة أو الاولاد أو (برأس الشخص) . . الخ . . ومن فعل ذلك فليقل لا إله إلا الله ويحاول أن يترك هذه العادة .

وبما اننا كنا في السوق فإن هناك حديثا ينهي الباعة عن كثرة الحلف حيث يقول الرسول ﷺ: (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب) . . وحديث آخر: (اياكم وكثرة الحلف في البيع فانه ينفق ثم يمحق) . .

بدا لي الحديث متشعبا دسما أكثر مما توقعت فسألت . .
ـ والذي يحلف ان يفعل شيئا لا يملكه . . مثل أن يحلف على مال أخيه أو يحلف ألا يدخل بيت اخيه .
ـ هذا يكفر عن يمينه . . بأن يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو يعتق رقبة فان لم يجد يصوم ثلاثة ايام . . ويفعل ما أقسم عليه ولا ينبغي التوقف عن الخير بسبب اليمين . .
ـ طيب . . والذي يحلف بالطلاق . . هل يقع الطلاق .
ـ هذا موضوع آخر نبحثه مرة ثانية .

الحلــــف ٢

البنك أحد الأماكن التي لا أحب الذهاب اليها ـ لطول الانتظار فيها في بدايات الشهور ونهاياتها . . ساقتني الظروف إلى هناك في الفترة اياها . . وضعت دفتر الحسابات تحت كومة من سبقني وتحليت بالصبر . . اقترب مني . . ابتدأ الحديث عن شدة الازدحام وضرورة ايجاد طريقة أكثر فعالية . . وكان هدفه شيئا اخر . . وبعد أن تعرف علي . . انفتح المجال ليقول ما يريد . .

سألني : . . . ترى هل ما تكتبه في الكلمات يحصل حقيقة ؟

ـ وما أهمية وقوعه كحدث . . المقصود هو موضوع النقاش وزبدة الحوار . .

ـ اظن ان تكتب حوارا لم يقع يعد نوعا من الكذب؟ . .

ـ لا أعتقد ذلك . . فالإنسان قد يكتب عن خواطره وقد ينقل صورة تمثيلية لهدف التعليم والايضاح وعموما فأصل الاحداث التي اذكر تقع ولكن صياغتها وترتيبها يتم لأجل الوصول إلى غاية معينة .

لقد كتبت مرة عن القسم الذي هو الحلف . . وذكرت حديثا الرسول لله : «من حلف بغير الله فقد أشرك» . . هل هذا الحديث صحيح؟

ـ نعم هو صحيح . . رواه الترمذي . . وعلماء الأمة على إجماع بأن الحلف لا يكون إلا بالله والشرك الذي ذكر في هذا الحديث جاء بأنه الشرك الأصغر وليس هذا لتهوين الذنب والتقليل من شأنه بل إن الشرك الأصغر من أعظم الذنوب وهو أشد من الكبائر . . ولذلك جاء في الأثر عن ابن مسعود انه قال : «لئن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله» . . وذلك لأن الحلف الكاذب الذي هو اليمين الغموس من الكبائر والحلف بغير الله شرك . .

● لماذا سميت «اليمين الغموس»؟

ـ لأنها تؤدي بالذي يحلف وهو كاذب إلى أن (يغمس) في النار جزاء هذا الذنب . .

● ولكن في القرآن هناك آيات كثيرة يقسم فيها الرب بشيء من مخلوقاته . . مثل : ﴿والشمس وضحاها﴾ . . ﴿حم والكتاب المبين﴾ . . ﴿والنجم إذا هوى﴾ . . وغيرها كثير . . فلماذا هذا ؟ . .

ـ إن الله تعالى عندما يقسم بشيء من مخلوقاته انما ذلك لبيان عظم شأن هذه

المخلوقات مما يدل على عظمة الخالق . . وله سبحانه وتعالى أن يبين لعباده من عظمة خلقه ما يشاء . . أما المخلوق فإنه لا يجوز له أن يعظم شيئا سوى الله تعالى . . ولما كان الحلف هو تعظيم للمقسم به فإن الله حرم علينا أن نحلف بسواه عز وجل . .

● وما هي اليمين اللغو أو الحلف اللغو ؟

ـ لقد ذكر الله الحلف اللغو في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) . . وهو أن يقول أحدنا لصاحبه لا والله الا تتغذي عندي أو إلا تدخل البيت وتشرب الشاي أو لا والله وأي والله . . فليس القسم في هذه الالفاظ مقصود وإنما هو ما درج عليه اللسان والرب تبارك وتعالى لا يؤاخذ على هذا . . ومع ذلك فإنه ليس بالعادة الحسنة أن يكثر المرء من الحلف سواء كان يريد الحلف أو لا يقصده . .

● وماذا عن الحلف بالطلاق؟ . .

ـ لا يجوز . . ولكن إذا حلف بالطلاق يقصد الطلاق يعتبر طلاقا . . وإذا حلف يريد منع ذهاب الزوجة لمكان معين أو عملها لشيء معين فيعتبر حلفا وعليه ان يكفر عن حلفه . .

وكفارة الحلف . . هي اعتاق رقبة او اطعام عشرة مساكين او كسوتهم فان لم يستطع احدها ، فيصوم ثلاثة ايام . . وقد جاء عن الرسول ﷺ انه قال : «وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك» متفق عليه . . انتهى حوارنا ولم أزل انتظر دوري عند الشباك .

العقيدة في القتال

كثيراً ما أسمع أن الإسلام دين السلام والمحبة وأنه لا يبدأ بقتال وإنما شرع القتال في الاسلام ودفاعا عن انتشار الدعوة وانتصارا للمظلومين. . . ولكن هناك بعض الآيات والاحاديث الصحيحة التي لا افهم معناها في ظل هذه القاعدة العامة من هذه الآيات قول الله تعالى في سورة التوبة :

﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ وكذلك قوله تبارك وتعالى في السورة نفسها. . ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾. . وحديث الرسول ﷺ. . (جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من عاداني). . . وكذلك سيرته في الكتب التي بعثها إلى ملوك الفرس والروم والمقوقس يقول لهم. . . (أسلم تسلم وإلا فعليك ذنب قومك). . وغيرها. . فإنها جميعا تعطي الانطباع بإن الإسلام يسعى إلى الانتشار واعلاء كلمة الله في جميع الارض وإن لم يتعرض له أحد فإنه هو الذي يدخل البلاد الأخرى ليفتحها. . ومعنى الآية أن الله اذن للمؤمنين بقتال من ظلمهم مع أن الله قادر على نصرهم دون قتال ولكنه تبارك وتعالى يريد لهم أن يقاتلوا. . وبعد هذه الآية بشهر وقعت غزوة بدر الكبرى والتي كانت موجهة للذين ظلموا المسلمين واستولوا على اموالهم وطردوهم من ديارهم. .

ـ هذا موضوع مهم واساسي ومبدئي في الشريعة الاسلامية ومع ذلك كثر فيه كلام المتكلمين الذين تناولوه من زاوية سياسية بعيدا عن أدلة الكتاب والسنة. . وحتى يتضح الموضوع ينبغي أن نرجع إلى المراحل التي مرت بها الشريعة الاسلامية وكذلك حياة الرسول ﷺ.

● المرحلة الاولى. . المرحلة المكية وفيها أمر المسلمون بالصبر على الأذى وكف الأيدي في مثل قوله تعالى. .

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة﴾. .

وكذلك قوله ﷺ عندما كان يقترح عليه بعض اصحابه القتال (لم أؤمر بعد)

أو (إني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم). . فهذه هي المرحلة المكية واستمرت إلى أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة. . .

● المرحلة الثانية. . وتبدأ بنزول قوله تعالى. . ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ تفسير ابن كثير (وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف : هذه أول اية نزلت في الجهاد).

● المرحلة الثالثة. . وهي مقاتلة اليهود والنصارى. . وهي أيضا جاءت في سورة التوبة في الآية التي ذكرتها أنت في بداية الحديث. . ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ جاء في تفسير ابن كثير (امر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس ألى ذلك واظهره لهم). . وبرر الله قتال أهل الكتاب بالآية التي تليها مباشرة بقوله عز وجل. . ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون﴾. .

جاء في التفسير (وهذا إغراء من الله تعالى باليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى) ولكن جعل الله لأهل الكتاب خيارا ثالثا وهو اعطاء الجزية فإما الإسلام وإما إعطاء الجزية أو القتال. . . ولذلك بعث الرسول ﷺ الكتب إلى هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر وكسرى ملك الفرس وعقد لواء الروم إلى اسامة بن زيد وتوفي الرسول ﷺ على ذلك فأنفذ أبو بكر جيش الروم من بعده وكذلك فعل عمر بارساله الجيوش إلى الشام وبلاد فارس. . واصبحت رسالة المسلمين عامة لاهل الارض بأن يعطوا اليهود والنصارى والمجوس (عبدة النار) خيارات ثلاثة إما الإسلام أو الجزية أو القتال. . وأدلة ذلك واضحة من القرآن والسنة وسيرة الرسول ﷺ والصحابة. . مثل قوله تعالى. . ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ أي ظاهر على وجه الارض. . وكذلك قوله. . ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وحديث الرسول ﷺ (أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وأجرهم على الله). .

توقفت قليلا انتظر تعليقه. .

ـ والله لقد وضحت لى الصورة وتجلت في ذهني الأمور. . ولكن أخبرني كيف الحل اليوم. . ؟

ـ أولا وقبل أن نتحدث عن أحوال المسلمين اليوم ينبغي أن تعلم ان عقيدة المسلم في القتال هي كما ذكرت لك آنفا وهذا باق إلى يوم القيامة كعقيدة لكل مسلم ولكن تطبيقها العملي يحتاج إلى تفصيلات أكثر وأدق وليس هنا مجال التفصيل الفقهي لقضية الجهاد وأما عن حال المسلمين اليوم . . . فعقيدة المسلم أنه إذا ما اغتصبت أرض إسلامية وانتهكت حرمات المسلمين في أي مكان كان لزاما على جميع المسلمين ـ أي فرض عين عليهم جميعا أن يقاتلوا أعداء الإسلام والمسلمين ونحن اليوم لسنا في هذه مرحلة بل في مرحلة اسوأ منها بكثير. . فليست أرضنا مغتصبة وحسب. . . وليست حرماتنا منتهكة. . وحسب وليست ديارنا مهددة وحسب . . بل إننا يقتل بعضنا بعضا ويسلب بعضنا بعضا. . بل إن بأس المسلمين فيما بينهم اشد من بأسهم مع اعدائهم. . وهذه إحدى سنن الله وقوانينه الكونية التي اخبرعنها الرسول حين قال. . (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) . . وكذلك في الحديث الاخر الذي يقول فيه الرسول ﷺ (إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) .

والتبايع بالعينة نوع من انواع البيوع المحرمة مثال على انتشار المعاملات المالية اللاشرعية واتباع اذناب البقر والرضا بالزرع كناية عن الإهتمام بالدنيا والانشغال بها. . . وكذلك هناك الأسباب المادية كالعلم والسلاح والخطط وغيرها . . وهذا كله غير متوفر عند المسلمين فحال المسلمين اليوم دركات بعيدة عن مرحلة الجهاد في سبيل الله . .

ـ أظن ان موضوعا كهذا يحتاج الى بيان لعامة المسلمين حتى لا تلتبس عليهم دعوة الإسلام إلى السلام المطلوب وأستسلامهم للذل والهوان . .

ـ صدقت يا صاحبي . . وكذلك موضوع القتال يحتاج إلى بصيرة وفقه في كيفية تطبيقية فلا ينبغي لمسلم أن يظن أن المسألة عشوائية . . بل هي قضية ذات ضوابط واضحة محددة وإذا لم يلتزم المسلمون بضوابطها أصبحت فوضى ولم تكن (ذروة سنام الاسلام) . . . فقضية الجهاد كأي مسألة عقائدية أخرى أمر الله بها وشرعها وكذلك بين وشرح كيفية تحقيقها وتطبيقها حتى تكون عبادة حقيقية . .

ـ وماذا تقول عن دعوة (اغصان الزيتون والبنادق) . .

ـ لا أقول إلا انها دعوة لا أصل لها في شريعة الله . . . إن كان اصحابها يريدون بها الوصول إلى القدس وإلى المسجد الأقصى فإنهم أبعد ما يكونون عن

الواقع . . وكل ما يفعلونه هو تلوين زاه لأحلامهم والقدس سترجع دون شك ولكن ليس على أيدي اصحاب هذه الدعوة. . . وهذه عقيدتنا من الكتاب والسنة . . فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

اليهود

لم نجتمع كما تواعدنا في المرة السابقة. . فما إن إلتقى بي في الممر حتى ذكرنى قائلا : ها ما حصل على تكملة قصة اليهود.

ـ دعني أحضر كوب القهوة وألحق بك في المكتب لإكمال الموضوع.

أخذ كل منا مكانه. . فسألته أين توقفنا المرة الماضية.

لم يحاول ان يتذكر وأجاب مباشرة : نريد ان نبدأ فصلا اخر. . ما قصة الهيكل. . هيكل سليمان. .

ـ تعاقبت الانبياء على بني اسرائيل فكان فيهم داود (عليه السلام) ثم سليمان. . وقد بني سليمان بناء لعبادة الله فلما غزا البابليون بني اسرائيل هدموا البناء وازالوه، ثم غزا الفرس البابليين وتركوا لبني اسرائيل بناء (الهيكل) ثم انتصر الروم على الفرس وهدموه وحولوه الى مكان للقمامة.

وبعد ان فتح المسلمون بيت المقدس بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد في نفس الموضع تقريبا . . هز صاحبي رأسه. .

ـ لذلك هم يريدون هدم المسجد الاقصى ليبنوا هيكل سليمان. . .

ـ إن مواقف اليهود مع المسلمين ترجع إلى بعثة الرسول ﷺ. . حيث انهم كانوا دائما في جانب الكفار يزودونهم بالاسئلة (لإحراج) الرسول. . فهم الذين طلبوا من الكفار ان يسألوا الرسول عن (الخضر) وعن (ذي القرنين) وعن (الروح). . وكانوا يقولون للكفار. . . (هذا كذاب وليس بنبي ولم يذكر في كتبنا التي فيها ذكر الأنبياء جميعا). .

وعندما قدم الرسول ﷺ المدينة عاهدهم. . وكان لهم نفوذ على العرب حيث أنهم كانوا يملكون التجارة ولهم اسواق كبيرة للسلاح وكان اشهرهم كعب بن الاشرف. . وكانوا يعيشون في حصون في مناطق حول المدينة أشهرها خيبر وكانت مؤنهم دائما في هذه الحصون. . وأظن أنك تعرف كيف أنهم حاولوا أكثر من مرة قتل الرسول ﷺ . . . وآخر محاولاتهم كانت الشاة المسمومة التي بعثتها له احدى اليهوديات. . وأكبر عهد نقضوه مع المسلمين هو ما حصل في غزوة الخندق حيث انهم كادوا ان يتسببوا في انتصار الكفار وانكشاف المسلمين. . ولكن الله سلم. . .

سألني : ولكن بقى اليهود في المدينة بعد عهد الرسول ﷺ :

ـ نعم بقى بعضهم.. وكان العهد أنهم يبقون الى ان يشاء المسلمون.. وفعلا طردهم عمر بن الخطاب بعد ذلك فلم يبق أحد منهم في جزيرة العرب.

ـ وهل اليهود اليوم هم نفس اليهود سابقا.. الذين جعل الله منهم القردة والخنازير.

ـ نعم.. هم أولئك.. وبالمناسبة.. لانقول أنهم نسل القردة والخنازير لان الذين مسخوا قردة وخنازير ماتوا وانتهوا.. ولكن هؤلاء يهود يعتقدون نفس العقيدة.. ويحملون نفس الافكار.. فهم يؤمنون بالقومية اليهودية وأقاموا دولتهم على هذا الاساس.. ويرون أنهم أفضل الامم وأنهم خير الناس وأن دينهم خاص بهم ولا أحد يدخل في هذا الدين إلا جنسهم الراقي وهم يقصرون دينهم على انفسهم ولا يفتحونه لمن شاء ان يدخل فيه.

قال صاحبي وقد ابدى (استمتاعه) بالحديث.

ـ وما مصيرنا معهم.. أعني كما يحيكها القرآن؟

ـ أخبر الله تعالى في سورة الإسراء بأنه كلما نهض اليهود وعلوا في الارض وسادوا بعث الله (عباداً له) يذلونهم ويخذلونهم وذلك لمواقفهم وعقائدهم في الله وفي الدين وفي الرسالات والرسل ولإفسادهم في الارض وظلمهم الشعوب الاخرى... واخبر الرسول ﷺ.. بانه (لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقول الشجر والحجر يا عبدالله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله) واخبر الله تعالى أنهم ينقضون العهود والمواثيق فلم يحفظوا عهودهم مع الله ولا مع الانبياء ولا مع الرسول ﷺ والمسألة كلها مسألة وقت.. وبهذا نعرف مصير معاهدة الكمب وما سيأتي بعدها من (معاهدات سلام)..

لنأتمر في الاقصى

في طريق عودته من رحلة خلوية وعندما اقترب من مدخل منطقة بيان على الطريق الدائري الخامس سأله ابنه الذي بلغ العاشرة لتوه : ما هذا البناء الكبير يا ابتي؟

ـ هذا قصر المؤتمرات . .

ـ ماذا يفعلون في هذا «القصر»؟

ـ إذا انعقدت اجتماعات أو مؤتمرات فإن الرؤساء والزعماء يجتمعون فيه . . فهذا (القصر) يحتوي على قاعات للاجتماعات وصالات للراحة . كما انه يحتوي على نظام متكامل للاتصالات والامان فالدولة صرفت مائة مليون دينار . . لانجاز هذا العمل الضخم .

ـ ولماذا يجتمع الرؤساء والزعماء؟ وماذا يفعلون في هذه المؤتمرات؟

ـ يجتمع الرؤساء لبحث مشكلات الامة العربية والاسلامية . . فمثلا سينعقد مؤتمر القمة الاسلامي العام المقبل أو الذي يليه ويحضر زعماء الدول الاسلامية ليبحثوا مشاكل المسلمين ويضعوا لها الحلول . .

ـ لماذا لا يضعون الحل لمشكلة فلسطين !

ـ ستكون قضية فلسطين والمسجد الاقصى من أهم القضايا التي يبحثها الزعماء ، عادة هي اولى القضايا .

ـ ولكن ألم يجتمع الرؤساء من قبل ويبحثوا قضية (المسجد الاقصى)؟

ـ نعم ولكنهم لم يصلوا الى حل . .

ـ وهل سيصلون هذه المرة؟

ـ لا اظن . . ولكنهم سيجتمعون ويبحثون ويناقشون . . ويأتي الفرج بعد ذلك . .

ـ سمعت ان رسول الله ﷺ اعتبر المسجد الاقصى من افضل المساجد بعد مكة والمدينة ؟!

ـ نعم يا بني . . والصلاة فيه بالف صلاة . . والمسلم لا يسافر لنية العبادة والتقرب الى الله إلا إلى المسجد النبوي او الحرم الشريف بمكة او المسجد الاقصى بفلسطين . . وكان المسجد الاقصى القبلة التي يصلي تجاهها المسلمون قبل ان تتحول القبلة الى الكعبة في مكة . . والرسول ﷺ زار المسجد الاقصى في رحلة الاسراء من

مكة . . وهناك من المسجد الاقصى ارتفع الى السماء السابعة حيث اوحى اليه الله ما اوحى وحيث رأى من آيات الله تعالى وفرض الله الصلاة على امته في تلك الرحلة . .

ـ هل حصل ذلك حقيقة للرسول ﷺ ام كان حلما؟

ـ بل حصل له حقيقة . . فالله تبارك وتعالى جعل الرسول ﷺ يركب (البراق) في الليل بمكة وتوجه إلى فلسطين ودخل المسجد الاقصى ثم صعد الرسول ﷺ بعدها إلى السماء السابعة ثم رجع إلى المسجد الاقصى ثم الى مكة في ذات الليلة . . . وهذه احدى معجزات الرسول ﷺ التي جعلت بعض الناس يزداد إيمانا به وبعضهم يكذبه ويزداد كفرا به . .

وحديث الاسراء ثابت في القرآن وحديث المعراج (الذي هو الانتقال من المسجد الاقصى الى السماء السابعة) ثابت في السنة الصحيحة والمسلم مطالب ان يؤمن بهما، ويعتقد انهما حصلا للرسول ﷺ حقيقة لا مناما ولا مجازا . .

ـ الله قادر على ان يفعل اي شيء لمن شاء من عباده ولكن سمعت الاستاذ يقول أن بعض الناس لا يؤمن بمسألة المعراج لأن درجات الحرارة في طبقات الجو العليا لا يحتملها انسان . . . وطبعا هذا خطأ لان الله قادر على ان يجعل نبيه يصل إلى حيث شاء . . ورددت عليه بأنه ما دام أن الحدث (الاسراء والمعراج) قد ثبت في السنة الصحيحة فيجب علينا أن نؤمن به وإن لم تطقه عقولنا . . فقال لي كلامك صحيح . .

ولكن لنرجع الى قاعة المؤتمرات تلك يا ابتي . . لماذا لا يذهب الزعماء المسلمون والقادة ويجتمعون في القدس عند المسجد الاقصى ان كانوا يريدون حل مشكلة الاقصى؟

ـ المسجد الاقصى محتل من قبل اليهود . . ثم هز اسعد رأسه حسرة ونظرا الى ابنه متمنيا ان يتمكن هذا الطفل من الصلاة في المسجد الاقصى .

في ذكرى الاسراء

دخلت البيت فوجدت الأطفال متحلقين حول طاولة الطعام.. ووضع بعضهم وسادة على الكرسي حتى يتمكن من ان يتناول طعامه.. وجلس بعضهم على الطاولة.. فكانت فرصة أن أشاركهم العشاء خاصة وأنني أحسست أنه قد مضت فترة طويلة منذ جلسنا جميعا مع بعضنا البعض. وبعد أن سلمت عليهم سألتهم :

ـ ما رأيكم أن اقص عليكم قصة؟ صاحوا جميعا مبتهجين.. نعم.. نعم..
وما ان هدأت الاصوات قليلا حتى رفع الصغير صوته :

ـ بابا اشتر لي سيفا..

ـ وماذا تريد أن تفعل بالسيف؟

ـ سنحتفل في الدراسة يوم الثلاثاء المقبل...

فقالت اخته : ونحن ايضا عندنا حفلة في المناسبة نفسها.. والاربعاء عطلة اليس كذلك يا ابي...

لم أكن أدري المناسبة فسألتها : ولم العطلة يا شيماء؟

ـ يقولون الاربعاء ذكرى الاسراء والمعراج..

ـ آه... نسيت صحيح يوم الاربعاء الاسراء والمعراج...

فسألت الكبرى منهن :

ما الاسراء والمعراج؟

ـ الم تحك لكم امكم قصة الاسراء والمعراج.

فاجاب بعضهم بالايجاب وبعضهم بالنفي... قلت انا سأحكيها لكم.. كان الرسول ﷺ يدعو الكفار للاسلام وان لا يعبدوا الاصنام.. وان يسمعوا كلام الله تعالى.. فكثير منهم لم يسمع كلامه.. ولم يتبع اوامر الله.. فحزن الرسول ﷺ حزنا شديدا لانهم لم يطيعوا كلام الله.. فارسل الله اليه حيوانا يشبه الحصان ولكن ليس حصانا وله جناحان فركبه الرسول ﷺ وطار به من مكة الى المسجد الاقصى...

سألت : اين المسجد الاقصى !

ـ في فلسطين..

ـ هل يذهب المسلمون للحج هناك مثل الكعبة؟
ـ كلا يا ابنتي. . المسلمون يحجون الى الكعبة فقط ولكن يذهب المسلمون لزيارة المسجد الاقصى والصلاة فيه. . ولكنهم الآن لا يستطيعون الذهاب لان اليهود يحتلون المسجد الاقصى ولا يسمحون لهم. .
ـ لماذا لا نطرد اليهود من المسجد الاقصى ونذهب اليه؟
ـ يا بابا. . المسلمون يجب ان يطيعوا كلام الله ويحاربوا اليهود ويطردوهم من المسجد الاقصى. . . ولكن الكفار والذين يساعدونهم اقوى من المسلمين الان. . لأن المسلمين لا يسمعون كلام الله ولا يطيعون اوامر رسول الله. .
ـ انا لا احب الكفار ولا اليهود. . واكرههم كلهم. . وإذا كبرت أتمرن لأصير قوية واغلبهم. . .
ـ لنكمل القصة بابا. .
ـ نعم لنكمل القصة. . وبعد ان وصل الرسول ﷺ الى المسجد الاقصى صلى فيه. . ثم صعد الى السماوات. . الاولى ثم الثانية ثم الثالثة. . الى السابعة. . ورأى الانبياء الذين كانوا قبله. . وعندما وصل السماء السابعة أمره الله ان يعلمنا ان نصلي خمس مرات في اليوم. . ثم نزل الى المسجد الاقصى ورجع إلى مكة في الليلة نفسها. .
ـ هل ذهب ورجع بسرعة؟
ـ نعم. . ذهب بالليل ورجع بالليل. .
ـ الحصان الذي ركبه اسرع من السيارة؟
ـ نعم. . لأن السيارة حتى نذهب الى فلسطين تحتاج يوما كاملا والرسول ﷺ ذهب ورجع في الليلة نفسها. .
ـ ولما رجع ماذا حدث؟
ـ في الصباح حكي ﷺ ما حدث له بالليل على الناس ولكن الكفار لم يصدقوه واخذوا يضحكون منه ويقولون انه كذاب. . . ولكن صدقه ابو بكر رضي الله عنه ولذلك سموه ابابكر الصديق.
ـ هل كان الرسول يحب ابوبكر الصديق؟
ـ نعم كان ابوبكر احب الناس الى الرسول ﷺ وكان يساعده ويعينه ويسافر معه ويدافع عنه. . فكان الرسول ﷺ دائما مع ابي بكر لأنه كان احب الناس اليه.
ـ بعد. . ماذا حصل؟

ـ طبعا. . آمن بعض الناس وصدقوا الرسول ﷺ ولم يؤمن اناس اخرون وبقوا على كفرهم ولكن الله قال في القرآن الكريم انه (أسرى) بالرسول. . يعني امر بأن يذهب من مكة الى المسجد الاقصى فنحن نؤمن ان هذا حصل للرسول ﷺ وكذلك نؤمن انه صعد الى السماوات كلها. . وأنه سمع أمر الله بان يعلمنا الصلاة. . ولكننا لا ندري اي ليلة حصل فيها الاسراء يعني يمكن انه حصل في تاريخ ٢٧ رجب أو غير ٢٧ رجب لأننا لا ندري متى حصل بالضبط.

ـ لماذا نعمل حفلة في الاسراء والمعراج؟

احترت كيف اجيبها. . وبعد تردد :

ـ نحتفل حتى لا ينسى الناس هذه الحوادث العظيمة التي حصلت في زمن الرسول ﷺ وحتى نتقوى على سماع كلام الله وكلام الرسول وحتى نقوي صلتنا. . ولكن يجب ألا نحتفل بالأغاني والرقصات ولكن نحتفل بأن نذكر أن المسجد الاقصى لنا نحن المسلمين واننا يجب ان نخرج اليهود منه وان نحاربهم وحتى نستطيع ان نطردهم من فلسطين يجب أن نسمع كلام الله ونطيع رسوله حتى يقودينا الله ويساعدنا وينصرنا على اليهود. . ونحرر القدس الحزين.

الانتفاضة

سألني مستنكرا . . لماذا لا تتناول قضية الانتفاضة في كتاباتك او خطبة الجمعة او نقاشات الديوانية . . وكأنك «ضد» الانتفاضة ؟

ـ وما ادراك أني لم اتحدث عنها . .

ـ لا أدري . . ولكن كلما حاولت الحديث معك عن هذا الموضوع يتحول الحديث إلى شيء آخر دون أن أشعر . .

قلت بشيء من الهدوء الحزين . .

ـ إن المرء ليخجل أن تكون مساهمته «كلمات» او أحاديث ديوانيات أو خطب أو حتى تبرعات مادية . . إن الواجب تجاه هذا العمل أعظم وأكبر، إن الواجب أن نكون هناك سواء بالمفهوم الشرعي أو العقلي أو القومي أو أي مفهوم شئت . .

اكتسب الحديث شيئا من الجدية فسألني :

ـ ماذا عن المفهوم الشرعي؟!

سألته: هل تعرف مكانا في الارض أعظم شرفا واكثر حرمة من الكعبة؟

ـ لا . .

ـ ذات مرة نظر الرسول ﷺ إلى الكعبة وقال: «وما أعظمك وما اعظم شأنك عند الله . . والذي نفسي بيده لدم امرىء مسلم أعظم عند الله منك» . .

وكم من امرىء مسلم يستباح دمه في هذه الانتفاضة وكم من حرمة اسلامية تنتهك في هذه الانتفاضة . . ثم هل تعرف قصة «وامعتصماه» او «واسلاماه» . . ألم تطلق هذه الصيحة . . امرأة في اقصى الارض فتحركت الجيوش من كل مكان استجابة لهذه الصيحة على ما كان من ضعف في الدولة الاسلامية وتفكك في كيانها . .

ثم لماذا نذهب بعيدا في الزمان أو المكان ماذا يقول الله تعالى في سورة التوبة . .

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ . . أي إنه لا يمكن أن يتساوى عند المسلم هذان العملان . . وهما . . خدمة الحجاج بالسقاية والخدمات في بيت الله الحرام والجهاد في سبيل الله . . فالمسلم ليس له أن يخدع نفسه

ويظن أن خدمة الحجاج وفرش المساجد بالرخام والديباج يعفيه عند الله من الجهاد في سبيل الله . . هذا إذا كان الجهاد لنشر الدعوة وإعلاء كلمة الله . . أما إذا كان استرداد حق ودفع ظلم وإعانة مسحوق فإنه بلا شك أولى وأبدى وأعظم عند الله . . ولذلك قال تعالى: ﴿لا يستوون عند الله﴾ وكذلك لا ينبغي أن يستووا في عقيدة أي مسلم صحيح الايمان بالله يعلم أولويات الاسلام وسيرة الرسول ﷺ . . ابتسم صاحبي . . متعجبا من حماسي . .

تابعت قائلا: هل تعلم أن الله وعد «أطفال الحجارة» بالنصر إن هم اخلصوا النية لله . .

قال: وكيف . ؟!

ـ عندما قال تعالي: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فهذا هو الشرط المادي للنصر . . إعداد وتسخير كل ما يمكن اعداده . . و«رجال الحجارة» لم يجدوا إلا حجارة الارض «فاعدوها» . . وقنابل «البيض الحارقة» فاستخدموها . . فحققوا الشرط الأول للنصر . . والشرط الثاني . . اخلاص النية لله . . وهذا بالطبع واضح من هتافاتهم وشعاراتهم بالتكبير والتهليل وانطلاقاتهم من المساجد عقب صلوات الجمعة . . ولكن في الجانب الاخر صار «رجال الحجارة» . . ضوءا كاشفا بين الرجال و «اللارجال» وأصحاب الحمية والنخوة واولئك الذين لم يفقدوا دينهم فقط بل فقدوا حميتهم ونخوتهم . . والله لقد اسكتوا أفواه كل الذين كانوا ينادون بالجهاد . . وكشفوا الحقائق أمام الأعين وحولوا النظريات إلى واقع .

من وحي الهجرة

عندما أمر الله رسوله ابراهيم ﷺ بالهجرة الى ﴿واد غير ذي زرع﴾ امتثل إبراهيم أمر ربه وهاجر إلى ذلك الوادي الذي خلا من كل رموز الحياة بل وتمثلت فيه رموز الموت. . جبال من كل جانب. . . صحراء قاحلة لا يقطع صفرتها الا سواد صخور الجبال. . وهناك ترك نبي الله ابراهيم ﷺ ابنه الوحيد الذي رزقه الله اياه بعد كبر وشيبة ترك ابنه وزوجته. . . امتثالا لامر الله تعالى.

إن هذا العمل من إبراهيم (المؤمن) يعتبر ضربا من الجنون عند كثير من (مسلمي) اليوم. . ولكنه الاعتقاد الجازم واليقين الثابت بأن الامر الذي يكون من عند الله لا ضرر من وراءه وإن كان في ظاهره مخالف لفطرة الانسان وسجيته.

وعندما هاجر نبينا محمد بن عبدالله ﷺ من مكة الى المدينة ووقف عند مشارف مدينته مودعا فقال «والله إنك لأحب بقاع الله إلى قلبي ولولا أن أهلك اخرجوني منك ما خرجت». . إن فطرة الانسان تأبى عليه ان يترك التراب الذي تذوقه في صباه. . ويصعب عليه مفارقة الارض التي التصق بها منذ طفولته. . ولكن إذا كان أمر الله هو ترك كل هذا فأمر الله فوق كل شيء.

فأول درس ينبغي ان نعيه من الهجرة ان (الامر كله لله). . إذا أمر بشيء فليس للعبد الا الانصياع ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم﴾. . وهذا المعيار ـ معيار الانصياع لاوامر الله وقبولها ـ هو الذي يفرق حقا بين الناس في مدى ايمانهم. . فكثير من الناس يتقاربون في العبادات والاعمال وتطبيق ظاهر الأوامر الشرعية. . ولكن قبولهم لأوامر الله يختلف اختلافا كبيرا ويتباين تباينا شديدا. . . وما اكتسب أبو بكر صفة الصدق إلا بتصديقه للرسول ﷺ وقبوله الخبر عندما أسري به من مكة إلى بيت القدس ثم عرج به إلى السماوات العلي. . .

أما الدرس الآخر الذي ينبغي أن نعيه من هجرة الرسول ﷺ فهو أهمية اتخاذ الاسباب المادية لانتصار الحق على الباطل. . فصراع الحق والباطل كان وسيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها. . وكان في قدرة الله أن يقول بنصر الرسول ﷺ في مكة فينتصر. . . ولكنه أراد له أن يهاجر ويجمع حوله المؤمنين ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾. . وجهز في المدينة المنورة أسباب النصر من نظام سياسي قائم

على شرع الله ونظام اقتصادي يطبق أوامر الله ونظام اجتماعي وفقا لوحي الله ونظام عسكري وفق (أحدث) ما توصل إليه زمانه وعلى قدر استطاعته وامكاناته. . . ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ فكان أن كتب الله لهم النصر. . لقد كان الرسول ﷺ يعلم أنه سينتصر وكان المسلمون يعلمون انهم غالبون. . ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاءالله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾.

لقد كانوا يعلمون ذلك بل وموقنين به. . ولكنهم أعدوا العدة. . وكونوا الجيوش وقاتلوا فقتلوا وقتلوا وانتصروا وهزموا وهكذا أراد الله لهم ألا يدخلوا مكة منتصرين الا بعد ثلاث عشرة سنة من الإعداد الصادق واستنفاد كل الطاقات المتوفرة.

اليوم ونحن نعاني من سلب الاراضي وانتهاك الحرمات وضياع المقدسات اليوم ونحن نعيش الضياع. . كل ما تحتاجه هذه الامة (هجرة). . هجرة فيها (مهاجرون) و(انصار). . مهاجرون صادقون مخلصون يبتغون وجه الله تعالى. . وانصار مستعدون لبذل كل شيء لاجل الله تعالى. . نحن بحاجة الى (هجرة) بعيدة عن القصائد الشعرية والمطولات النثرية. . نحن بحاجة الى (هجرة) بعيدة عن تحقيق رغبات اهل السلطة والسطوة. . . لا اظن اننا استبقينا من (هجرة) الرسول ﷺ الا يوما لا عمل فيه و(احتفالات) و(اغنيات) دينية.

السمع والطاعة

قالت.. انتم ايها المتدينون لا تعملون عقولكم وإنما تنظرون للأمور بسطحية وميكافيلية..

ـ قاطعتها... اسمحي لي.. فانني لا أعرف معنى كلمة «ميكافيلية».

ـ قالت.. أي أنكم ترون الجانب النظري في جميع القضايا.. تأخذون قضية البنوك التجارية مثلا وتقولون أن (درهم الربا أشد من ست وثلاثين زنية) وان التعامل بالربا معناه (حرب من الله ورسوله) وأن انهيار الاقتصاد يرجع إلى الربا.. ولا تفكرون في النظام الاقتصادي الدولي وكيف يمكن تطبيق نظام اقتصادي إسلامي في ظل «الواقع».. وهكذا تتعاملون مع جميع القضايا..

ـ قلت.. إنك تتحدثين وكأنك قرأت كل كتب الاسلاميين وناقشت جميع أصحاب الاتجاه الديني وتعاملت مع جميع فئاتهم...

قالت.. لا داعي أن أفعل كل هذا حتى أصل إلى تلك النتيجة.. فأطروحاتكم العامة تقول ذلك.. تقولون أن كل مشكلة حلها في كتاب الله وسنة رسول الله.. ولكن ما دور الواقع في هذا الحل.. هل تعتقد أنت مثلا انه لو قام رجل وقال سأحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بانه (سينقلب التراب ذهبا بين يديه) وستحل جميع مشكلات المسلمين..

ـ أجبتها.. أنا لم أقل ذلك ولم أقرأ كتابا قال ذلك.. ولم أسمع أحدا يزعم ذلك.. فهناك فرق واضح بين أن أدعو إلى تحكيم كتاب الله وبين أن تحل المشاكل الواقعية للمسلمين... وهذه النقطة أوضح ما تكون في أذهان أصحاب الإتجاه الاسلامي.. وحياة الرسول ﷺ.. أوضح دليل على ذلك فهو لم يقم النظام السياسي إلا بعد أن توافرت مقومات الدولة ـ كما يقولون في العلوم السياسية ـ ولكنه منذ أول يوم كان يدعو إلى تحكيم شرع الله والرجوع إلى كتاب الله والوحي الذي ينزل عليه.. أظن أن صورة الوصول إلى حلول مشكلات المسلمين واضحة ومحددة في أذهان أصحاب الاتجاه الاسلامي اكثر من اي اتجاه اخر.

ـ قالت.. هل تعني أن هناك فرقا بين تصريحاتكم وخطط عملكم؟! قالتها ساخرة...

ـ أجبتها.. من الخطأ ان تدخلي في نقاش هذا الموضوع وقد اتخذت موقفا

مسبقا. . على أية حال هناك كتابات ودراسات حول كيفية تطبيق النظم الإسلامية إنطلاقا من الواقع. . ولكن أود أن أنبه إلى قضية عقائدية. . وهي أن التصديق بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ليس مجرد تصديق نظري. . بمعنى أنه عندما يخبر الله تعالى أن عزة الأمة تكمن في طاعة الله واتخاذ أسباب القوة والجهاد في سبيل الله. . . فإن التصديق بهذه الحقيقة ليس مجرد نظرية يؤمن بها المسلم. . بل يعلم علم اليقين أن وعد الله متحقق إذا توفرت الأسباب. . . والقرآن بهذا المفهوم لا يؤخذ على أنه كتاب تعبد وألوهيات ونظريات بل كتاب عملي. . للفرد. . والمجتمع. . والأمة. . ولا يقول أحد أن تطبيق حكم الله يكون بين يوم وليلة وترضخ الدنيا بعدها للبلد الذي يطبق حكم الله. . فهذا لم يحصل حتى لأفضل من يمكن أن يطبق شرع الله ـ الرسول ﷺ بل إن الرسول اعلن قيام نظام سياسي ديني ـ كما المصطلح الحديث ـ وطبق هذا النظام ضمن حدوده السياسية. . . واتصل بالنظم السياسية الأخرى القائمة. . وعاهد بعض الفئات الاخرى. . وعندما أعلن الحرب. . قاتلته النظم الاخرى. . واشتد القتال واستشهد عـدد كبير من المسلمين. . . وهكذا الحال دائما. . وهكذا الحياة. . الطريق نحو تطبيق الشريعة صعب وشاق وطويل. . . وقد يصل المرء إلى بعض النجاح وقد لا يصل. . وليست النتيجة هي الهدف بالنسبة للفرد المسلم ولكن الهدف هو أن يسعى وينادي بتطبيق الشريعة لأنه ملزم كمسلم أن يعتقد ذلك ويعمل من أجله. . ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾. . وإذا قام النظام السياسي الاسلامي الصحيح فإن له قوانينه السياسية الواضحة المحددة وكذلك له أطره الإقتصادية المحددة الواضحة ولو لم يكن الأمر ممكن التطبيق في الواقع لما أمرنا الله به أبتداء وهكذا عقيدتنا. . .

الحدود الشرعية

ـ هل تطبيق الشريعة لا يمكن الا بتطبيق الحدود... ثم كيف يمكن قطع الايدي ورجم الزاني في زمن بلغ ما بلغ في ميدان التقدم والحضارة... قالها منفعلا.. مصرا على رأيه بعدم تطبيق الحدود.. لم احاول أن أهدئه.. قلت بنفس طريقته.

ـ ما رأيك.. تعال نترك الاسلام.. بلا إسلام... بلا وجع رأس.. تعال نعش يومنا.. وإذا متنا (يحلها ألف حلال)..

ـ اتسخر من منطقي؟

ـ كلا.. اني جاد فيما اقول.

ـ وكيف يمكن أن يتخلىٰ أي منا عن دينه.. إن الحاجة إلى دين قضية فطرية.. فمهما وصل الإنسان ومهما بلغ لن يستطيع أن يتخلى عن حاجته الفطرية للدين والاله...

ـ ولكنني لم أقل تعال نتخلى عن الدين.. قلت تعال نتخلى عن الاسلام لنبحث عن دين آخر؟!

ـ وما الداعي الى دين آخر وعندنا الاسلام وولدنا مسلمين؟!...

ـ أظن ان من يعرف الإسلام... يقول أنه لا يمكن ان نجزأ هذا الدين إما أن نأخذه كله... معتقدين أنه شريعة كاملة لا نقص فيها ولا قصور... وإما أن نتركه.. فاخذنا بجزء وتركنا لاخر ـ يقولون ـ أنه كفر ...

ـ أنا لا اناقش هذه القضية الان... ما أقوله أنا إن تطبيق الحدود الشرعية ـ من قطع يد او رجم او قطع رجل ـ هذه الامور (غير مقبولة) ولا يمكن تطبيقها...

هدأ قليلا في نقاشه.. فهدأت...

ـ تعال نبدأ من نقطة صحيحة... اولا... هل تعتقد أن اسلام دين كامل وشريعة كاملة تصلح لكل زمان ومكان ولا نقص فيها ولا عيب..؟

ـ نعم أعتقد ذلك واؤمن به..

ـ ثانيا.. اذا كان نظام العقوبات ـ الحدود ـ جزءا من الشريعة الاسلامية... الا تعتقد انه نظام كامل وصحيح وصالح لكل زمان ومكان؟!.

ـ ولكن لا يمكن تطبيقه اليوم...

ـ أنا لم أتكلم عن التطبيق. . نظام الحدود الذي هو جزء من الشريعة أليس هو نظام صحيح لا نقص فيه. . بل ونظام رحيم لأنه جاء لخير الناس والمجتمعات. . اليس كذلك؟.

ـ لنفترض ذلك.

ـ لا أريدك أن نفترض. . هل تؤمن بذلك وتعتقده؟

ـ نعم. . أؤمن بذلك واعتقده. .

ـ الى هنا ـ والحمدالله ـ ما زلت تحمل العقيدة الاسلامية الصحيحة. . اما قضية التطبيق فهناك أمور ينبغي أن يعلمها كل مسلم. .

ـ أولا. . لا بد ان يعمل أولو الأمر على دفع (اسباب الجريمة). . . ففي عام الرمادة مثلا. . عندما اصابت الناس فاقة وقحط ومجاعة (ارخى) عمر بن الخطاب حد السرقة. . . وذلك ان الذي يجوع و«يأخذ» ما يسد به جوعه لا يسمى سارقا. .

ثانيا. . لا بد من اقامة البينة فلا حد في الإسلام من غير بينة واضحة جلية لا شبهة فيها. . . والرسول ﷺ كان يقول عن إحدى اللواتي اشتهرن بالفساد (لو كنت راجما أحدا بغير بينة لرجمت هذه). . . ولكل عقوبة البينة المنصوص عليها.

ثالثا. . لا بد من العدل والحزم في تطبيق الحدود فلا تفريق بين غني وفقير واصيل ولا اصيل. . بل كما قال ﷺ : «إنما أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. . . والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». . فعدم العدل في التطبيق يؤدي الى (هلاك) الامم. . وليس لولي الأمر التنازل والعفو عن شخص ثبتت في حقه عقوبة شرعية. . لأن الحدود حقوق الله وليس للحاكم او الرئيس. . فمتى استحق الحكم يجب على الحاكم تنفيذه ولا خيار له في ذلك.

رابعا ـ نهى الاسلام عن تعيير انسان بعد توبته ورجوعه عن ذنبه فقال ﷺ (من عير أخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يصبه) بل ان المرأة التي اقام عليها حد الرجم عندما تناثر دمها فشتمها احد الصحابة لسقوط دمها على ثيابه فقال ﷺ : «والله لقد تابت توبة لو وزعت على سبعين من اهل المدينة لوسعتهم» فالحدود في الاسلام تنهي اثار الجريمة في المجتمع وفي (المجرم) ايضا. . .

أما أن ينادي احد يتطبيق الحدود الشرعية دون هذه الضوابط ففي ذلك غلط كبير والله اعلم.

ـ هز رأسه وكأنه اقتنع بالرأي. .

نقاش عن الأديان

.. لقد استملت تساؤلاتك حول الأديان و«الدين الصحيح» وانا شخصيا أرى أنها تساؤلات تراود كثيرا من الناس هذه الأيام.. وخاصة أولئك الذين تعرضوا إلى أكثر من بيئة أو الذين قرأوا ودرسوا أكثر من ثقافة...

واسمح لي أن أقول أن بعض التساؤلات تحتاج اجابتها إلى تفصيل أكثر مما سيرد في هذه الرسالة القصيرة ولكن سأجتهد أن أبين ما استطعت..

اولا.. تقول ان الاديان «وهي في سبيل إقناع أتباعها والناس تعتمد جميعها دون استثناء على الاستدراج العاطفي» ثم ذكرت الدليل على ذلك «بانه لو كان هناك فعلا دين من الأديان له قوة الإقناع المنطقي والعقلي لاعتنقه جميع البشر دون استثناء».

وأظن أنك في ذلك اعتمدت على أن الانسان يتصرف طبقا لما يقتنع به ـ فقط ـ وهذا مخالف لما يقرره علماء النفس والاجتماع من أن كثيرا من الناس يتصرفون طبقا لظروف عاطفية واجتماعية دون أن تكون لديهم قناعات ذاتية بما يجب عليهم أن يعملوا... وهذا مجرب أيضا بيننا أنفسنا... فلو سألنا أصدقاءنا عن الأسباب الحقيقية لتصرفاتهم لوجدنا أن فئة لا بأس بها تعمل أشياء ـ وان كانت غير مقتنعة بها ـ لان المجتمع يفرض عليها ذلك..

ففي الواقع تصرفات الانسان عبارة عن ترجمة لأمور عديدة اهمها قناعته وعاطفته والمجتمع الذي يحيط به... بعض الناس يغلب جانب القناعة الذاتية على الجانبين الآخرين وصنف آخر تغلب عواطفه قناعاته... وصنف ثالث يحرص ان يكون كما يريده المجتمع..

فالإستدلال على عدم وجود أي دين يعتمد على العقل والمنطق في إقناع الناس بتصرفات الناس... اظن ذلك فيه شيء من عدم الدقة...

وبعض الحوادث التي حصلت لمحمد ﷺ تبين ان الادلة العقلية هي التي استخدمت في الاسلام بل ان إيمان الانسان بأن الله موجود وأن محمدا رسول يجب ألا يكون إلا بالدليل العقلي المنطقي.. فقضية عجز البشر عن أن يأتوا بمثل الكتاب الذي جاء به محمد ـ القرآن ـ من ذلك الزمان إلى اليوم وما زال هذا الامر قائما وقابلا للتحدي والإعجاز... ولكن مع ذلك بقي من الناس من لم يؤمن وسيبقى في

الناس من لن يؤمن. . . لأن القضية ليست قضية عقل ومنطق فقط بل هناك العاطفة والمجتمع وغيرها من عوامل تحدد للانسان كيف يتحرك. .

* ثم تقول أن الدين الاسلامي يقول «أنه لا يؤمن الانسان إلا إذا أراد الله له ذلك أي أن الله هو الذي ييسر للانسان الايمان أو عدمه. . إذن لماذا يحاكم الله الانسان على عدم ايمانه بدين معين أو لماذا العقاب إذا لم يؤمن !

وأنا اؤيدك في هذا التساؤل. . . واقول لو كان الانسان لا يملك أن يختار بين الايمان وعدمه فان الحساب والعقاب ليس عدلا. . .

ولكن للإنسان الخيار في أن يؤمن أو يكفر ولا أحد يجبره على احدهما. . .

فالله تبارك وتعالى لا يحاسبنا على الأمور التي لا خيار لنا فيها فهو سبحانه لا يحاسبنا على ألواننا ولا على بلادنا ولا على أشكالنا ولا على لون الشعر ولا على كوننا ولدنا في الكويت او في غيرها. . . لاننا لم نختر هذه الاشياء فكل منا ولد في وقت معين وفي مكان معين وبهيئة معينة لأبوين معينين دون خيار. . . ولذلك لا حساب على هذه الاشياء. . . وهذه جميعها تدخل في الاسلام تحت باب القضاء الكوني. . . أي الأشياء التي لا نستطيع ان نختارها لانفسنا. . . اما الذي سنحاسب عليه فهو ما نستطيع ان نفعله او نتركه. . . فأنت الآن تستطيع بكامل ارادتك ان تقرأ الرسالة او تقف هنا ! ونستطيع ان تمزق الرسالة بعد ان تنتهي منها وتستطيع ان تحرقها. . . . فلك مطلق الحرية في هذه الأفعال وكذلك بالنسبة للايمان. . فان للانسان مطلق الارادة ان يؤمن أو لا وله مطلق الحرية في الطاعة او المعصية وله مطلق الحرية في أن يشرب الخمر أو يتركها. . فهذه الامور التي فيها للانسان القدرة على الفعل والترك هي فقط التي سيحاسب عليها. . . ولكن يأتي الالتباس من الخلط بين علم الله وتصرفات الانسان ولكي تتضح القضية. . . ونأتي بمثل قريب. . . فالمدرس يستطيع ان يعرف كم من الطلبة عنده سينجح ومن منهم سيرسب وذلك بناء على استقراء اعمالهم طول العام. . . وكلما زاد تتبعه لنشاط طلبته كلما كان كان تخمينه بالنجاح والرسوب أدق. . . فهل إذا ظهرت النتيجة آخر العام نقول أنه هو الذي فرض على طلبته النجاح او الرسوب. . كلا. . ولكنه علم النتيجة المتوقعة مسبقاً . . . ولله المثل الأعلى فقد علم الله نتيجة عباده مسبقا. . . وكتب هذا العلم. . . فالمكتوب هو علم الله وليس إجبار الله للناس على الهداية والايمان أو عدم الايمان ! ! فالقاعدة في الاسلام لا حساب الا على ما يستطيع الانسان عمله او تركه فالذي يجبر على شرب الخمر او القتل لا يحاسب ما دام لم يكن له خيار. . . ثم نقول ان المسلمين يقولون ان الاسلام هو الدين الصحيح. . . وكذلك «يقول المسلمون ان الانسان مولود بالفطرة مسلم».

فالقول الاول يحتاج الى تفصيل. . فالاسلام يلزم اتباعه أن يؤمنوا بجميع الأديان السابقة التي أتت بها الرسل نوح وموسى وعيسى وغيرهم حيث ورد في القرآن ﴿قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا والهكم واحد﴾ أي الذي نزل على المسيحيين واليهود. . بل لا يمكن أن يعتبر الانسان مسلما إلا اذا امن بموسى وعيسى وكذلك بالكتب التي أنزلت عليهما على أنها حق من عند الله وحده. . وكذلك ورد في القرآن. . . ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز. . ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ أي أن المسألة ليست بالأماني بأنكم تزعمون أنكم طيبون لانكم مسلمون فقط وكذلك ليس بأماني المسيحيين ولا اليهود ولا غيرهم. . إنما من يعمل صالحا باتباع أوامر الله فهو الصالح وإلا فهو غير صالح مهما كان «دينه». . .

وأما ما يقوله المسلمون بأن كل إنسان يولد على «الفطرة» وليس على «الاسلام» فمعناه أن كل إنسان يولد ولديه القدرة للوصول بان هناك إلها او كما يسميها غير المؤمنين «قوة» تسير هذا الكون وفق نظام معين. . . ولو أنه بقي على فطرته فإنه سيتوصل إلى وجود اله واحد لا ثاني له ولا ثالث منفرد بتصريف شؤون الكون وفق خطة محكمة وضعها هو سبحانه، هذه هي الفطرة ولكنه لن يكون مسلما بهذا. . . فان الفطرة لن تؤدي به الى معرفة اركان الاسلام ولا شرائعه. . فالابوان والمجتمع يشكلون الفكر الديني لهذا المولود ـ كما ذكرت في رسالتك، فليس في الاسلام من يقول ان كل مولود يولد على الاسلام ثم يصير يهوديا او مسيحيا. . بل يولد على الفطرة على ان هناك خالقا ومدبرا لهذه الأكوان. . .

وهناك لبس اخر في الموضوع وهو القول بأن الدين المقبول عند الله هو الاسلام فقط لما ورد في القرآن ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾. . . والحقيقة ان لكلمة الاسلام معنيين. . . الاول وهو معنى عام بمعنى الاستسلام لأوامر الله. . . فدين عيسى كان الاسلام ودين موسى كان الاسلام بهذا المعنى. . . والمعنى الثاني هو شريعة محمد ﷺ وهو دين محمد فقط. . ولكن القول بأن الدين عند الله هو الاسلام فقط فانه قول صحيح على المعنى الاول!!!

أما النقطة الأخيرة التي أود أن أتناولها فهي التساؤل عن «تدرج» الأديان ولماذا لم يرحم الله الانسان منذ البداية وانزل شريعة الاسلام دون حاجة الى غيره من الاديان؟ ولعل هذا التساؤل نبع من الفكرة بان الدين المسيحي اهتم بالروحانيات فقط وان اليهود اهتموا بالماديات فقط. . . وفي هذا القول تعميم يجب توضيحه. . . وهو أن هذه الاديان في وقتنا الحاضر ليست كما كانت عليه ايام موسى وعيسى. . بل

لقد دخلها الكثير من التغيير والتحريف. . وانطمست معالم الدين الاصلي تماما فلا أثر لها إلا في بعض الجزئيات الصغيرة. . وليس هذا مجرد زعم بل أن المسيحيين أنفسهم يبينون أنهم لا يعرفون بالتأكيد من الذي كتب «انجيل متى» مثلا. . . فهم يقولون ان «متى» «رجل ولد في عام كذا وعام كذا». . . وتوفي في عام كذا ومكان كذا او عام كذا في مكان اخر» وهكذا هم في تخبط من اصل وتاريخ وسيرة من كتب كتابهم والذي كان بعد المسيح بفترة طويلة. . وعلى أية حال فالفكرة هنا أنه بمقارنة الدين الاسلامي مقارنة علمية تاريخية بحتة بغيره من الاديان يتبين لنا ان الذين كتبوا السنة ـ وليس القرآن ـ . . اتبعوا طريقة أدق وأوثق من أولئك الذين نقلوا الانجيل. . وفي هذا عدة دراسات علمية واخرها اطروحة دكتوراه لأخت من السودان توصلت أن الإنجيل الذي يعتمد عليه معظم المسيحيين هذه الايام لا يمكن اثبات صلته إلى عيسى بطريقة علمية تاريخية. . من هذا نصل إلى أن الأديان المسيحية اليوم لا تعتمد على أصل صحيح. . . والتحريف فيها بلغ مداه خلال القرون الماضية. . . فالله تبارك وتعالى عندما أمر موسى بأوامر التوراة. . فقد اعتبر من اتبع موسى في ذلك الزمان مؤمنا. . وعندما أمر عيسى بأوامر الانجيل فقد اعتبر من اتبع تلك الاوامر مؤمنا. . . وكذلك من يتبع محمدا ﷺ فانه يعتبر مؤمنا. . وحيث أنه لا يوجد اليوم اي دليل علمي يثبت أن الانجيل هو الذي جاء به عيسى. . . فماذا يتبع المسيحيون حتى يعتبروا مؤمنين. . . ألا ينبغي أن نتبع ما اثبت ويمكن دائما اثباته أنه من عند الله. . . هذا أن أردنا الايمان. . . وكثير من الناس لا يريدون الإيمان ولا التصديق. . ولكن كما قلت. . لن يقبل الجميع اتباع الحق لمجرد الإقتناع العقلي بل هناك عوامل اخرى ومؤثرات كثيرة تشكل عقائد البشر وتصرفاتهم. . .

العلمانية .. عقيدة!؟

رن جرس اتلهاتف . . لم أتمكن من تمييز صوت الرجل على الطرف الثاني . . وبعد التحية والتعريف بنفسه قال:

ـ أنا أتابع كتاباتك . . وليتك تتطرق لموضوع العلمانية .

ـ لقد كتب عنها الكثيرون ولا ارى انه موضوع يستحق الكلام .

ـ بل هو موضوع مهم جدا . . وكثير من الناس لا يعرفون معنى العلمانية وموقف الاسلام منها . . ودعاتها دائما يتلبسون بلباس الاسلام . . مثلا . . قبل يوم دار نقاش بيني وبين بعض زملائي بالعمل . . والصراحة غضبت جدا إرتفع صوتي . . وصرخت . . «كل علماني كافر» . . وفي الواقع ما زال ضميري إلى الآن يؤنبني على هذه المقولة . . مع أنني أميل إلى أنها حق ولكنني غير مرتاح وأشعر بضيق . . فهل فيما قلت غلط ؟

ـ ان قضية (التكفير) قضية دقيقة وخطيرة . . وقد يستطيع الانسان المسلم المطلع أن يزن فكرة أو عقيدة ما ويحكم على أنها منافية للاسلام أو أنها كفر . . أما تكفير الاشخاص أعني (تكفير الأعيان) . . هذه قضية صعبة . . وحتى لو ثبتت على شخص ما . . ما النتيجة هذه الأيام . . سابقاً كان يستتاب وإلا قتل اما اليوم فما النتيجة ؟

ـ انا لم أكن أقصد شخصا معينا ولكن كنت أعني الفكرة . . (فكرة العلمانية) لأن اساس (العلمانية) فصل الدين عن الدولة أو بمعنى آخر حصر الدين في قضايا العبادات والاعتقادات أو (اللاهوت) ـ كما يسمونها . . أليس كذلك ؟

ـ لعل أفضل طريق لنقاش (العلمانيين) هو أن تحضر كتابا عن العلمانية وتقرأ عليهم أبوابا منه مثلا تعريف العلمانية . . نشأتها . . تطورها . . وأظن أن مجرد المعرفة الصحيحة بجذور العلمانية يكفي لإقناع الناس بأنها لا تمت إلى الإسلام بصلة .

ـ ترى ما هي أقوى حججهم ؟ . .

ـ لقد مضى وقت طويل على قراءاتي لكتاب عن العلمانية استعرته من كلية الآداب بالشويخ . . وإن لم تخني الذاكرة فانهم يقولون أن الأخذ بالعلم هو السبيل للتقدم والتطور وأنه ما دام الإنسان آخذا بالأسباب المادية للنجاح في حياته فانه

سيبلغ ما يريد دونما حاجة إلى أمور غيبية أو روحية . . وأن لا فرق بين الأديان وأن معاملة الناس ينبغي ألا تعتمد على اعتقاداتهم فالجميع أحرار في اعتقاد كما يريدون .

ـ وهل هناك مسلم يعتقد بهذا أو حتى يقبل أي جزئية من الجزئيات التي ذكرتها . . ان كل العبارات والافكار التي ذكرتها تعارض على الاقل ركنا من اركان الاسلام . .

ـ لعل أفضل طريقة لنقاش المسلمين (العلمانيين) او العلمانيين (المسلمين) هي الإتفاق على ان العلمانية ليست سلوكا فقط وانما هي في الاصل عقيدة . . لها أسسها واركانها . . ولها جذورها التي نبتت أبان العصور الوسطى في اوروبا حين انتشر تسلط الكنيسة ومحاربة العلم المادي حيث كانت الاكتشافات العلمية (كفرا) يستحق صاحبها (الاعدام) او (تقطيع الاعضاء) . . فاذا استطعت الوصول مع العلماني إلى هذا الاتفاق . . (ان العلمانية عقيدة) . . فمن السهل اقناعه بعد ذلك بأن هذه (العقيدة) تناقض الاسلام ولا يمكن ان تكونا عقيدتين صحيحتين ما دامتا متناقضتين . .

ـ ما هي النقطة الاساسية في تناقض العقيدتين ؟

ـ هي. أن عقيدة المسلم أن دينه جاء لتنظيم جميع جوانب حياته التعبدية والاعتقادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . فكل ما يحتاج اليه موجود في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فالله يقول في القرآن ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ . . ويقول: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ . . ويقول: ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ . . وآيات اخرى كثيرة . . فالعقيدة الاسلامية تقول ان العبادات قننها الله وكذلك المعاملات جميعها . . الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومن ظن ان جزءا من حياته لا يصلح له الدين الاسلامي فهو بهذا يقول بنقص الشريعة الاسلامية وهذا القول يناقض الاسلام ويخرج المرء من دائرة الاسلام الي اي شيء اخر ليس الاسلام .



الكونيات والشرعيات

في جلسة الاستراحة بين جزءي المؤتمر اقترب من حيث كنت اجلس. . صافحني وعرفني بنفسه، وابدى ملاحظاته على الورقة التي قدمت. .

جلسنا نتحدث إلى أن بلغ بنا الحديث عن قضايا الاسلام والعقيدة. .

سألني : هناك أمور لا أفهمها وبعض الاحيان لا اقبلها. . مثلا : سمعت ان المسلمين عندكم يصلون صلاة الاستسقاء لينزل المطر من السماء. . وكلنا يعرف ان نزول المطر يحتاج إلى ظروف مناخية محددة، إذا تجمعت نزل المطر، سواء صلى الناس، ام لم يصلوا؟

كان متحمسا وصادقا في حديثه. . . ابتسمت وتوجهت اليه بعد ان اعطاني الفرصة : لا شك فيما تقول وسوف أناقش هذه القضية، اعني «صلاة الاستسقاء» بعد أن نتحدث قليلا عن قضية أساسية في العقيدة. . وهي قضية الامور الشرعية والامور الكونية.

وحتى ندخل في الموضوع نقول أن جميع الحوادث الدنيوية لها أسباب ماديه وأخرى غير مادية. . هـذا بالتفسير الاسلامي. . مثلا : اصابة شخص بالسرطان. . له أسباب مادية مثل تعرضه لاشعاعات ضارة أو عمله في أجواء ملوثة. . وغير ذلك. . . وأيضا له أسباب غير مادية وهي أن الله يريد ابتلاء هذا الانسان. . بمعنى انه تبارك وتعالى يريد اختباره او تكفير ذنوبه او رفع درجته او اقامة الحجة عليه لحكمة يعلمها الله. . فالانسان المؤمن بالله وان لا شيء يحصل في الكون الا بعد مشيئة الله وارادته يؤمن بهذين السببين. . وربما ينعدم السبب المادي ولكن يبقى السبب اللامادي. . وهكذا ينظر المؤمن لحوادث الحياة جميعها. . كل حدث له اسبابه المادية وله اسبابه اللامادية. . وذلك على المستوى الفردي ومستوى المجتمع والدولة والامة. .

فمثلا. . لا شك أن هناك اسبابا مادية لهزيمة الامة الاسلامية. . فرقتها. . تبعيتها. . تخلفها العلمي. . الاستعمار الطويل لها. . إلى اخر هذه القائمة. . وهناك اسباب «لامادية» ايضا. . كابتعادها عن شرع الله ونهج رسول الله ﷺ. . ويستطيع المرء ان يجمع بين هذه الاسباب. . بان تفرق المسلمين مخالف لشرع الله وان تبعيتهم لغيرهم ايضا مخالف لشرع الله. . وهكذا. . فالامة الاسلامية من خلال معطيات الواقع لا ينبغي ان تكون بأي منزلة افضل من المكان الذي هي فيه الان.

نظر الي يريد مزيدا من ايضاح . . قال : اعطني امثلة اخرى؟

قلت : قبل ان اعطي امثلة اخرى ينبغي ان نتفق ان الحياة الدنيوية قائمة على الاسباب المادية . . بمعنى ان الذي يخطط ويعمل ويجتهد ويتعب يفوز وينتصر وان كان كافرا . . وهذا ما هو حاصل . . والذي يكسل ويتخلف ويتخبط . . يهزم . . فالخيط بين هذا وذاك دقيق جدا . . فالمسلم بعد أن يبذل كل ما في وسعه من اتخاذ القوة والاجتماع والتخطيط يعلم أن العزة والنصر من عند الله فيتوجه إليه يرجو ذلك ويعلم أن الله لا ينصر أمة متخلفة متشرذمة على أمة منظمة عاملة .

ولنعد إلى سؤالك الذي بدأت به : المطر . .

لا شك ان نزول المطر يخضع لظروف مناخية معروفة . . ولكن اليس في مقدور الله . . بل وليس في مقدور أحد سواه . . ان يهيىء هذه الظروف . . ولذلك كانت هناك «صلاة الاستسقاء» . . دعاء الله ان يهيىء الظروف المناخية التي تؤدي الى نزول المطر . . فقد جاء في الحديث انه : «وما منع قوم زكاة اموالهم الا منع عنهم المطر، ولولا الدواب والهوام ما امطروا» .

فالذي يدعو الله ان ينزل المطر، وهو لا يؤدي زكاة ماله هذا لا يستجاب له . . ثم ان كثيرا من المسلمين لا يرى حاجة للمطر خاصة وان المياه متوفرة في بلادنا عن طريق محطات التقطير . . ولهذا ينبغي ان يذكر المسلم نفسه بانه مهما حصل من رفاهية دنيوية فهو بحاجة الى رحمة الله وعطائه .

فلذلك اصبح سنة على المسلمين ان يصلوا صلاة الاستسقاء في حالة الجفاف بعد ان يكونوا قد ادوا حقوق الله عليهم حتى يغيثهم بالامطار . .

شعرت ان صاحبي لم يقتنع تماما ولكن انتهى النقاش لتبدأ المحاضرة التالية . .

العين حق

بعد مضي قرابة الأسبوع على ظهور نتائج الإمتحان الثاني، أتاني (رائد) بنفس كسيرة تعلو وجهه سحابة من الاكتئاب .. بعد ان اخذ مقعده، استل ورقة الامتحان من بين الملفات التي يحملها .. قال بنبرة حزينة! .. ما الحل ..

ألقيت نظرة على نتيجة إمتحانه فعرفت ما يعني .. قلت: الحل في يدك .. ما عليك إلا أن تركز في دراستك وتركز اثناء الامتحان .

- صدقني استاذي .. لقد درست وأشعر انني متمكن تماما من هذه المادة .. وخرجت من الامتحان وأنا ضامن الامتياز .. ولكن كما يقولون «العين حق» .

- لا شك ان (العين حق) .. ولكن اذا كنت تعتقد ذلك فاستعن بالله على العين وأكثر من قراءة المعوذين .. ولكني أدعوك إلى التركيز في الدراسة مع هذا وذلك .

- هل تصدق .. أن جميع اصدقائي يتكلمون عن تفوقي وتميزي بالدرجات العالية، وبالفهم السريع والاجتهاد الدائم في دراستي .. حتى أصبحت مضرب المثل بينهم .. ولكنها عين أحدهم .. لا أدري من هو .. ولكني متأكد ينها عين احدهم .

- لقد اخبر الرسول (ﷺ) أن العين حق ولها تأثير .. ولذلك أمرنا إذا أعجبنا بشيء أن نقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى لا نضر ما أعجبنا به .. وامرنا بقراءة القرآن وخاصة المعوذين، وكذلك قراءة بعض الاذكار والادعية حتى لا تضرنا العين .. وعموما .. هناك الحسد والعين والسحر وكلها عند البشر.

ذهبت الكآبة عن رائد بعض الشيء فاسترسل يسأل: هل الحسد خلاف العين!؟

- الحسد .. هو تمني زوال نعمة عند الاخرين وتحولها إلى الشخص .. والعين هي الأثر السيء الذي يقع على الشيء أو الشخص نتيجة اعجاب شخص ما يسمى «العائن» .. وهي قوة خفية أو خاصية معروفة عن بعض الأشخاص يسمون (عيونهم حارة) .. وكلنا سمع عن اعاجيب هؤلاء الافراد .. ولكن وكما في جميع القضايا، لم يترك الشرع القضية عشوائية دون ادوات لحماية العائن و(الضحية) ..

- سمعت حديثا بانه لو كان هناك شيء يسبق القدر لكان العين !!

- نعم هناك حديث بهذا المعنى .. ولكن القدر هو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ

قبل أن يخلق السماوات والارض وما كتب هناك لا يتغير ولا يتبدل، وهذا الحديث يدل على حدوث عدم المتوقع بسبب العين.

ـ وهل هناك طريقة معينة لعلاج العيم إذا علم العائن ؟

لقد جاء في بعض الآثار عن السلف أنهم داووا (المعين) ببقايا وضوء العائن .. ولكن أظن أن أفضل دواء لهذه العلل هو كتاب الله ـ القرآن ـ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ . والعلاج بآيات الله والادعية والاذكار الثابتة عن رسول الله (ﷺ) تحتاج الى تقوى وورع عند من يقرأ وكذلك ايمان عند المريض بأن هذا الأمر ينفع بإذن الله تعالى . . أما غير ذلك من الشعوذات والكلمات المبهمة والتعويذات التي فيها استعانة بالجن والشياطين فانه يدخل في باب الإشراك بالله وليس من الإسلام في شيء . . وعلى أية حال . . كلما كان المرء ملتزما شرع الله بعيدا عن الشركيات والمعاصي والفسوق حفظه الله من جميع هذه البلايا كما قال تعالى ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ أي ملائكة تحفظه بأمر الله وقدرته واذنه .

ـ لا أريد أن اطيل عليك ولكن أعدك أن اقدم امتحانا افضل في المرة المقبلة .

ـ وأنا اعدك يا رائد إن أنت أخذت فوق التسعين في المرتين المقبلتين فتحصل على الامتياز بغض النظر عما سلف .

انفرجت اساريره . . وخرج على غير ما دخل .

عقيدة ابن تيمية

سأل زوجته عن جهاز الفيديو الجديد الذي اشتراه فابلغته عن سعادتها به وقالت : اسجل هذه الايام مسلسل (ابن تيمية) للاطفال. . . ظن ان هذا المسلسل يتناول قضايا التاريخ كعادة المسلسلات (الإسلامية) فسألها : وهل من فائدة من تسجيل هذا المسلسل؟

ـ ليتك تحرص يوما ان تتابع احدى حلقاته. . فهو يتكلم عن شيخ الاسلام ابن تيمية ومناقشاته مع الصوفية والاشاعرة في قضايا الاسماء والصفات ووحدة الوجود والقرآن وغير ذلك. .

اشتاق إلى رؤية إحدى الحلقات، ولكنه لم يحرص على الجلوس خصيصا لمتابعته. . سألها مستفسرا.

ـ وكيف حصيلة النقاش وهل يمكن للعامة فهم هذه القضايا؟!

ـ اظن ذلك. . . فمثلا عندما يتكلم عن (وحدة الوجود) بين أن ابن عربي يدعو إلى عقيدة صوفية تجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كل شيء وذلك باستخدام أسلوب فلسفي. . ويرد ابن تيمية عليه بالعقل والمنطق وبآيات من كتاب الله ومن سنة الرسول ﷺ. . ثم إن النص المذكور في الحلقات هو عين الكلام المكتوب في كتب ابن تيميمة (كالفتاوي) و(العقيدة التدمرية) و(الحموية) و(السياسة الشرعية).

ـ والله لقد جعلتني أتلهف لمشاهدة إحدى الحلقات ولكني لا أجد وقتا. . فتابعي التسجيل على الفيديو وأراه في وقت اخر إن شاء الله. .

أجابته : لدينا إلى الآن أربعة أشرطة. . ولكن هل كانت العقيدة العامة لدى الناس في ذلك الوقت هي هذه العقيدة الباطلة، في الاسماء والصفات والقرآن؟

ـ نعم. . في تلك الفترة كانت عقيدة اهل الحل والعقد عقيدة صوفية أو أشعرية. . التي تخالف عقيدة اهل السنة والجماعة. . بل كانت هي (العقيدة الرسمية) في دمشق وكثير من أمصار المسلمين. . وكان ابن تيمية هو الوحيد تقريبا الذي وقف في وجه هذه العقائد بجانب انه حمل السيف، وقاتل التتار. . فنصره الله في هذه وتلك واستحق بجدارة ان يكون شيخ الاسلام.

ـ ولكن هل سجن فعلا لاجل عقيدته؟. .

ـ نعم سجن كثيرا. . بل ما كاد يخرج إلا ويعود إلى السجن وذلك لسلطة الذين يخالفونه العقيدة من أهل الرأي والكلام والفلاسفة والمتصوفة. . ولكن على كثرة ما لاقى ترك آثارا وكتباً يعجز العلماء (المتفرغون) لتدريس الشريعة عن كتابة مثلها. . بل ان (دكاترة) الشريعة يتتلمذون على مجلدات ابن تيمية. . وملخص ما كان يدعو إليه ابن تيمية هو اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف من الصحابة والتابعين فقط لا غير. . أي دون فلسفة ولا تفلسف. . بل يقول : ما جاء في الكتاب وما ثبت في السنة الصحيحة يجب اتباعه وفهمه كما فهمه الصحابة والتابعون. . فكان عمله كله إحياء لنهج من سبقه من السلف الصالح ولم يأت بشيء من عنده. . أما الصوفية وأهل الكلام والفلسفة فاستخدموا قواعد فلسفية وجدليات كلامية لفهم عقيدة المسلمين فضلوا وأضلوا وللأسف انتشرت هذه العقيدة حتى اصبحت كما قلت (العقيدة الرسمية) لكثير من الدول الاسلامية.

سألته. . هل صحيح انه لم يتزوج قط؟

ـ هذا ما اشتهر عن ابن تيمية . . ولكنه لم يترك الزواج امتناعا أو إعراضا بل ظروفه لم تمكنه من الزواج. . وثانيا. . لم يكن فارغا لمشاكل النساء. .

قالت ضاحكة. . هكذا الدعاة وليس كما انتم الان تتزوجون الاولى، ويصبح همكم الزواج بثانية بدل انشغال بالكم بقضايا الدعوة والعمل من اجلها. .

الاقتصاد

إلتقيته في احدى الممرات الضيقة يسير بين حواجز المكاتب في جريدة القبس وكلما إلتقنيا ألقي علي احدى نكاته «الثقيلة» . . فكنت أفضل تجنبه . . ولكنه هذه المرة أصر أن أجلس معه . . فقبض على ساعدي وجرني إلى حيث يجلس . . . جرّ أحد الكراسي من المكتب المجاور . . وأقعدني قائلا : أريد أن أسألك . . لماذا لا تكتب إلا عن الأموات؟ . . لماذا دائما الموت والآخرة والنار والجنة والملائكة والحور؟ . . . أين الحياة . . . أين الناس الأحياء ومشاكلهم ، أين أزمة السكن ، الاقتصاد . . . ؟ أين التقدم والنهوض والبناء ، أين . . . أين؟

أجبته ضاحكا : صراحة . . التعامل مع الأموات «أريح» هذه الايام !!!

واستدركت قائلا : أولا . . . الجريدة فيها صفحات السياسة والاقتصاد والمحليات والمشاكل وغير ذلك . . وهذه صفحة «الدين» . . . والمفهوم السائد عند العامة حول الدين خطأ ولذلك أنا أكتب عن الذي أعلمه والذي اعتقد واؤمن انه

ـ صحيح . . وما هو المفهوم يا ترى؟!

ـ مفهوم «الدين» . . هو حياة الانسان . . حركاته سكناته تفكيره خواطره وبالنسبة للأمة . . . اقتصادها . . سياستها . . تجارتها . . عسكرها . . الخ .

وفي الواقع فان غياب الدين عن واقع الناس . . نتيجة لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها ـ يجعل الكلام عن «الحلول الاسلامية» للمشكلات المعاصرة من اخصب المجالات . . وكذلك من أغربها هذه الايام .

أسند ركبته على الطاولة واتكأ للخلف قائلا : ولكن ماذا تفعل بالنظريات الاقتصادية . . . والدراسات والنتائج العلمية التي قضى العلماء سنين طويلةِ في استنتاجها وتطبيقها؟ !

ـ أنا لم أتطرق للنظريات الإقتصادية بشيء . . ولكن كرد سريع . . تطبقها بما لا يخالف الشريعة . . وقبل أن تتابع النقاش لا بد أن أرجع إلى أصل وبداية صحيحة . . أنت كمسلم يجب أن تعتقد أن الشريعة الإسلامية كاملة . . ويجب أن تعتقد أن الشريعة الإسلامية أصلح نظام لكافة الجوانب الحياتية . . . ويجب أن تعتقد أن الشريعة الإسلامية قابلة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان . . . هذه قضايا اعتقادية أي أنها تدخل ضمن تعريف «المسلم» . . فالمسلم يعتقد هذه

القضايا . . وغير المسلم ينكر هذه القضايا أو بعضها . . فهل أنت متفق معي في هذه النقطة . ـ أنا لا أشك في أي من هذه النقاط . ولكن أتساءل عن إمكانية وطريقة التطبيق . . .

ـ النقطة الثانية . . هي إمكانية التطبيق . . هل تعتقد لو أن أصحاب القرار كانوا يؤمنون ـ بحكم اسلامهم ـ بهذه القضايا التي تؤمن انت بها . . لو انهم كانوا يعتقدون بها دون شك هل تظن أن إمكانية التطبيق تكون مشكلة؟ . .

دعني أكمل . . اصحاب القرار وغيرهم ممن يعارض هذه الفكرة ـ يقولون نحن جزء في كل . . ولا يمكن ان نخلق نظاما منفصلا ومنعزلا عن النظام العالمي في الاقتصاد . . ونقول . . . لنفترض ذلك . . . طبقوا لنا ما تستطيعون . . في داخل البلد على الأقل . . . و«اتقوا الله ما استطعتم» . . فان قرار «النظام الربوي» والتعامل به يعتبر نوعا من الحرب على الله ورسوله . . كما اخبر تعالى في سورة البقرة ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ . . هذه آية صريحة . . والمسلم يجب أن يعتقد بها . . فإذا كان النظام العالمي يقوم على الربا فالنظام الداخلي للاقتصاد ينبغي إلا يقوم على الربا . . وإذا كان النظام الداخلي يقوم على الربا فالمسلم يجب عليه إلا يتعامل في أمواله بهذا النظام .

فعقيدة المسلم أن النظام الاقتصادي القائم على الربا نظام يؤدي إلى هلاك الاقتصاد واستغلال البشر وانتشار الظلم . . والبديل الاسلامي متوفر . . ولكن ينقصه التطبيق . . واسمح لي إن اطلت عليك . . .

قال ضاحكا : قليلا ما نجلس نتحدث بجدية . . فلا بأس . . ولكن يبقى التساؤل قائما . . . فبعد أن آمنا بأن الشريعة كاملة ولا مثيل لها لا نقص فيها من أي جانب وكذلك بأنها قابلة للتطبيق وصالحة لكل زمان ومكان . . كيف نتعامل مع الدول الشيوعية في ظل هذا النظام . . .

ـ قلت : نتعامل معها بشيء لا يخالف الشرع . . فالله تعالى أخبر في كتابه ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ . . نتاجر معها ونبيع ونشتري ولكن في الأمور غير المحرمة . . . بمعنى لا نتاجر بالخمور أو لحم الخنزير أو اللحوم الميتة أو غيرذلك . . . ولكن الصناعات والأسماك وما شئت . . ويجب ألا ننسى أن دائرة الحلال في الإسلام كبيرة جدا ودائرة الحرام هي الضيقة المحدودة فلماذا نحصر انفسنا «بالحرام» وقد وسع الله علينا «بالحلال» .

الفلسفة

لم اكن اعلم انها قبلت في الجامعة . . اتصلت بالأهل كعادتي ردت هي على الهاتف . . وبعد السؤال . . قالت: لم تبارك لي !!

- مبروك . .
- ألا تسأل عن المناسبة!!
- ما المناسبة؟
- قبلت في الجامعة . .
- لا أصدق . . أنك تمزحين . .
- لا والله . .
- وأي كلية، واي قسم، ان شاء الله؟
- كلية الآداب «فلسفة».
- فلسفة!! «إيخ» . .

لماذا ؟

- بل أنت لماذا؟ وما الذي تظنين أنك ستتعلمين من الفلسفة ؟
- لا ادري، ولكن لدي فكرة عن الذي درسناه في المرحلة الثانوية . . حيث درسنا نظريات في الحياة والظواهر الاجتماعية ودرسنا عن سقراط، وارسطو، وافلاطون. وابن رشد، والفارابي .

هل تعلمتم الشك المنظم والتأمل الباطني وعلم الاخلاق العقلي؟

- كلا . . ولكنها تبدو مصطلحات فلسفية أليست كذلك ؟
- نعم . . هي كذلك . . اسمعي يا اختاه . . أنا لا أريد أن أخوض في علم لا اجيد فيه شيئا . . ولكني أعلم أن بعض النظريات الفلسفية ، وجميع الفلاسفة المعتبرين خاضوا في قضايا الالهية ومنازع الوجود، وفناء العوالم، وغير ذلك من امور غيبية واستعانوا في خوضهم هذا بعقولهم الجبارة وتأملاتهم وافكارهم بل ادعى بعضهم انه (خاض بحرا وقف الانبياء عند ساحله) . . وبالطبع جاء الإسلام ليعطي العقل مكانه الصحيح . . فلا يقبل الاسلام من المرء ان يكون امعة يقاد في شؤون دنياه وعقيدته وافكاره وأخلاقه فقد ذم الله أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا دين آبائهم دون تفكر ولا تدبر وآيات القرآن التي تدل على ضرورة استخدام العقل في التأمل كثيرة ﴿أفلم يتفكروا في ملكوت السماوات والارض﴾، ﴿وما يذكر إلا أولوا الالباب﴾ .

فالمسلم مطالب أن يعمل عقله وفكره في هذا الكون في السماء وفي الارض وفي المخلوقات وفي نفسه ﴿وفي انفسكم افلا تبصرون﴾ . . ولكن ان يكون العقل هو السبيل لمعرفة صفات الاله وافعاله او قضايا الاخرة وحقيقة المعاد ام مجازه فهذا اعمال للعقل في غير مكانه ومثل من يفعل ذلك مثل الاعمى الذي يحدد الالوان باللمس يتخبط وان كان يقسم بالله ان ملامس الالوان تختلف .

ـ قاطعتني . . كأنك تريد ان تعطيني محاضرة . .

ـ كلا . . بل أريد ان تكوني على بينة من يمرك ولا يغرنك انتشار صيت الفلاسفة فكثير منهم جحد الإله ومنهم من وضع للإله صفات من عقله ومنهم من خاض في فلسفته حتى وضع منهجا لتقويم النفس الشبرية بعيدا عن هداية الرسل ووحي السماء . . ولكن باختصار . . ينبغي ان تعلمي ان الاسلام احترم العقل ومن يستخدم العقل وبين حدود هذه الأداة العظيمة التي أنعم الله بها على الانسان ثم إن قضايا الغيب التي ليست في متناول البشر لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الأخبار اليقينية من القرآن أو سنة صحيحة وأن مهمة الرسل كانت إرشاد البشر إلى قضايا الغيب وكذلك قضايا الحياة الدنيا وتزكية النفوس وليس هناك من هم خير من الرسل .

وبعد ذلك ادرسي الفلسفة لتردي على الفلاسفة الذين يتعدون الحدود .



فهرست

رابعاً التزكية

خامساً ـ قضايا عامة